كتاب

القول الشافى

فى

تفسير المعوذتين

تأليف

محمد الخضرى

المحامى لدى محكمة استئناف مصر الاهلية
والمحكمة العليا الشرعية
سابقا

يشتمل هذا الكتاب على ماقيل فى سحر النبى ﷺ والكلام على الحسد والإصابة بالعين والرقى والتمائم والسحر والسحرة والمعجزات والكرامات والكهانة والزجر والفأل والطيرة والجن والشياطين وغير ذلك.

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

مطبعة التوكل ٣٣٤ ش الخليج المصرى - بالجماميز مصر

كتاب

القول الشافى

فى

تفسير المعوذتين

نأليف

محمد الخضرى

المحامى لدى محكمة استئناف مصر الاهلية
والمحكمة العليا الشرعية
سابقا

يشتمل هذا الكتاب على ماقيل فى سحر النبى ﷺ والكلام على الحسد والإصابة بالعين والرقى والتمائم والسحر والسحرة والمعجزات والكرامات والكهانة والزجر والفأل والطيرة والجن والشياطين وغير ذلك .

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

١٣٦٧ هـ -- ١٩٤٨ م

مطبعة التوكل ٣٣٤ ش الخليج المصرى - بالجماميز مصر

فهرس القول الشافى فى تفسير المعوذتين

صفحه	الموضوع
ح	مراجع الكتاب
ى	اراء بعض حضرات اصحاب الفضيلة العلماء فى الكتاب
ك	رأى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
ل	رأى حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد البيلاوى
م	رأى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى
ن	رأى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ منصور على ناصف
ع	تعريف بالكتاب وترجمة المؤلف بقلم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى شيخ معهد دمياط
١	خطبة الكتاب
٢	الباب الأول
	فى تفسير سورة الفلق
٢	الفصل الأول
	فيما ورد فى فضل المعوذتين
٣	الفصل الثانى

صفحه	الموضوع
	فى أسباب نزول المعوذتين
٧	الفصل الثالث
	فى إنكار المعتزلة والمبتدعة لحديث سحر النبى ﷺ
١٢	حادثة للشيخ محمد عبده فى دمياط
١٤	الفصل الرابع : فى معنى الاستعاذة وأركانها على العموم
١٦	وجه ارتباط هذه السورة بما قبلها
١٧	الوجوه الواردة فى معنى الفلق
١٨	بيان أن هذه السورة تضمنت الاستعاذة من شرور أربعة
	الشر الأول ـ شر ما خلق
	بيان مذهب أهل السنة والجماعة فى أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لجميع الأفعال من خير أو شر
١٩	الرد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح عليه سبحانه وتعالى
٢٠	الشر الثانى ـ الغاسق إذا وقب
	الوجوه الواردة فى معنى الغاسق

تابع فهرس القول الشافى

صفحة	الموضوع
٢١	الشر الثالث ـ شر النفاثات فى العقد
٢٢	الشر الرابع ـ شر الحاسد إذا حسد
٢٤	فى بيان أن كل عائن حاسد
	وليس كل حاسد عائنا
٢٤	فى بيان أسباب الحسد
٢٥	الدواء الذى ينفى مرض الحسد
	عن القلب
٢٧	فى الإصابة بالعين وعلاج المنظور
٢٨	فى بيان معنى النشرة وهل هى
	جائزة شرعاً وأفضل طرقها
٣٤	الباب الثانى
	فى تفسير سورة الناس
٣٧	فصل فى مداخل الشيطان
٣٩	أنوع شر الشيطان
	الشر الأول ـ شر الشرك والكفر
٤١	الشر الثانى ـ شر البدعة
	قصيدة للغزالى فى الاستواء
٤٢	الشر الثالث ـ شر الكبائر
	الشر الرابع ـ شر الصغائر
	الشر الخامس ـ اشغاله بالمباحات
	الشر السادس ـ اشغاله بالعمل
	المفضول

صفحة	الموضوع
٤٣	الأحوال التى بها يتسلط الشيطان
	على بنى آدم
	الأول ـ فضول النظر
٤٥	قصة شزو وصائد السمك
٤٦	طريقة المطاوعة قديماً وحديثاً
٤٩	الثانى ـ فضول الكلام
٥١	الثالث ـ فضول الطعام
٥٢	الرابع فضول المخالطة
٦١	بند مما قاله العلماء فى حكم الرقى
٦٢	فى التمائم وأحكامها
٦٣	شروط كتابة التمائم
	ذكر جملة من الرقى والأذكار
	والأدعية المأثورة
٧٢	فى آداب الدعاء
٧٣	الباب الثالث
	فى الكلام عن السحر
	الفصل الأول ـ المعانى اللغوية
	للسحر
٧٥	الفصل الثانى ـ حقيقة السحر
	عند العلماء
٧٧	ضروب السحر

تابع فهرس القول الشافى

صفحة	الموضوع
٨١	الفصل الثالث ـ هل السحر حقيقة أم هو مجرد إيهام
٨٢	الفصل الرابع ـ مايمكن أن تظهر على يد الساحر من خرق العادات وما يمتنع عليه
٨٣	الفصل الخامس الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر
٨٥	الفصل السادس ـ نبذة تاريخية عن السحر فى الإسلام وفى الأمم الأخرى
٨٦	قصة هارون وماروت
٩٠	قال ابن خلدون فى مقدمته
٩١	وقال محمد فريد وجدى بك
٩٣	الفصل السابع ـ فى الأحكام الشرعية المتعلقة بالسحر والسحرة
٩٦	رأى المؤلف فى الباب
٩٧	اختلاف الفقهاء فى حكم الساحر
٩٩	الباب الرابع
	فى الكهانة والزجر والفأل والطيرة والقيافة والفراسة والذكاء
١٠٢	حكاية هند بنت عتبة
١٠٣	الفصل الثانى فى الزجر والفأل والطيرة
١٠٨	قصة عائلة بنت عمرو بن نفيل
١١٢	الفصل الثالث ـ فى القيافة والفراسة والذكاء
١١٨	الباب الخامس
	فى الكلام عن الجن والشياطين
	الفصل الأول ـ فى اثبات وجود الجن والرد على المنكرين وبيان كفر من أنكرهم
١٢٣	الفصل الثانى ـ فى بيان معنى الجن لغة واصطلاحاً والفرق بين الجن والشياطين والمارد والعفريت
١٢٥	الفصل الثالث ـ فى الكلام على خلق وبيان صفاتهم وأصنافهم وقدرتهم على التشكيل وأنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون وأن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون وأنهم مكلفون وأنهم يثابون بدخول الجنة ويعاقبون بدخول النار

صفحة	الموضوع
١٣٢	فى ذكر ماورد فى انذار الحيات والاحكام الشرعية المتعلقة بذلك
١٣٧	الفصل الرابع - فى الكلام على صرف الجن إلى النبى ﷺ واستماعهم القرآن وبيان طعامهم ومساكنهم
١٤٦	فى بيان طعام الجن
١٥٠	مساكن الجن
١٥١	الفصل الخامس - هل بعث إلى الجن فيما قبل نبينا محمد ﷺ وهل تجوز الدراية عند الجن وهل تجوز الصلاة خلفهم وهل تنعقد بهم الجماعة وهل تجوز معالجتهم وبيان ما إذا وطىء إنسية وحكم المرأة إذا اختطف الجن زوجها والاحكام الشرعية المتعلقة بذلك .
١٥٦	الفصل السادس - فى بيان سبب مس الشيطان وعلاجه
١٥٨	سبب المس وعلاجه
١٥٩	لا تعارض بين الحديث ورأى الأطباء
١٦٠	الفصل السابع - فى بيان تعرض الشيطان للأنبياء عليهم السلام
١٦٨	حكايات تناسب المقام
١٦٩	قصة برصيصا
١٧٢	قصة جديج
١٧٦	قصة أبى عبدالله الاندلسى

الباب السادس

صفحة	الموضوع
	فى الكلام على الأولياء وإثبات كراماتهم
١٧٨	الأدلة على إثبات كرامات الأولياء
١٨١	سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه
١٨٢	سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٨٤	سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه
١٨٦	سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما
١٨٧	سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه
	سيدنا حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه

صفحة	الموضوع
	سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه
	سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه
	السيدة زينب أم كلثوم رضى الله عنها
١٩٢	الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه
١٩٥	الأمام أبو حنيفة رضى الله عنه
١٩٦	الأمام مالك بن أنس رضى الله عنه
١٩٧	الأمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه
١٩٨	السيدة نفيسة بنت الحسن رضى الله عنهما
٢٠٠	السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها
	الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه
٢٠١	الشيخ أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه
٢٠٢	السيد احمد على البدوى رضى الله عنه
٢٠٣	الشيخ ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه
٢٠٤	السيد محمد شمس الدين الحنفى رضى الله عنه
٢٠٨	سيدى على البيومى رضى الله عنه .
٢١٠	الأدلة العقلية على إثبات الكرامات
٢١٢	أنواع الكرامات أنواع الأولياء ومراتبهم
٢١٨	تنبيهات عامة
٢٢٥	رؤية المؤلف إبليساً من أبالسة الإنس ووصفه لحاله
٢٢٧	الباب السابع
	وهو مسك الختام فى عقيدة أهل السنة والجماعة الخطأ والصواب

مراجع الكتاب

(١) تفسير الأمام فخر الدين الرازى المسمى بمفاتيح الغيب

(٢) تفسير الامام الآلوسى المسمى بروح المعانى

(٣) تفسير العارف بالله الشيخ اسماعيل حقى المسمى بروح البيان

(٤) تفسير الامام الكبير ابن جرير الطبرى المسمى بجامع البيان

(٥) تفسير الامام القرطبى المسمى الجامع لاحكام القرآن

(٦) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للامام ابن حجر العسقلانى

(٧) غاية المأمول وشرح التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول كلاهما لصاحب الفضيلة الشيخ منصور على ناصف المدرس بالمسجد الزينبي

(٨) احياء علوم الدين للإمام الغزالى

(٩) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض

(١٠) كتاب احكام القرآن للإمام الحافظ أبى بكر المالكى المعروف بابن العربى

(١١) الفتاوى الحديثية للامام ابن حجر الهيتمى

(١٢) كتاب جامع كرامات الاولياء للعلامة الشيخ يوسف اسماعيل النبهانى

(١٣) بدائع الفوائد لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزيه

(١٤) مفتاح السعادة لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزيه

(١٥) دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ الكبير محمد بك فريد وجدى

(١٦) أكام المرجان فى أحكام الجان للقاضى العلامه بدر الدين محمد الشبلى

(١٧) كتاب التهذيب فى علم الفقه لفضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى شيخ معهد دمياط

(١٨) نهاية الارب فى فنون الادب لشهاب الدين النويرى

(١٩) المستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد الابشهى

(٢٠) بعض مباحث لفضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى شيخ معهد دمياط نشرت فى مجلة الإسلام كمبحث التفاؤل والتشاؤم ومبحث الرقى والتمائم

آراء

بعض حضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء فى الكتاب

نذكر هنا الآراء التى تفضل بابدائها بعض حضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء فى هذا الكتاب بعد أن اطلعوا عليه ونظروا فيه نظر الباحث الخبير والناقد البصير وهم من العلم وسعة الاطلاع والتحقيق بالمكانة القصوى والدرجة العليا التى يقصر دونها كل مقال ولم نقصد بذلك إلا زيادة النفع بهذا الكتاب الذى نقدمه للناس أجمعين. قاصدين به الاخلاص لرب العالمين. ورجاء مثوبته يوم الدين. وان كنا نعلم علم اليقين أن الكتب انما تفسح لنفسها طريق القبول والنجاح والرواج بما تشتمل عليه من فوائد ومزايا. وهذا الكتاب بفضل الله وحسن توفيقه هو أول كتاب مفرد قد حوى بين دفتيه تلك المباحث القيمة والطرائف النادرة التى لم يحوها قبل الآن كتاب مفرد إلا أن اشتماله على كثير من الأحكام الفقهية والعقائد الدينية ودفع كثير من آراء المعتزلة وأهل الاهواء ودحضها وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة. قد دعانى إلى تصدير هذا الكتاب بهذه الآراء حتى تطمئن النفوس إلى تحرير مافيه من أحكام وعقائد. فيتم به النفع إن شاء الله تعالى. وهذا مانرجوه من الله سبحانه وتعالى. وهو حسبنا ونعم الوكيل. نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

رأى

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه ثم هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادى الخلق إلى الحق . وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . والتابعين لنهجة القويم وصراطه المستقيم

أما بعد فقد اطلعت على ماتيسر لى الاطلاع عليه من كتاب (القول الشافى) تأليف الأستاذ النابغة التقى « السيد محمد الخضرى » فالفيته حسن الأسلوب . قوى الحجة . تحرى فيه مؤلفه النقل الصحيح . والرأى الراجح . أسأل الله أن ينفع به . ويجزى مؤلفه خير الجزاء .

محمد مأمون الشناوى

رأى

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل والعلامة المحقق الشيخ منصور علي ناصف أحد أكابر علماء الأزهر الشريف. والمدرس والامام بالحر الزينبي . ومؤلف كتاب « التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول ﷺ وشرحه المسمى « غاية المأول » حفظه الله وابقاه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد اطلعت على مؤلف حضرة الاستاذ السيد محمد الخضرى المحامى الأهلى والشرعى ابن حفيد المغفور له الشيخ محمد الخضرى شيخ علماء دمياط صاحب التآليف المشهورة هذا المؤلف المسمى (القول الشافى فى تفسير المعوذتين) فوجدته مؤلفا قيما قد اشتمل على مواضيع عزيزة. وتحقيقات نفيسة لم توجد فى غيره كتفسير السحر وبيان حقيقته وبيان حكمه عند خيار العلماء. وتحقيق ماوقع منه لرسول الله ﷺ و كتفسير الجن والشياطين وأنواعهم وأشكالهم وبيان مؤمنهم وكافرهم وبيان مساكنهم ومآكلهم ومشاربهم وماهم عليه وبيان حكم مناكحتهم للانس ومايتصل بذلك من عدة جهات . وقد ضمن المؤلف حفظه الله هذا الكتاب بضع مائة مسألة كل مسألة منها قتلها بحثا واستقصاها من جميع نواحيها فلم يترك لقائل قولا ولا لمعترض سبيلا فجاءت مثلا بديعا للقارئين بل كما قال جل شأنه (وزيناها للناظرين) ولقد عرج المؤلف اعزه الله على بيان علل النفس

وآفاتها وملاعبها وتدخل الشيطان معها وتلبيسه عليها وما ينبغى أن يكون عليه المسلم من الحذر الشديد من دسائس النفس والشيطان والاقتداء بما فى الكتاب والسنة وما انطويا عليه من اسرار . وحسبك أيها الناظر فى هذا المؤلف ماتجده من حكايات عدة من تلاعب الشيطان وإغوائه لبنى آدم بشتى الطرق كفانا الله وإياكم شره . وكذا ماتجده فى هذا المؤلف من بساتين يانعة ناضرة ورياض مورقة مثمرة فى الكلام على الاولياء وانواعهم واثبات كراماتهم بالادلة النقلية من الكتاب والسنة والآثار وبالادلة العقلية . وعلى المعجزة والكرامة والفرق بينهم وبين السحر والحكايات المشوقة التى تنشرح منها الصدور وتنتعش بها القلوب فرحا وهياما فى محبة الصالحين وحكاياتهم التى تغذى الارواح وتنميها وتنعشها فى محبة الله ورسوله وعباده الصالحين . وباجمال فهذا المؤلف لايستغنى عنه أى مسلم بل ويحتاج إليه كل عالم نحرير كبير بأن يغنيه عن البحث والتنقيب فى شتى الكتب الواسعة عن تلك المسائل العويصه الدقيقة ونحوها نفع الله به وبمؤلفه العباد والبلاد آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

منصور على ناصف

مدرس وأمام الحرم الزينبى ومؤلف

كتاب التاج الجامع للاصول فى احاديث

الرسول ﷺ

تعريف الكتاب وترجمة المؤلف رحمه الله

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد كامل الخضرى

شيخ معهد دمياط

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله العلى القدير . الحكيم الخبير . صاحب القوة والتدبير . بيده ملكوت السموات والارض وهو على كل شيء قدير .

سبحانه وفق العاملين . وسدد خطوات المجاهدين . وأيد المكافحين فى سبيل دينه . ونشر شريعته . وأنار لهم سواء السبيل :

أستغفره تعالى وأتوب إليه . وأسأله مزيد فضله . وواسع رحمته وعظيم رضوانه . وأبرأ إليه من حولى وقوتى إلى حوله وقوته . وإستمنحه اللطف والتيسير .

وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد سيد الاولين والآخرين . ورسول رب العالمين . إلى الناس أجمعين . صلاة وسلاما تامين دائمين إلى يوم الدين .

وأشهد ألا إله إلا الله . وحده لاشريك له . تقدست ذاته . وتعالت صفاته . وتبارکت أسماؤه . « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله . وصفيه وحبيبه . أرسله إلى الناس كافة . رسالة تامة عامة . مؤيدا بالآيات البينات والمعجزات الواضحات . فبلغ الرسالة وأدى الأمانة . وأسعد البشرية .

وأنقذ الانسانية هو الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى الصراط العزيز الحميد . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

(وبعد) فان أسمى الاغراض البشرية وأشرف المقاصد الانسانية وأجل ماتصبو إليه النفوس العالية . والفطر الكريمة — البحث العلمى فهو الذى ينير الفكر . ويهذب النفس . ويكسبها المعرفة ويدفع عنها وصمة الجهالة « قل هل يستوى الذين يعملون والذين لايعملون »

وأفضل المباحث العلمية ما كان متعلقا بالشريعة الاسلامية الغراء فهى سبب كل خير . وأصل كل سعادة فى الدنيا والآخرة . قال ﷺ (من أراد الدنيا فعليه بالعلم . ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم . ومن أرادهما معا فعليه بالعلم)

وعماد الشريعة الاسلامية . وروحها النابض . وأصلها الفياض وأساسها المتين . القرآن الكريم . ذلك الكتاب الأزلى الخالد . الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فهو الينبوع العذب الصافى الذى لاتنفد فوائده . ولاتنتهى شوارده والمعين الواسع الحافل بالدرر الغوالى . الذى لم يدع شأنا من شؤون الدين والدنيا إلا عرض له وبينه . قال تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »

وإنك لترى فى كل سورة من سور القرآن الكريم . مهما قل عدد آياتها . وفى كل آية مهما قلت حروفها . من الأحكام والعظات والعبر

والفوائد مالا يعد ولا يحصى — ولقد قرر العلماء والمفسرين من السلف أن فى آية واحدة من سورة المائدة ألف مبحث . فقام فريق من العلماء والمفسرين من الخلف لاستقصاء هذا المباحث وسردها . فوصلوا منها فعلا إلى ثمانمائة بحث . . . فانظر رعاك الله إلى هذا الخير العظيم . الذى نرجبه إلينا آية واحدة من كتاب الله الحكيم . . . (١)

وكثيرا ماترى العلماء يفردون الكتب والمؤلفات لتفسير سورة من سور القرآن الكريم . أو للكلام على آية من كتاب الله تعالى .

ومن السور التى عنى بها كثير من العلماء وأفردوها بالتأليف سورتا المعوذتين — من هؤلاء الشيخ تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ — ومنهم الشيخ أبو عبدالله محمد بن ابى بكر الدمشقى المشهور بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ — ومنهم الشيخ محمد ابن محمود المشهور بالأمير من علماء القرن الثانى عشر الهجرى — وغيرهم كثيرون:

ولعل السبب فى ذلك يرجع إلي ما اشتملت عليه هاتان السورتان من المباحث الجليلة . وماذكر فى سبب نزولها من حادث خطير . هو سحر النبي ﷺ . ومافيهما من الارشادات النافعة . والفوائد العظيمه . مما ستقف عليه إن شاء الله .

---

(١) هى المعروفة عند العلماء بآية الوضوء . وهى قوله تعالى يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق الخ .

وقد ألف شقيق المرحوم الاستاذ محمد الخضرى هذا الكتاب فى تفسير هاتين السورتين الكريمتين فى جو من الشوق الغامر . والرغبة الملحة فى الوقوف على اسرارهما . وما أحتوتا عليه من الاحكام وماوقع حولهما من شبه واختلاف بين العلماء من السلف والخلف .

لهذا تراه قد عنى ببيان ذلك بالايضاح والتفصيل . مع عرض اراء العلماء وذكر أسانيدهم وأدلتهم . وتأييد ما يختاره منها . وذكر الشبه ومناقشتها والرد عليها . بحرارة الكاتب الذى يكتب عن عقيدة وإيمان بما يكتب . ودقة القانونى الضليع الذى قضى حياته فى البحث والتنقيب - هذا إلى بساطة الاسلوب وسهولة التراكيب . ووضوح العبارات مما تعم به الفائدة إن شاء الله .

والمؤلف رحمه الله لم يترك فائدة من الفوائد . ولا طرفة من الطرائف إلا وذكرها فى مناسبتها . وقد يعلق عليها .

وإذا كان الانسان بفطرته يميل دائمـــا إلى استطلاع ماخفى عليه واستيضاح ما استتر عنه . ولا سيما مايتعلق بالتأثيرات الغامضة فى عالمى الشهود والغيب . كتأثير السحر . وإصابة العين . والرقى والتمائم ونحو ذلك . والوقوف على حقيقة الاولياء وكرامتهم . وحقيقة الجن والشياطين وأحوالهم . ومايتعلق بذلك من منافع ومضار - فان هذا الكتاب الذى بين أيدينا . يشبع هـــذا الميل . ويحقق تلك الرغبة .

ويخرج المرء — حينما تعرض له هذه الأمور — من الحيرة إلى الاطمئنان . ومن الشك إلى الاستيقان .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن العلوم التى تبحث عن السحر وما شاكله . طالما سادها التضليل منذ القدم . فلم تكن يوما ما خالصة صافية — والسبب فى ذلك يرجع فى الغالب إلى أن بعض الباحثين فيها . والمشتغلين بها كثيرا مايجعلونها حرفة لهم يتعيشون منها — وقلما ينهض هذا السبيل بتحقيق العيش لهم عن طريق الحق والصدق . فيلجئون إلى الدعاوى الباطلة . والاقاويل الكاذبة . يغرون بها الناس . ويشبعون بها رغباتهم . استدرارا للمال . واستبقاء للنفع . وهذا وحده كاف فى تقلص مالديهم من علم . إن كان لديهم منه شىء . فان الكذب والضلال مادخلا أمرا إلا فسد .

ولو أن هذه العلوم سلمت من المضللين فيها . والمتطفلين عليها . ولقيت من ذوى العقول الناضجة . والنفوس الكريمة عناية فى البحث والتنقيب . ورغبة فى معرفة الحقائق خالصة صافية . ولا تشوبها شائبة . لوصلنا من ذلك إلى محصول وافر . وخير كثير . فان عالم الروح وما وراء المادة . لايزال فى حاجة إلى الفتح والدرس والاستكشاف .

والكتاب الذى بين أيدينا يمهد للبحث والاستقصاء . ويشوق إليه بما ينقل إلينا من آراء وأحكام وآثار . وهو فوق ذلك قد اشتمل على قصص ممتعة . وحوادث رائعة . وقعت فى أزمنة مختلفة : وعصور متعددة . تزجى إلى النفس كثيرا من الفوائد والعبر . .

فأنت حين تقرأ فى هذا الكتاب . ترى أنك فى روضة يانعة . قطوفها دانية . تنتقل من دوحه إلى روحه . ومن شجرة إلى شجرة . تقطف من هذه زهرة . ومن تلك ثمرة . فإذا بين يديك زهرات عاطرة . وثمرات ناضرة . ما تزال فى إمتاع روحى . وسرور نفسى . وشغف بمتابعة القراءة . حتى إذا ما انتهيت منه . رأيت نفسك وأنت جد مشوق إلى إعادة تلاوته . لتركيز مافيه من فوائد وملح وتثبيتها فى نفسك .

وتلك ميزة من الميزات العظيمة التى تمتاز بها بعض الكتب . وتكون سببا فى نجاحها ورواجها . وتحقق لها الفكرة التى ألفت من أجلها .

وربما مرت بك فى الكتاب قضايا ودعاوى لاتؤمن بها . ولكن المؤلف رحمه الله راعى الأمانة والدقة فى نقلها وإسنادها لقائلها وتركها بين يديك لتحكم لها أو عليها .

وقد بذل المؤلف جهدا متواصلا . وعناية فائقة فى وضع هذا الكتاب . وجمع ما اشتمل عليه من فوائد وفرائد . حتى بلغ هذا المبلغ الذى يسترعى الاعجاب . ويستوجب الثناء . فرحمه الله رحمة واسعة . وجازاه عليه أحسن الجزاء

* * *

هذا ما أردنا أن نذكره للقراء عن هذا الكتاب. ونرى من الواجب علينا أن نذكر كلمة عن المؤلف رحمه الله فنقول وبالله التوفيق :

هو المرحوم الاستاذ محمد الخضرى المحامى لدى محكمة الاستئناف الاهلية . والمحكمة العليا الشرعية . ابن المرحوم العلامة الشيخ عبدالرحمن الخضرى الذى كان شيخا لعلماء دمياط . توفى سنة ١٣٤٢ هـ ـ ابن المرحوم العلامة الشيخ عبدالحى الخضرى الذى كان كذلك شيخا للعلماء فى دمياط وتوفى بها سنة ١٣١١ هـ ـ ابن المرحوم العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد الخضرى الذى كان كذلك شيخا للعلماء فى دمياط والذى اشتهر بالتدريس والتأليف . ومن مؤلفاته حاشيته الشهيرة على شرح ابن عقيل فى علمى النحو والصرف . وحاشيته على شرح ملوى السمرقندية فى علم البيان . وحاشيته على شرح الشنشورى على الرحبية فى علم المواريث . وشرح اللمعة على الكواكب السبعة فى الفلك . وقد كانت له خبرة خاصة فى هذا العلم . وتوفى رحمه الله فى سنة ١٢٨٧ هـ .

ووالدته كريمة المرحوم السيد محمد الجمال ابن المرحوم السيد على الجمال نقيب السادة الأشراف بدمياط .

ولد المؤلف رحمه الله بدمياط فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م . ونشأ فى هذا البيت العلمى العظيم . فلما بلغ الثامنة التحق بمدرسة دمياط الأميرية . وكانت اللغة الأجنبية بها إذ ذاك الفرنسية . فلما غيرت بالانجليزية بعد ثلاث سنوات من التحاقه بها تركها والتحق بالمعهد الدينى

فتلقى فيه العلوم الشرعية والعربية حتى صار مبرزا بين أقرانه . ثم عاد إلى المدرسة . وحصل على الشهادة الابتدائية . ثم التحق بالمدرسة التوفيقية بشبرا . فحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية منها . والتحق بمدرسة الحقوق المصرية وكان ذلك سنة ١٩٠٧ م . وحصل منها على شهادة الليسانس بتفوق سنة ١٩١٠ م . ثم إقام بمدينة دمياط . وافتتح بها مكتبا للمحاماة . ومع نجاحه فيها واشتهار أمره . لم يلبث أن اختير محاميا بقضايا وزارة الاوقاف . وكان مدير القضايا يومئذ المرحوم خالد بك الفوال . فباشر عمله بقضايا الاوقاف بطنطا ثم مصر . ثم عن رئيسا لقسم قضايا الأوقاف ببنى سويف . وفى هذا المدينة تحسنت صحته . وشفى من (الروماتزم) الذى كان قد ألم به قبيل تخرجه من مدرسة الحقوق . فلما تقرر نقله منها لم يتردد فى الاستقالة . وافتتح بها مكتبا للمحامات الشرعية والاهلية . ولن يمض عليه زمن يسير حتى اشتهر أمره . فافتتح فرعا له بمدينة ببا . وأصبح يعمل بمحاكم القاهرة وبنى سويف وببا . وكانت له مكانة عظيمة فى الدوائر القضائية .

وأثناء وجود المؤلف ببنى سويف، مال رحمه الله إلى التصوف فقرأ كتب الصوفية . وأخذ العهد على الطريقة النقشبندية وحفظ القرآن الكريم كله . واشتغل بالعبادة وعمل الخير . وهكذا قضى فى بنى سويف حقبة من الزمن حافلة بالخير والبركة .

ثم انتقل إلى القاهرة وافتتح بها مكتبة . وحدث أن تعرف يوما

برجل يبدو عليه الصلاح والتقوى . ويعقد مجالس للعلم والارشاد . وتنشر بين أتباعه أخبار كراماته . فاتصل به واعتقد فيه وانخرط بين أتباعه . وكان الرجل على جانب من الدهاء وقوة التعبير وطلاقة اللسان . ثم لم يلبث أن تبين له أنه زنديق ماكر وإبليس من أبالسة الانس فاعتزله وأخذ فى تأليف هذا الكتاب . وقد أشار إليه صحيفة منه .

وقد أشرف رحمه الله على طبع هذا الكتاب بنفسه إلا قدرا يسيرا منه . فقد عاجلته منيته فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ م فذهب مأسوفا عليه من أهله وعارفيه . وحمل إلى مدينة دمياط حيث دفن بهامع آبائه وأجداده رحمه الله رحمة واسعة .

وقد رأيت من واجبى إتمام طبع الكتاب . وإخراجه للناس وفاء بحقه وإنقاذا لقصده .

والله المسئول أن ينفع به . وأن يجزى عليه مؤلفه خير الجزاء إنه سبحانه سميع الدعاء ؟

أحمد كامل الخضرى

شيخ معهد دمياط

الحمد لله الذى توحد بالجلال وتفرد بالجمال له الملك الذى لا يضام والعزة التى لا ترام والعين التى لا تنام أحمده حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده وأشكره على نعمه التى لا تحصى وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له المتعالى عن المشاركة والمشاكلة شهادة تخلصنا من شر النزغات الشيطانية وآثام الحياة الدنيوية حتى ننال بها أعلى الدرجات الأخروية وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه انسان عين الوجود والسبب فى كل موجود الذى أرسله الله تعالى للعالمين بشيرا ونذيرا وهاديا إليه باذنه وسراجا منيرا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وآل بيته والتابعين ورضى الله تبارك وتعالى عن الخلفاء الراشدين والائمة المجتهدين والأقطاب الواصلين والأولياء والصالحين ونفعنا باسرارهم وبركاتهم آمين .

أما بعد فيقول راجى عفو ربه ولطفه الخفى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحى بن محمد الخضرى الشافعى عامله الله ببره الحفى جمعنى ذات يوم مجلس ضم عددا من الأخوان كانوا يتناقشون فى مسائل هامة تتصل بالشرع الشريف وبالدين أهمها ماهو المراد بقول الله عز وجل فى المعوذتين (ومن شر النفاثات فى العقد) وهل صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره يهودى يقال له لبيد ابن الأعصم وما هو معنى السحر وهل له حقيقه أم هو مجرد إيهام وخدع وتخييل وهل للجن وجود وما هى حقيقتهم وهل صحيح أن من الناس من أكرمهم الله سبحانه وتعالى وأظهر على أيديهم خوارق العادات وهم الأولياء وتلك الخوارق التى ظهرت على أيديهم هى التى تسمى بالكرامات أم ان ذلك دجل بين وحديث خرافة وانقسم المجلس الى حزبين احدهما منكر والآخر مؤيد وكلاهما يرمى الآخر بالجهل والالحاد والضلال والخبال وقمت من المجلس

وأنا شديد الشوق إلى مراجعة كتب الشرع الشريف فلم أجد فيها كتابا مفردا قد وفى هذه المباحث حقها من البحث والتحقيق لدرجة تشفى الغلة وتطفىء ظمأ المتعطش إلى الوقوف على الحقيقة حتى تهدأ الضمائر وتطمئن فآليت على نفسى بعد أن استخرت الله تعالى أن أجمع ما تشتت وتبعثر فى امهات كتب الشرع الشريف من هذه المباحث مستعينا بالله القوى المتين الهادى إلى الصراط المستقيم وقد رتبته وبوبته أحسن ترتيب وتبويب وضمنته من بديع الفوائد وطريف النوادر والحوادث ما تقر به عين اللبيب فجاء بعون الله كتابا يزهو على الشروح والحواشي أعيذه بالله من كل حاسد وواشي وقد سميته (القول الشافى فى تفسير المعوذتين) رجاء أن يكون له من اسمه نصيب فتشفى به النفوس المتحيرة من وساوس شياطين الأنس والجن وتنشرح به الصدور المريضة فينقشع ما جثم عليها من ضلال المضلين والحاد الملحدين والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يجعل به النفع العميم وسبب الفوز بجنات النعيم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذا أوان الشروع فى المقصود فنقول وبالله التوفيق : —

الباب الاول — فى تفسير سورة الفلق

(بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) .

الفصل الاول — فيما ورد فى فضل المعوذتين

إعلم أن سورتى الفلق والناس نزلتا معا بالمدينة وعدد آى الأولى خمس بلا خلاف والثانية ست لا سبع وان اختاره بعضهم وقد سميتا بالمعوذتين بكسر الواو والفتح خطأ وكذا بالمقشقشتين أى المبرئتان يقال تقشقش المريض إذا أفاق وبرأ من علته كما سميت سورتا الكافرون والاخلاص أيضا بالمقشقشتين

أى المبرئتان من النفاق والشرك وكما سميت سورة الاخلاص والفلق والناس بالمعوذات وأيضا بالقواقل لابتداء كل منها بلفظ قل ـ هذا وقد ورد فى فضل المعوذتين مااخرجه مسلم والنسائى والترمذى وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال (انزلت على الليـــلة آيات لم أر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) واخرج البخارى وأبو داوود والنسائى وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها (ان النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهماما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات) كما ورد فى الحديث أن من قرأهما مع سورة الاخلاص ثلاثا حين يمسى وثلاثا حين يصبح كفته من كل شىء ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما) رواه الترمزى وقال حديث حسن . وبالجملة فسيتبين لك مما سنذكره فيما بعد عظم منفعة هاتين السورتين وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما وانه لايستغنى عنهما أحد وأن لهما تأثيرا خاصا فى دفع السحر والعين وسائر الشرور وان حاجة العبد إلى الاستعاذة بهما أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب واللباس .

الفصل الثانى — فى أسباب نزول المعوذتين

(١) عن سعيد بن المسيب ان قريشا قالوا نتجوع فنعين (١) محمدا ففعلوا ثم أتوه وقالوا ما أشـــد عضدك وأقوى ظهرك وأنضر وجهك فانزل الله تعالى المعوذتين .

---

(١) عانه من باب باع أصابه بعينه ورجل معيان وعيون شديد الاصابة بالعين وعائن يصيب بعينه ومعين ومعيون مصاب بالعين .

(٢) وروى أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وقال له إن عفريتا من الجن يكيدك فقل إذا أتيت على فراشك قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .

(٣) وقال جمهور المفسرين إن سبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت (سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا الله ثم دعا ثم دعا ثم قال أشعرت يا عائشة ان الله تعالى قد افتاني فيما أستفتيته فيه . قلت وما ذاك يا رسول الله ؟ قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ما وجع الرجل قال مطبوب (١) قال من طبه قال لبيد بن الأعصم (٢) قال في أي شيء قال في مشط (٣) ومشاطة (٤) وجف طلعة ذكر (٥) قال فاين هو قال في بئر ذي إروان (٦) قالت فاتاها

---

(١) مطبوب يعني مسحور روى أنه عليه الصلاة والسلام احتجم حين طب أي لما سحر كنوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللديغ ومنه الحديث فلعل طبا أصابه أي سحرا والطبيب في الاصل الحاذق بالامور العارف بها وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى (٢) بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة والاعصم بوزن أحمر بمهملتين (٣) مشط بضم الميم ويجوز كسرها وسكون الشين وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس أو اللحية وهذا هو المشهور ويطلق المشط بالاشتراك على أشياء أخرى منها العظم العريض في الكتف وسلاميات ظهر القدم (٤) هي ما يخرج من الشعر إذ مشط سواء كان من الرأس أو اللحية ويقال لها أيضا مشاقة كما ورد في بعض الروايات (٥) هو الغشاء الذي يكون على الطلع ويطلق على الذكر والانثى ولهذا قيده بالذكر في قوله طلعة ذكر وهو بالاضافة (٦) في بعض الروايات بئر ذروان بفتح الذال وسكون الراء هي بئر في بني زريق والاصل بئر ذي إروان ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان .

رسول الله ﷺ فى اناس من أصحابه ثم قال ياعائشة والله لكأن ماءها نقاعة(١) الحنـــاء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين (٢) قالت فقلت يا رسول الله أفلا أحرقته قال لا أما أنا فقد عافانى الله تعالى وكرهت(٣) أن أثير على الناس شرا فامرت بها فدفنت) .(٤)

والملكان على ما يدل عليه رواية ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس هما جبريل وميكائيل عليهما السلام - وفى الدلائل للبيهقى من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها بعد ذكر حديث الملكين فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ومعه أصحابه إلى البئر فدخل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة(٥) فاذا فيها مشط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن مشاطة رأسه وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا فيها إبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة فاتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين فقال يا محمد قل أعوذ برب الفلق وحل عقدة من شر

---

(١) بضم النون وتخفيف القاف والحناء معروف وهو بالمداى لون ماء البئرلون الماء الذى ينقع فيه الحناء قال القرطبي كان ماء البئر قد تغير أما لرداءته لطول اقامته واما لما خالطة من الاشياء التى القيت فيه (٢) وفى رواية عمرة عن عائشة رضى الله عنها فاذا نخلها الذى يشرب من مائها قد التوى سعفه كانه رؤوس الشياطين وقد وقع تشبيه طلع شجرة الزقوم فى القرآن برؤوس الشياطين قال الفراء وغيره يحتمل أن يكون شبه طلعها فى قبحة برؤوس الشياطين لانها موصوفة بالقبح وقد تقرر فى اللسان ان من قال فلان شيطان اراد أنه خبيث أو قبيح وإذا قبحوا مذكرا قالوا شيطانا أو مؤنثا قالوا غولا ويحتمل أن يكون المراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى بعض الحيات شيطانا وهو ثعبان قبيح الوجه (٣) قال النووى خشى من اخراجه واشاعته ضررا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة (٤) أى فأمر صلى الله عليه وسلم بالبئر فدفنت أى ردمت (٥) هى حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقى وقد يكون فى أسفل البئر إذا حفرت يجلس عليه الذى ينظف البئروفى رواية أخرى جاءت بلفظ رعوفة بدون مد قيل انها مشتقة من جاء فلان يرعف الخيل أى يتقدمها فهى لتقدمها وبروزها سميت بذلك .

ما خلق وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها وجعل لا ينزع إبرة الا وجد لها ألما ثم يجد بعد ذلك راحة فقيل يا رسول الله لو قتلت اليهودى قال قد عافانى الله تعالى وما يراه من عذاب الله تعالى أشد ـ وفى رواية أخرى ان الذى تولى السحر لبيد بن الأعصم ونباته فمرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر وهو كنقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر فاخرجوا اسنان المشط ومعها وتر عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاءوا بها النبى ﷺ فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال ـ وفى رواية أخرى قال ابن عباس وعائشة (كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الأعصم وهو رجل من اليهود فنزلت السورتان) ـ وفى رواية أخرى للبخارى أن النبى ﷺ لما سحر كان يرى أنه يأتى النساء وهو لا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك ـ وفى بعض الروايات أن رسول الله ﷺ لما سحر حبس عن عائشة رضى الله تعالى عنها فقط دون غيرها من بقية زوجاته ـ وفى حديث ابن عباس مرض النبى ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان الحديث ـ وقد جاء ان لبيد بن الأعصم يهودى من يهود بنى زريق كان قد أسلم نفاقا وبنو زريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرق وكان بين كثير من الأنصار وكثير من اليهود قبل الاسلام حلف وإخاء وود فلما جاء الاسلام ودخل الانصار فيه تبرؤا منهم فلما رجع النبى ﷺ من الحديبية فى ذى الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفا فى بنى زريق وكان

ساحرا فقالوا له يا أبا الأعصم أنت اسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير أجرا له على ذلك .

وقد اختلف فى مقدار المدة التى بقى فيها رسول الله ﷺ فى السحر فقال بعضهم هى أربعون يوما وقال آخرون انها ستة أشهر وقد جاء فى رواية عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها انها سنة قال الامام ابن حجر شارح البخارى ويمكن الجمع بان تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه ﷺ والأربعون يوما من استحكامه .

الفصل الثالث — فى انكار المعتزلة والمبتدعة لحديث سحر النبى ﷺ وتفنيد أدلتهم وحججهم وهدمها على رؤوسهم

ذهب عامة المعتزلة ومن على شكالتهم من المبتدعة والملاحدة إلى انكار حديث سحر النبى ﷺ زاعمين انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وقد طعنوا على أهل السنة والجماعة الذين رووا حديث السحر وأثبتوه ورموهم بالجهل والضلال والالحاد والخبال وقد جمع الشيخ محمد عبده الذى كان مفتيا للديار المصرية والذى دافع عنهم جميع ادلتهم وحججهم فى تفسيره لجزء عم المطبوع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٢ هـ صحيفة ١٨١ وما بعدها حيث جاء فيه ما نصه حرفيا (وقد رووا هنا أحاديث فى أن النبى ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله أو يأتى شيئا وهو لا يأتيه وان الله أنبأه بذلك واخرجت مواد السحر من بئر وعوفى ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أنه يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه (إن تتبعون الا رجلا

مسحورا) وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله وخيل له ان شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل اليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ولا ما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من انكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح فى نظر المقلد بدعه نعوذ بالله يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن فى نفية السحر عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك مع أن الذى قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون ان الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد بن الأعصم فانه قد خالط عقله وادراكه فى نظرهم والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذن هو ليس بمسحور قطعا وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون على أن الحديث الذى يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة وعلى أى حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه إذا خولط النبى فى عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه والأمر ظاهر لا يحتاج الى بيان ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقا فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ولكن من المحال أن يصيبه لأن الله عصمه منه ما أخر المحب

الجاهل وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه نعوذ بالله من الخذلان على أن نافى السحر بالمرة لا يجوز أن يعد مبتدعا لان الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون فى قوله آمن الرسول الآية وفى غيرها من الآيات الى آخر ما ذكره من اثبات ان السحر لا حقيقة له) ـ وللرد على ذلك نقول أن المعتزله ومن على شا كلتهم من المتكلمين والملاحده ينكرون أصلا أن للسحر حقيقة ثابتة وانما هم يزعمون أنه مجرد خدع وتخييلات مع أن السحر له حقيقة ثابتة بنص الكتاب والسنة الصحيحة كما سترى ذلك مفصلا فى الباب الثالث من هذا الكتاب ترادهناوهم لذلك ينكرون أحاديث سحر النبى ﷺ إما جهلا منهم وإما عناداً حتى لا تعارض مذهبهم فى السحر ـ وقد قال أهل السنة والجماعة فى الرد على هؤلاء الزنادقة أن صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة فى قولهم أنه عليه الصلاة والسلام مسحور (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) وذلك لأنهم كانوا يريدون بكونه مسحوراً انه مجنون أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه ولذلك قالوا فيه (معلم مجنون) فاما أن يكون مسحوراً بألم يجده فى بدنه فذلك مما لا ينكره أحد ولا نقص فى ذلك ولا عيب بوجه ما فالسحر الذى أصابه عليه السلام كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منه وعافاه والمرض يجوز على الأنبياء وكذلك الاغماء فقد أغمى عليه ﷺ فى مرضه ووقع حين انفكت قدمه وجحش (١) شقه وهذا من البلاء الذى يزيده الله به رفعة فى درجاته ونيل كرامته وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس ببدع أن يبتلى النبى ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلى بالذى رماه فشجه وابتلى بالذى القى على ظهره السلاء (٢) وهو ساجد وغير ذلك فلا نقص عليه ولا عار فى كل

---

(١) فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سقط من فرس فجحش شقه أى اخدش جلده وانسحج

(٢) السلاءة هى شوكة النخل والجمع سلاء بوزن جمار

ذلك بل هو من كماله وعلو درجته عند الله وبالجملة فالله تعالى ما كان ليسلط عليه ﷺ لاشيطانا ولاانسيا ولاجنياً يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله ورسالته وشرعه قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأما الاضرار به من حيث بشريته فى بدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث أنه نبي وانما كان فى بدنه من حيث إنه انسان وبشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والأكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح فى نبوته وإنما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير فى أمر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من أن يضره أحد فيما ضمن الله له من عصمته فى قوله (والله يعصمك من الناس) روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن أبا جهل رمى النبي عليه السلام بفرث (١) فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من الصيد بيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلقى أبا جهل فضرب رأسه بالقوس فقال أبو جهل أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة وأنتم أسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله تعالى اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فنزلت (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)

وفى كشف الأسرار فان قيل ما الحكمة فى نفوذ السحر وغلبته فى النبي ﷺ ولماذا لم يرد الله كيد الكائد الى نحره بابطال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب من نسبه الى السحر والكهانة لأن سحر الساحر عمل فيه حتى اعتراه المرض وصد عن الطعام والشراب ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فأجابه الله وبين له

---

(١) ما فى السكرش قال تعالى (من بين فرث ودم لبنا خالصا) يقال فرثت كبده أى فتتها وأفرث فلان أصحابه أوقعهم فى بلية جارية مجرى الفرث

أمره ولو كان مايظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على مازعم الكفرة اعداؤه لم يشتبه عليه ماعمل من السحر فيه ولتوصل إلى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من أقوى البراهن على صدق نبوته ـ وقال القاضى عياض فى كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (قد جاءت روايات حديث عائشة رضى الله عنها مبينة أن السحر انما تسلط على جسده الشريف ﷺ وظواهر جوارحه لا على عقله عليه الصلاة والسلام وقلبه واعتقاده ويكون معنى ما فى بعض الروايات حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتيهن وفى بعض أنه يخيل اليه أنه الخ أنه يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فاذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور وكل ما جاء فى الروايات من أنه عليه الصلاة والسلام يخيل اليه فعل الشيء ولم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق الى العقل وليس فى ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الضلالة) انتهى

ثم اعلم وفقنى الله وإياك الى طريق الحق والصواب أن كثيرا من أهل الكلام قد حملوا على هشام راوى حديث السحر عن عائشة رضى الله عنها وطعنوا فيه وكان غاية ما أحسنوا القول فيه ان قالوا غلط واشتبه عليه الأمر ولم يكن من هذا شيء فان هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين وما لهذا الشأن وقد رواه غير هشام عن عائشة وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء اعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه وتاريخ حياته من المتكلمين

وفضلا عما تقدم فقد أجمع المسلمون على أن أصح كتب الحديث وأعلاها سندا هى الكتب الخمسة المشهورة وهى صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داوود وجامع الترمذى والمجتبى للنسائى رضى الله عنهم وهى الأصول الخمسة التى اشتهرت فى الامة وارتضتها لما لها من المكانة العليا فى الحديث وقد روى

حديث السحر كل من البخارى ومسلم وقد التزم صاحباهما الا يرويا حديثا إلا إذا كان متصل السند بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالما من الشذوذ والعلة وهذا حد الصحيح عند العلماء بلا خلاف إلا أن مسلما اكتفى فى الراوى والمروى عنه أن يكونا فى عصر واحد وان لم يجتمعا بخلاف البخارى فانه اشترط اجتماعهما زيادة احتياط - قال ابن الصلاح رحمه الله كل ما حكم مسلم بصحته فى كتابه فهو مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر وكذا ما حكم البخارى بصحته فى كتابه لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول إلا من لا يعتد به - وقال امام الحرمين لو حلف انسان بطلاق امرأته أن كل ما فى البخارى ومسلم صحيح لما الزمته الطلاق لاجماع المسلمين على صحتهما ويؤثر عن الامام البخارى أنه قال خرجت كتابى هذا من زهاء ستمائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثا الا وصليت ركعتين وقد صنفه فى ست عشرة سنة وسمعه منه تسعون ألف رجل وعدد أحاديثه بدون المكرر أربعة آلاف حديث كما قاله النووى وقال الحافظ عدد مافيه بدون المكرر والموقوف والمعلق ٢٧٦٠ ستون وسبعماية وألفان فقط فعلم مما تقدم أن حديث السحر متفق عليه فى الصحيحين فلا ينكره الا كل معاند زنديق أو جاهل مدع لم يشم للعلم رائحة .

ومن الطريف فى هذا الموضوع الحادثة الآتية التى وقفت عليها بنفسى وألهمنى الله تعالى اثباتها فى هذا الكتاب وهى أن الشيخ محمد عبده الذى كان مفتيا للديار المصرية اتفق أن زار مدينة دمياط وقرأ درس تفسير فى جامع البحر هناك فسر فيه سورة الضحى وكان والدى رحمة الله عليه شيخا لعلماء دمياط فى ذلك الوقت فلما جاء الشيخ محمد عبده إلى آية (وأما السائل فلا تنهر) قال والسائل هو المستفهم عما لا يعلم وليس هو طالب الصدقة فان هذا اللفظ لم يرد فى كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين بل جرت سنة الكتاب المبين على ذكرهما بوصفهما فما كان من أحد طلبة معهد دمياط الابتدائى الا أن عارض الشيخ المذكور قائلا له يقول الله تعالى فى محكم كتابه (والذين فى أموالهم حق

معلوم للسائل والمحروم) أفليس السائل هنا معناه الفقير والمسكين الذى يطلب الصدقة والمال لاحتياجه اليهما فبهت الشيخ عند ذلك ولم يسعه إلا أن قال أصبت يابنى (راجع فى ذلك تفسير الشيخ المذكور لجزء عم صحيفة ١١٣ وهو نفس الكتاب الذى نقلت لك منه انكاره لحديث السحر ورميه علماء أهل السنة والجماعة وجمهور المفسرين والفقهاء بالجهل والضلال والالحاد والخبال) وكأنى به وقد أنكر أيضا الحديث الذى رواه أصحاب السنن بسند حسن وهو عن جندب ابن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) أولعله لم تمر عليه هذه الآية الكريمة (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) كما لم تمر عليه الآية السابقة (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ـ قال على كرم الله وجهه (من أفتى الناس بغير علم لعنه السماء والأرض) ـ وسألت بنت على البلخى أباها عن القىء إذا خرج إلى الحلق فقال يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله ﷺ فقال لا يا على حتى يكون ملىء الفم فقال علمت ان الفتوى تعرض على رسول الله ﷺ فآلبت على نفسى ان لا أفتى أبدا ـ وسئل الشعبى عن مسئلة فقال لا أعلم فقيل ألا تستحى وأنت فقيه العراقين قال ولم لا استحى مما لا تستحى منه الملائكة حيث قالت (لا علم لنا الا ما علمتنا) ـ وجاء يوما رجل إلى الإمام مالك رضى الله عنه وهو جالس فى درسه وكان مجلسه مهيبا فسأله أربعين سؤالا فاجاب عن ثمانية منها وقال فى الباقى لا أدرى فقال له الرجل إذا كنت لا تدرى جواب هذه المسائل فكيف تجلس مكانك هذا للتعليم فاخذت حدة الحق مالكا رضى الله عنه وضرب بيمناه كرسيه الذى يجلس عليه قائلا هذا مكان من يعلم شيئا وتخفى عليه أشياء أما من لا يخفى عليه شىء فليس له مكان فكان هذا جوابا رائعا عمت روعته الحاضرين هذا وقد تصفحت كتاب تفسير جزء عم المذكور الذى ألف فى الأصل ليكون مرجعا لاساتذة مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية فى تفهيم التلاميذ معنى ما يحفظونه من القرآن الكريم فوجدته محشوا بآراء

المعتزلة ونظرياتهم الفاسدة التى تتعارض ومذهب أهل السنة والجماعة وكأن الله سبحانه وتعالى أراد الخير لهذه الأمه فلم يتقرر هذا الكتاب فى مدارس الحكومة ولا فى غيرها ولم يقبل عليه أحد حتى انه لم يطبع منه طوال هذه المدة وهى تزيد عن الأربعين سنة الا الطبعة الأولى منه وهى لم تنفد بعد وقد اختتمنا هذا الكتاب ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة فاذا كنت ممن كتبت لهم الهداية والسعاده فارجع اليها وأحرص عليها وعض عليها بالنواجذ فهى بلا شك الفرقة الناجية الواردة فى حديث النبى ﷺ والحمد لله أولا وآخرا فهو الهادى إلى الصراط المستقيم والمحمد لانفاس الضالين المضلين

الفصل الرابع — فى معنى الاستعاذة وأركانها على العموم

اعلم ان لفظ عاذ وما تصرف منها يدل على الالتجاء والتحصن والتحرز والاعتصام فمعنى أعوذ أى ألتجىء وأتحصن وأتحرز وأعتصم وحقيقة معناها الهروب من شىء تخافه إلى من يعصمك منه ولذلك سمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ وحرزا وحصنا وفى الحديث أن ابنة الجون لما أدخلت على النبى ﷺ فوضع يده عليها قالت أعوذ بالله منك فقال لها عذت بمعاذ الحقى باهلك وأعلم أن الاستعاذة لا تتم الا بامور ثلاث وهى علم ثم حال ثم عمل فاما الأول فهو أن يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار الآجلة والعاجلة وان الله تعالى وحده هو القادر دون سواه على ايصال المنافع ودفع المضار فيتولد عن هذا العلم فى القلب حالة هى انكسار وخضوع وذلك هو الأمر الثانى الذى يتولد منه الأمر الثالث وهو أن يصير العبد مريدا لأن يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات فيطلب ذلك بلسانه فيقول أعوذ بالله فالركن الأعظم فى الاستعاذة هو أن يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والاجاز أن لا يعلم حاله فتقع الاستعاذة عبثا وأن يعلم انه تعالى قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان

يعلم انه تعالى جواد معطاء والا جاز أن يبخل بمقصوده وأن يعلم أن لا يقدر أحد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة فى الاستعاذة والحاصل أن العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم تصح منه الاستعاذة وفى بعض الكتب الألهية قال الله تعالى (وعزتى وجلالى لأقطعن أمل من يؤمل غيرى باليأس وألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولا جنبنه من قربى ولا بعدنه من وصلى ولا جعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى) ثم اعلم ان أركان الاستعاذة ثلاثة (١) مستعيذ (٢) مستعاذ به (٣) مستعاذ منه فالأول وهو المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر إلى الاستعاذة بالله ولهذا قال نوح عليه السلام (رب أعوذ بك أن أسألك مالبس لى به علم) فاعطى السلام والبركات قال الله تعالى (يا نوح أهبط بسلام منا وبركات عليك) وقال يوسف عليه السلام (معاذ الله انه ربى أحسن مثواى) فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى عليه السلام (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) فاغرق الله تعالى عدوه وأورثه أرضهم وديارهم وأموالهم وقالت أمرأت عمران وهى أم مريم عليها السلام (انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا) وقالت مريم عليها السلام لما رأت سيدنا جبريل فى صورة بشرية يقصدها فى الخلوة (انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) فوجدت نعمتين ولدا من غير أب وتنزيه الله اياها بلسان ذلك الولد عن السوء وهو قوله (انى عبدالله إلى آخر الآية) وقد أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة مرة بعد أخرى قال تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) فوقى شر النفاثات فى العقد وكفى شر الوسواس الخناس (٢) الركن الثانى المستعاذ به وهو الله أو كلمات الله كما جاء فى الأخبار (أعوذ بكلمات الله التامات) اما الله فهو

اسم الذات العليـــة ومعناه ذات بلا مثل وهو الاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء والصفات فاذا دعوت الله به فكأنك دعوته بجميع صفاته بخلاف سائر الأسماء لهذا صحت كلمة الشهادة به فقط دون غيره من بقية الأسماء وأما كلمات الله فالمراد بها هو قوله تعالى (انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) والمراد بقوله تعالى كن نفاذ قدرته فى الممكنات وسريان مشيئته فى الكائنات بحيث يمتنع أن يعرض له عائق أو مانع ولا شك أنه لا تحسن الاستعاذة بالله الا لكونه موصوفا بتلك القـــدرة القاهرة والمشيئة النافذة وأيضا ثبت فى علم المعقولات أن عالم الأرواح مستول على عالم الأجسام وانما هى المدبرات لأمور هـــذا العالم كما قال تعالى (فالمدبرات أمرا) فقوله أعوذ بكلمات الله التـــامات استعاذة من الأرواح البشرية بالارواح العالية المقدسة الطاهرة الطيبة فى دفع شرور الأرواح الخبيثة الظلمانية الكدرة فكلمات الله هى المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وانما تحسن الاستعاذة بالكلمات إذا كان قد بقى فى نظره التفات إلى ما سوى الله تعالى وأما إذا تغلغل فى بحر التوحيد لم يستعذ إلا بالله ومن الله كما قال ﷺ أعوذ بك منك فإذا فنى عن نفسه وفنى أيضا عن فناء نفسه قال أنت كما أثنيت على نفسك (٣) الركن الثالث المستعاذ منه وهو الشيطان وذلك لأجل دفع شره وقد يسمى كل متمرد من الجن أو الإنس أو الدواب شيطاناً قال عز وجل (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن) وركب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه برزونا فطفق يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتمونى إلا على شيطان وتجد فى هذا الكتاب فى الباب الخامس بحثا شاملا فى الكلام على الجن والشياطين وما جاء فيهم من عجائب الاخبار وغرائب الآثار .

التفســـير

لما أمر الله سبحانه وتعالى النبى ﷺ بقراءة سورة الإخلاص تنبيهاً له تعالى عما لا يليق به فى ذاته وصفاته وكان ذلك من أشرف الطاعات أمره أن

يستعيذ به من شر من يصده عن ذلك كالمشركين وكسائر شياطين الانس والجن فهذا وجه ذكر هذه السورة عقب سورة الإخلاص ثم لقائل أن يقول كيف قال فى افتتاح القراءة (فاستعذ بالله) وقال هنا (أعوذ برب) دون أن يقول بالله واجيب بان المهم الأول أعظم من حفظ النفس والبدن عن السحر والوسوسة فلا جرم ذكر هناك الاسم الأعظم وأيضا الشيطان يبالغ فى منع الطاعة أكثر مما يبالغ فى ايصال الضرر إلى النفس والبدن وأيضا كأن العبد يجعل تربيته السابقة وسيلة فى التربية اللاحقة

وفى (الفلق) وجوه فالاكثرون على أنه الصبح من قوله تعالى (فالق الاصباح) قال زهير : الفارج الهم مسدولا عساكره كما يفرج غم الظلمة الفلق

وقيل ان فى تخصيص الفلق بالذكر لانه انموذج من يوم القيامة فالدور كالقبور والنوم اخو الموت والخارجون من منازلهم صباحا منهم من يذهب فى نضرة وسرور ومنهم من يكون من مطالبة ديون فى غموم وشرور إلى أحوال أخر تكون للعباد وهى أشبه شيء بما يكون لهم فى المعاد وفيه اشارة إلى أن القادر على ازالة الظلمة عن وجه الأرض قادر على دفع ظلمة الشرور والآفات عن العبد وتعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبيء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفرج بعد الشدة والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما تعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه عز وجل ـ روى أن يوسف عليه السلام حين القى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الفجر نزل جبريل عليه السلام يسليه ويأمره بأن يدعو ربه فقال يا جبريل أدع أنت وأومن أنا فدعا جبريل وأمن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر فلما حصلت له الراحة قال يا جبريل أنا أدعو وتؤمن أنت فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخر الليل ـ وروى أن دعاءه فى الجب

كان (يا عدتى عند شدتى ويا مؤنسى فى وحشتى ويا راحم غربتى ويا كاشف كربتى ويامجيب دعوتى ويا إلهى و إله آبائى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ارحم صغرسنى وضعف ركنى وقلة حيلتى ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام) وقيل المراد بالفلق هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات (إن الله فالق الحب والنوى) والجبال عن العيون (وان منها لما يتفجر منه الانهار) والسحاب عن المطر والارحام عن الأولاد والشدة عن الفرج والقلوب عن المعارف إلى غيرذلك وقد رجح هذا المعنى الامام الآلوسى فى تفسيره المسمى بروح المعانى - وقيل ان الفلق واد فى جهنم إذا فتح صاح جميع من فيها من شدة حره وقيل هو سجن فى جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتعوذ بالله تعالى منه .

ثم اعلم أن سورة الفلق قد تضمنت الاستعاذة من شرور أربعة :

الأول (من شر ما خلق) أى من كل شر فى أى مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره انسيا كان أو جنيا أوهامة أو دابة أو ريحا أو صاعقة أو أى نوع كان من أنواع البلاء وليس المراد الاستعاذة من شر كل ماخلقه الله تعالى فان الجنة وما فيها ليس فيها شر وكذلك الملائكة والانبياء فانهم خير محض والخير كله حصل على أيديهم وانما المراد الاستعاذة من كل مخلوق فيه شر وكل شر فى الدنيا والآخرة وشر شياطين الأنس والجن وشر الذنوب والهوى والنفس حتى شر نفس المستعيذ فقد جاء فى الأخبار (اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها) - وقرأ عمر بن فائد من شر بالتنوين قال بن عطية هى قراءة عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بان الله تعالى لم يخلق الشر وحملوا ما على النفى وجعلوا الجملة فى موضع الصفة أى من شر ماخلقه الله ولا أوجده قال الامام الآلوسى وهى رواية مردودة مبنية على مذهب باطل اهـ قلت قد تقرر فى علم التوحيد ان الجائز فى حقه تعالى شىء واحد وهو فعل كل ممكن أو تركه أى فعل كل أمر قضى العقل بامكانه أى باستواء طرفيه أعنى الوجود والعدم سواء كان خيرا أو شرا وذلك كالخلق

والرزق والاحياء والاماته والايمان والكفر والغنى والفقر وتعذيب المطيع واثابة العاصى ونحو ذلك وهذا ما جرى عليه أهل السنة والجماعة ـ وذهب المعتزلة ومن على شاكلتهم إلى وجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى واحسن مارد عليهم به فى هـذا الباب ما وقع فى مناظرة الشيخ أبى الحسن الاشعرى إمام أهل السنة والجماعة لشيخه الجبائى وذلك أن الشيخ أبا الحسن سأله عن ثلاثة إخوة عاش أحدهم فى الطاعة حتى مات كبيرا وعاش الثانى فى المعصية حتى مات كذلك والثالث مات صغيرا فقال يثـــاب الأول ويعاقب الثانى والثالث لايثاب ولا يعاقب فقال له الشيخ أبو الحسن قد يقول الثالث يارب هلا أعمرتنى فاشتغل بطاعتك حتى اثاب فقال الجبائى يقول الله تعالى له علمت أنك لو عشت لاشتغلت بالمعصية فتعاقب فقال الأشعرى قد يقول الثانى يارب لم لم تمتنى صغيرا حتى لا أعصى فلا أعاقب فعجز الجبائى وبهت وقال أبك جنون يا أبا الحسن فقال لا ولكن وقف حمار الشيخ فى العقبة ثم ان الشيخ أبا الحسن تركه بعد ذلك واشتغل بابطال آراء المعتزلة واثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة فلذا سموا أهل السنة والجماعة ـ ويمكن الرد على هذه الطائفة الملحدة وهى المعتزلة أيضا بأن نقول لهم لا شك فى أن الارادة صفة من الصفات الواجبة فى حقه تعالى كما يستحيل فى حقه تعالى ضدها وهى الكراهة فاذا قلتم بأن الله سبحانه وتعالى لايريد الشرور والقبائح إذ لو أرادهما لما عذب عليهما للزم على قولكم هذا أن كثيرا من أفعال العباد واقع على خلاف مراده وهو شنيع جدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا ـ روى أن القاضى عبد الجبار الهمذانى دخل على الصاحب بن عباد وعنده الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني فلما رأى الاستاذ قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما أراد فقال عبد الجبار أفيريد ربنا أن يعصى فقال الاستاذ أفيعصى ربنا كرها فقال عبد الجبار أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء فقال الاستاذ ان منعك ما هو لك فقد أساء وان منعك ما هوله فهو يختص برحمته

من يشاء ـ وقال بعض العلماء هذا اشكال قوى لا تتخلص منه أهل السنة الا بقولهم لا يسئل عما يفعل وليس لأحد تحكم عليه

فان يثبنا فبمحض الفضل وان يعذب فبمحض العدل

والحاصل أن الحق الذى يجب علينا اعتقاده انه تعالى فاعل بالارادة والاختيار لا بالقهر والاجبار فلا يجرى فى ملكه قليل أو كثير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر غنى أو فقر طاعة أو عصيان فوز أو خسران الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته وارادته فلو اجتمع الأنس والجن والشياطين والملائكة على أن يحركوا فى العالم ذره أو يسكنوها بدون ارادته تعالى لعجزوا إلا أن الأدب عدم نسبة شىء من الشرور والقبائح اليه عز وجل الا فى مقام التعليم فقط وإلى ذلك يشير قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى كسبا بدليل قوله تعالى (قل كل من عند الله) وانظر لقول الخضر عليه السلام (فاردت أن اعيبها) حيث نسب العيب لنفسه مع قوله (فاراد ربك أن يبلغا أشدها ويستخرجا كنزهما) .

الثانى (ومن شر غاسق إذا وقب) هذا تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا وقيل أصله من السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه على الاستعارة وغسق العين سيلان دمعها وإذا وقب أى إذا دخل ظلامه فى كل شىء واصل الوقب النقرة والحفرة ثم استعمل فى الدخول وكذا فى المغيب لما أن ذلك مثل الدخول فى الوقب أى النقرة والحفرة والتخصيص بهذا الوقت لأن حدوث الشرفيه اكثر والتحرز منه أصعب واعسر ومن أمثالهم الليل اخفى للويل وأيضا لأن الليل محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة وفيه تنتشر الشياطين وتخرج الهوام من جحورها كما تخرج اللصوص وقطاع الطرق للافساد والسرقه والسلب ومن هنا يتبين السر فى الاستعاذة برب الفلق فى هذا الموضع فان الفلق الصبح الذى هو مبدأ ظهور النور وهو الذى يطرد جيش الظلام

وعسكر المفسدين فى الليل فيأوى كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سرب أوكن أو غار وتأوى الهوام إلى جحورها والشياطين التى انتشرت بالليل الى أمكنتها ومحالها لذلك أمر الله تعالى عباده أن يستعيذوا برب النور الذى يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيشها ـ وتفسير الغاسق بالليل والوقوب بدخول ظلامه أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ومجاهد وابن ابى حاتم عن الضحاك وروى عن الحسين أيضا ـ وقيل المراد بالغاسق القمر إذا امتلأ نورا على أن الغسق الامتلاء ووقوبه دخوله فى الخسوف وإسوداده وقيل التعبير عنه بالغاسق لسرعة سيره وقطعه البروج على أن الغسق مستعار من السيلان وقيل التعبير عنه بذلك لأن جرمه مظلم وانما يستنير من ضوء الشمس ووقوبه على القولين دخوله فى المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للمرض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب نزول السورة وقيل المراد بالغاسق الثريا ووقوبها سقوطها وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند ذلك وفى الحديث (إذا طلع النجم ارتفعت العاهة) وفى بعض الروايات زيادة عن جزيرة العرب وفى بعضها (ما طلع النجم ذات غداة الا رفعت كل آفة أو عاهة أو خفت) وقال الإمام الحافظ القاضى أبى بكر المالكى المعروف بابن العربى فى كتابه أحكام القرآن (المسئلة الثانية قوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب روى أنه الذكر وروى أنه الليل وروى أنه القمر وذلك صحيح خرجه الترمذى ووجه انه الذكر أو الليل لا يخفى ووجه انه القمر لما يتعلق به من جهة الجهل وعبادته واعتقاد الطبائعيين انه يفعل الفاكهة أو تتفعل عنه)

الثالث (ومن شر النفاثات فى العقد) هذا الشر هو شر السحر فان النفاثات فى العقد هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن عليها اى على كل عقدة يعقدنها حتى ينعقد مايردن من السحر والنفث هو النفخ مع ريق فاذا تكيفت نفس الساحر بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور مستعينا عليه بالارواح الخبيثة نفخ فى تلك العقد نفخا مع ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج

للشر والاذى مقترن بالريق الممازج لذلك ويقترن ذلك بكلمات يتلفظ بها الساحر من الكفر والفحش والمخالفة للشرع ويتوسل بسببها بالاستعانة إلى الشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة للشخص المسحور من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر ـ قال ابن القيم فان قيل فالسحر يكون من الذكور والاناث فلم خص الاستعاذة من الاناث دون الذكير وقال والجواب المحقق ان النفاثات هنا هن الأرواح والانفس النفاثات لا النساء النفاثات لان تأثير السحر انما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه انما يظهر منها فلذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير وهنا ذكر المفسرون حديث سحر النبي ﷺ وقد سبق ان ذكرناه مفصلا فى الفصل الثانى من هذا الباب عند الكلام على أسباب نزول المعوذتين هذا وقد أفردنا الباب الثالث من هذا الكتاب للكلام على السحر ومعانيه وضروبه وتاريخه فى الاسلام وعند الأمم الأخرى والأحكام الشرعية المتعلقة بالسحر والسحرة بما لا مزيد عليه .

الرابع (ومن شر حاسد إذا حسد) اعلم أن الحسد نوعان احدهما كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه وثانيهما عدم محبة زوالها وتمنى مثلها وهذا يسمى غبطة فالأول حرام مطلقا الا نعمة أصابها فاجر وهو يستعين بها على محرم كافساد وايذاء فلا يضر محبة زوالها عنه من حيث هى آلة الفساد واما الثانى فليس بمذموم فلا حرج على من يغبط غيره فى نعمه ويشتهى لنفسه مثلها مادام لم يحب زالها عنه ولم يكره دوامها له واما تمنى عين نعمة الغير بانتقالها اليه لرغبته فيها بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة لا زوالها فهو مذموم لقوله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) واما تمنيه لمثل ذلك فليس مذموما فاعرف الفرق ـ ثم اعلم أن الحسد كله مذموم إذ فيه اظهار السخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضره

وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان وقد قال تعالى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) أى لا يضيق صدرهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وأما المنافسة فليست بحرام بل قد تكون مطلوبة قال تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وقال ﷺ (لا حسد إلا فى اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس) وقد ورد فى ذم الحسد وتحريمه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) رواه الاربعة وعنه ان النبى ﷺ قال (اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب) رواه أبو داود وابن ماجه وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذاكم لكم افشوا السلام بينكم) رواه الترمذى فى الرقائق وفى الزواجر لابن حجر عد من الكبائر بعد الشرك حيث قال (الكبيرة الأولى الشرك الأكبر أعاذنا الله منه الكبيرة الثانية الشرك الأصغر وهو الرياء الكبيرة الثالثة الغضب بالباطل والحقد والحسد وقال لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتب إذ الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة فلذلك جمعتها فى ترجمة واحدة لأن ذم كل يستلزم ذم الآخر إذ ذم الفرع وفرعه يستلزم ذم الأصل وأصله وبالعكس) وعن بن سيرين رحمه الله (ما حسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لأنه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على أمر الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار) وقال

بعضهم الحاسد لا ينال من الناس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من نفسه الا جزعا وغما ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا ـ وقال الإمام على كرم الله وجهه (لله در الحسد ما أعدل له بدأ بصاحبه فقتله) وقال ابن المعتز : —

اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وقوله (إذا حسد) أى إذا ظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادىء الاضرار بالمحسود قولا وفعلا ومن ذلك على ما قيل النظر إلى المحسود وتوجيه نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب فان نفس الحاسد حينئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر فى المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد شرا قد يصل الى حد الاهلاك ورب حاسد يؤذى بنظره بعين حسده كما تؤذى بعض الحيات بنظرهن فتطمس البصر وتسقط الحبل كما ذكره النبى ﷺ فى الأبتر وذى الطفيتين منها وقال (اقتلوهما فانهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل) .

وقد ذكروا ان العائن والحاسد يشتركان فى أن كلا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد اذاه إلا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاينة والحاسد يحصل حسده فى الغيبة والحضور ـ قال ابن القيم والعائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد ولهذا والله أعلم انما جاء فى السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولا بد وليس كل حاسد عائنا فاذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته .

أسباب الحسد : — للحسد أسباب عديدة ومداخل كثيرة فمنها العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى منه التشفى والانتقام فان عجز المتنغص عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما أحال ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى

فمهما أصابت عدوه بليه فرح بها وظنها مكافأة من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما خطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما ومنها التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره ومنها حب الرياسة وطلب الجاه بأن يكون منفرداً عديم النظير غير مشارك فى المنزلة يسوءه وجود مناظر له فى المنزلة ومنها خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله بحيث يشق عليه أن يوصف عنده حسن حال عبد فيما أنعم عليه ويفرح بذكر فوات مقاصد أحد الناس واضطراب أموره وتنغيص عيشه فهو أبدا يحب الأدبار لغيره ويبخل بنعم الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورزالة فى الطبع ومعالجته شديدة لأنه خبث فى الجبلة لا عن عارض حتى يتصور زواله وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينتهك الحجاب وتظهر العداوة بالمكاشفة أعاذنا المولى من ذلك بلطفه وكرمه

بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب : اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع المحسود به فيهما ومتى عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك فى الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك أنك فارقت أولياءه وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس والكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب — وأما كونه

ضرراً فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا وتتعذب به ولا تزال فى كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه أنت لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك بسيف حسدك وأنت تعلم أن النعم لا تزول عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة والعقل أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب ممن يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يتحمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما إنه لا ضرر فيه على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك وأما إن المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح كذلك أما منفعته فى الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه وانت لا تشعر إذ تهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما كما حرمت أنت فى الدنيا عن النعمة — فاذا تأملت هذا علمت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فيهما وصرت مذموما عند الخالق وعند الخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود باقية شئت أم أبيت دائمة رغم أنفك فمن تفكر فى هذا وعقله بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه ـ وأما العمل النافع فيه فهو أن يكلف نفسه نقيض ما يتقاضاه الحسد وذلك بالتواضع للمحسود والثناء عليه ومدحه وإظهار السرور بالنعمة التى تفاض عليه فتعود القلوب إلى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جداً الا أنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع فى الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء

والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى الثواب والرضا بقضاء الله تعالى .

﴿ فى الأصابة بالعين وفى علاج المنظور ﴾

عنت الرجل أصبته بعينك فهو معين ومعيون ، ورجل عائن ومعيان وعيون الذى يصيب بعينه والنظرة أيضا الأصابة بالعين والمنظور المصاب بها والعين والنظرة نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر ـ وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون والجواب أن طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن فى الهواء الى بدن المعيون فقد نقل عن بعض من كان معيانا أنه قال إذا رأيت شيئا أعجبنى وجدت حرارة تخرج من عينى ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها فى اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد الطهر لم يفسد وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسها يدها ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو وهذا مبطل لقول الطبائعيين أنه لا شىء الا ما تدرك الحواس الخمس وما عدا ذلك لا حقيقة له ـ وأما مذهب أهل السنه فى ذلك فهو أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى عند مقابلة شخص لآخر وهل ثم جوهر خفى أو سم ينبعث من عين العائن يصل الى المعيون فيضره أو يهلكه أولا هو أمر محتمل لا يقطع بنفيه أو اثباته ومن قال ممن ينتمى الى الاسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الله الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم فقد أخطأ بدعوى القطع ولكن جاز أن يكون ذلك عادة ليست ضرورة ولا طبيعة والحق أن الله سبحانه وتعالى يخلق عند نظر العائن اليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكة وقد يصرفه قبل وقوعه إما بالاستعاذة أو غيرها وقد يصرفه بعد وقوعه بالرقية أو بالاغتسال أو بغير

ذلك هذا وقد ورد أن جنسا من الافاعى اشتهر أنها إذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن وقد أشار ﷺ إلى ذلك فى حديث أبى لبابة فى الأبتر وذى الطفيتين من الأفاعى وقال (اقتلوهما فانهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل) والحاصل أن التأثير بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصوراً على الاتصال الجسمانى بل تارة يكون به وتارة يكون بالمقابلة وأخرى بمجرد الرؤيه وأخرى بتوجه الروح كالذى يحصل من الأدعية والرقى والالتجاء الى الله وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذى يخرج من عين العائن سهم معنوى إن صادف البدن لا وقاية له أثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسى سواء هذا وقد جاءت الأخبار الصحيحة بأن الاصابة بالعين لا شك فيها وأن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان وأن جبريل عليه السلام كان يرقيه بقوله (بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك) وروى عن عبيد بن رفاعه أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفنسترقى لهم قال نعم فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (العين حق ولوكان شىء سابق القدر لسبقته العين وإذا أستغسلتم فاغسلوا) وروى البخارى رحمه الله عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سَفْعة (١) فقال (استرقوا لها فإن بها النظرة) وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر) روى أن رجلا من العائنين كانت تمر به الناقة أو البقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه خذ المكتل (٢) والدرهم وأتنا بشىء من لحمها فما تبرح

---

(١) بفتح ويجوز الضم واصل السفع الاخذ بقهر ومنه قوله تعالى (لنسفعا بالناصية) وقال صاحب البارع فى اللغة السفع سواد الخدين من المرأة الشاحبة والشحوب تغير اللون بهزال أو غيره ومنه سفعاء الخدين وعن الاصمعى ان السفعة حمرة يعلوها سواد وقيل صفرة وقيل سواد مع لون آخر قال ابن قتيبه هى لون يخالف لون الوجه وكلها متقاربة وحاصلها ان بوجهها موضعا على غير لونه الاصلى

(٢) المقطف

حتى تقع فتنحر قال الكلبى كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الأبل والغنم فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها طائفة وروى البخارى رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (العين حق ونهى عن الوشم) لم تظهر المناسبة بين هاتين الجملتين فكأنهما حديثان مستقلان ولهذا حذف مسلم وأبو داود الجملة الثانية من روايتهما قال فى فتح البارى ويحتمل أن يقال المناسبة بينهما اشتراكهما فى أن كلا منهما يحدث فى العضو لونا غير لونه الأصلى ثم قال وقد ظهرت لى مناسبة بين هاتين لم أر من سبق اليها وهى أن من جملة الباعث على عمل الوشم تغير صفة الموشوم لئلا تصيبه العين فنهى عن الوشم مع اثبات العين وأن التحيل بالوشم وغيره مما لا يستند إلى تعليم الشارع لا يفيد شيئاً وأن الذى قدره الله سيقع والوشم بفتح الواو ثم سكون أن يغرز ابرة أو نحوها فى موضع من البدن حتى يسيل الدم ثم يحشى ذلك الموضع بالكحل أو نحوه فيخضر - وقالت عائشة رضى الله عنها (كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين) وفى كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره) وفيه عن عامر بن ربيعة قال : قال رسول الله ﷺ (إذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه وما له فليدع بالبركة) وقال السدى فى قوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) أى يصيبونك بأعينهم قال الحسن دواء إصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية وروى مالك عن ابن شهاب عن أبى امامه بن سهل بن حنيف قال (رأى عامر بن ربيعة سهل بن سهل بن حنيف يغتسل فقال والله مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة (١)

---

(١) هى الجارية التى فى خدرها ولم تتزوج بعد لان صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت (والخبأة الطلعة) هى التى تطلع مرة وتختبىء أخرى ومنه حديث الزبرقان (ابغض كنائنى الى الطلعة الخبأة) والكنائن جمع كن وهى امرأة الابن أو امرأة الاخ اراد امرأته فسماها كنتهما لانه أخوهما فى الاسلام

قال فلبط (١) سهل فاتى رسول الله ﷺ عامر فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ثم صب عليه فراح مع الناس)

فهذه الاحاديث وهذه الاخبار كلها صريحة فى إصابة العين وفى مشروعية الرقية منها انما يلاحظ أن العين لا تؤثر بمجردها اذ أن العائن لو نظر اليه نظرة لاه وساه عنه كما ينظر الى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيء وانما إذا نظر اليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وأتسمت واحتدت فصارت نفسا غضبية خبيثة حاسده أثرت بهاتلك النظرة فأثرت فى المحسود وعملت عملها فيه والتجارب عند العامة والخاصة بهذا أكثر من ان تذكر - هذا وقد بينت الأحاديث المتقدمة طريقين للمعالجة من العين الطريق الأول من طرق المعالجة من العين هو أمر العائن بالاغتسال عند طلب المعيون منه ذلك وفى ذلك أشارة الى أن الاغتسال لهذا الغرض كان معلوما بينهم فامرهم أن لا يمتنعوا منه إذا أريد منهم وأدنى ما فى ذلك رفع الوهم الحاصل فى ذلك وظاهر الأمر الوجوب كما قاله ابن حجر وحكى المازرى فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشى الهلاك وكان اغتسال العائن مما جرت به العادة بالشفاء فانه يتعين وأنه قد تقرر أنه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى وبيان الغسل فى حديث أحمد والنسائى وابن حبان كالآتى (يغسل العائن وجهه ويديه الى المرفقين ومن سرته الى أسفل جسمه ويوضع الماء فى قدح ويصب على المعين على رأسه وظهره ثم يكفأ القدح فيبرأ بإذن الله) قال المازرى هذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربى إن توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله أعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة أو

---

(١) أى صرع وزنا ومعنى ويتلبط أى يتمرغ ومنه حديث أم اسماعيل جعلت تنظر اليه يتلوى ويتلبط ولبط بالرجل فهو ملبوط به ومنه حديث عائشة رضى الله عنها تضرب اليتيم وتلبطه أى تصرعه الى الارض

متفلسف فالرد عليه أظهر لان عنده أن الأدوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لايدرك ويسمون ماهذا سبيله خواص الاشياء ـ وقال ابن القيم هذه الكيفية لا ينتفع بها من أنكرها ولا من سخر منها ولا من شك فيها أو فعلها على سبيل التجربة غير معتقد وإذا كان فى الطبيعة خواص لايعرف الاطباء عللها بل هى عندهم خارجة عن القياس وانما تفعل بالخاصية فلماذا تنكر جهلتهم هذا وهو من الخواص الشرعية وفضلا عن ذلك فان فى المعالجة بالاغتسال مناسبة لا تأباها العقول الصحيحة فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها وهذا علاج النفس الغضبية توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر تلك العين كشعلة نار وقعت على جسد المعيون فنى الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة ـ ثم اعلم أن هذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة فاما عند الاصابة وقبل الاستحكام فقد أرشد الشارع الى ما يدفعه وهو الطريق الثانى من طرق المعالجة من العين وهذا العلاج هو الرقى وهو المشار اليه فى قصة سهل بن حنيف (الا بركت) وفى الرواية الأخرى (فليدع بالبركة) وفى رواية ابن السنى من حديث أنس (من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره هذا) هذا وقد قرر العلماء أن العائن إذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وأن الذى يعجبه الشىء ينبغى له أن يبادر الى الدعاء للذى يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه كما قرر العلماء أن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل الصالح أو المحب وقد تكون العين من نفس الشخص على ماله هو أو بدنه أو ولد من أولاده وعند ذلك ينبغى أن يدعو بالبركة هذا وقد قرر العلماء أن الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلفوا فى جريان القصاص فقال القرطبى لو أتلف العائن شيئا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وقال الشافعى لا شىء عليه لأنها لا تقتل غالبا ولان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وقال النووى فى الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لما تقدم ولأنه لم يقع من العائن فعل أصلا وإنما غايته حسد وتمن لزوال نعمة ولأن الذى ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه للشخص

المنظور ولا يتعين ذلك المكروه فى إزالة الحياة فقد يحصل له مكروه بسبب آخر غير أثر العين اه قيل ولا يعكر على ذلك الا الحكم بقتل الساحر فانه فى معناه والفرق بينهما فيه عسر ـ هذا وقد نقل عن بعض أهل العلم انه ينبغى للحاكم منع العائن إذا عرف بذلك من مخالطة الناس وأمره بأن يلزم بيته فان كان فقيرا أرزقه ما يقوم به فان ضرره أشد من ضرر المجذوم الذى أمر عمر رضى الله عنه بمنعه من مخالطة الناس قال النووى وهذا القول صحيح متعين ولم يقل بخلافه أحد من العلماء

﴿ فى بيان معنى النشرة وهل هى جائزة شرعا وأفضل طرقها ﴾

النشرة بالضم نوع من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا قيل لها ذلك لأنه يكشف بها وينشر عنه ماخالطه وما خامره من الداء ويقال نشرت عنه تنشيرا ومنه الحديث فلعل طبا أصابه ثم نشره بقل أعوذ برب الناس ـ وقال ابن الجوزى النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ـ وقد اختلف العلماء فى حكمها فالبعض لم يجزها عملا بحديث (النشرة من عمل الشيطان) أما جمهور العلماء فقد أجازوها فقد سئل الامام أحمد رضى الله عنه عمن يطلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به قال فى فتح البارى وهذا هو المعتمد وقد أفرد البخارى رحمه الله لذلك بابا تحت عنوان (باب هل يستخرج السحر) قال فى فتح البارى كذا أورد الترجمة بالاستفهام اشارة إلى الاختلاف وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز اشارة الى ترجيحه وهو (قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب رجل به طب ويؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه) وفى رواية أخرى عن هشام الدستوائى عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه فقال انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع وكان الحسن رضى الله عنه يكره ذلك ويقول لا يعلم ذلك الا ساحر ـ وفى فتح البارى أيضا ويؤيد مشروعية النشرة ما تقدم فى حديث العين حق فى قصة اغتسال العائن قال ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله والنشرة من عمل

الشيطان اشارة إلى أصلها ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرا كان خيرا وإلا فهو شر ثم الحصر المنقول عن الحسن رضى الله عنه ليس على ظاهره لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعاويذ ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين انتهى قال فى فتح القدير وممن صرح بجواز النشرة المزنى صاحب الشافعى رضى الله عنه وأبو جعفر الطبرى وغيرهما وأن صفة النشرة هى أن يؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدق بين حجرين ثم يضربه بالماء وتقرأ فيه آية الكرسى والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله وأما إذا لم يقدر الرجل على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فان المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسا ذا قطارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى إذا ما حمى الفأس استخرجه من النار وبال على حره فانه يبرأ بإذن الله تعالى ـ أو يجمع ما قدر عليه من ورود المغارة وورود البساتين أيام الربيع ثم يلقيها فى اناء نظيف ويجعل فيه ماء عذبا ثم يغلى ذلك الورد فى الماء غليا يسيرا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فانه يبرأ بإذن الله تعالى إنتهى ـ قلت وقد أفرد كثير من العلماء فى بعض كتبهم بابا خاصا يتعلق بحل المربوط عن النساء مثل كتاب مجربات الشيخ أحمد الدير بى الكبير المسمى بفتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد وكتاب الرحمة فى الطب والحكمة للامام العالم العلامة شيخ الاسلام جلال الدين السيوطى وانما يلاحظ أن فى كتاب الامام السيوطى المذكور فوائد كثيرة وأنواع مختلفة من النشرات معظمها يشتمل على طلاسم وحروف وكلمات غير جائزة شرعا ويجب اجتنابها وبعضها خليط من هذه الالفاظ الغير مفهوم والمعميات ومن القرآن وهذه أيضا غير جائزة ويجب اجتنابها لاحتمال اشتمالها على شىء من الشرك والكفر وعبادة الشياطين والتقرب اليهم والظاهر أن حديث النشرة من عمل الشيطان يقصد بالنشرة ما كانت من هذه الأنواع الغير جائزة شرعا قال فى فتح البارى فى آخر باب (هل يستخرج السحر) ما نصه :

﴿ أفضل طرق النشرة ﴾

(تكميل - قال ابن القيم من انفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذى هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان ممتلئا من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تأثير السحر هو فى القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويحكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظم مقامه وصدق توجهه ولازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذى ذكره محمول على الغالب وانما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم) .

الباب الثانى — فى تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس)

تضمنت هذه السورة أيضا استعاذة ومستعاذا به ومستعاذا منه فالاستعاذة تقدمت وأما المستعاذ به فهو الله (رب الناس ملك الناس إله الناس) فذكر ربوبيته للناس وملكه إياهم والهيته لهم فالاضافة الأولى وهى (رب الناس أى الذى رباهم بالنعم وأدبهم بالنقم فهو سبحانه وتعالى المدبر لأمورهم وجلب مصالحهم وما يحتاجون اليه ودفع الشر عنهم وحفظهم مما يفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وهذا يقتضى قدرته العامة ورحمته الواسعة وعلمه التام بتفاصيل أحوالهم واجابة دعواتهم وكشف كرباتهم والاضافة الثانية (ملك الناس) أى الذى يحكمهم ويضبط أعمالهم فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه النافذ القدرة عليهم الذى له السلطان التام عليهم والذى يضع لهم الشرائع وأحكام دينهم ومعاشهم فلا صلاح لهم ولا قيام لهم إلا به والاضافة الثالثة

(إله الناس) أى فهو إلههم الحق ومعبودهم الذى لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره وهو ملاذهم إذا ضاق بهم الأمر وادلهمت عليهم الخطوب فإليه يهربون إذا دهمهم العدو ويستصرخونه إذا نزلت الشدائد بساحتهم ومتى كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا فلا مفزع لنا فى الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا اليه فلا ينبغى لنا أن ندعو ولا أن نخاف ولا أن نرجو ولا أن نحب ولا أن نذل ونخضع لسواه ولا أن نتوكل إلا عليه فظهرت بذلك مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة وأشدهم ضررا وأبلغهم كيدا وهو الوسواس الخناس فقال تعالى (من شر الوسواس) أصل الوسوسة الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه وقد قيل لأصوات الحلى عند الحركة وسوسة والوسواس هو الشيطان سواء كان من الانس أو الجن وهو الذى يوسوس بالشر والفساد والكفر فى صدور الناس كما سيجىء وقوله (الخناس) من خنس إذا رجع واختفى ومنه قول أبى هريرة رضى الله عنه (لقينى النبى ﷺ فى بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه) ومنه أيضا قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس) قال قتادة هى النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتختفى ولا ترى ـ فالعبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه وبذر فيه أنواع الوسوسة التى هى أصل الذنوب كلها فاذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس الشيطان وانقبض وتوارى فإن ذكر الله هو مقمعته التى يقمع بها كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التى تردعه من سياط وحديد وعصى ونحوها فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التى تؤذى من يضرب بها ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر الله وطاعته وعلى العكس من ذلك شيطان الكافر أو الفاجر يكون فى راحة ودعة ولهذا يكون قويا عاتيا وشديدا وكذلك إذا كان الموسوس من شياطين الانس فانك إذا ذكرت دين الله وشرعه وما أعده للمؤمنين من النعيم وللكافرين والفجار من العقاب الشديد لم تستمع لوسوسته وزجرته عند ذلك يخنس ويسكت حتى يجد فرصة أخرى فيعاود

الوسوسة بالفواحش وضروب الأذى بالناس وقوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) بيان لمحل وسوسة الشيطان وانها فى صدور الناس وقد جعل الله للشيطان دخولا فى جوف العبد ونفوذا إلى قلبه وصدره فهو يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد وكل به فلا يفارقه إلى الممات وانما جعل الوسوسة فى الصدر على ما عهد فى كلام العرب من أن الخواطر فى القلب والقلب مما حواه الصدر فيقال مثلا ان الشك يحوك فى صدره وما الشك الا فى نفسه وعقله وأفاعيل النفس فى المخ وان كان يظهر لها أثر فى حركات الدم وضربات القلب وضيق الصدر وانبساطه وكل ما جاء فى خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على الصدر أو القلب فهو من قبيل التمثيل والتصوير فقط لا على سبيل الحقيقة بدليل ان القسم الثانى من الموسوسين وهم الناس فان الله تعالى نسب الوسوسة اليهم على السواء فقال (من الجنة والناس) ومع ذلك ليس للموسوسين من الناس خرطوم وخطم ومنقار يدخل فى الصدر ويوضع على اذن القلب فاذا ذكر الله خنس الخرطوم وتأمل حكمة القرآن وجلالته وبلاغته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه واكتفى بوصفه باعظم صفاته وأشدها شرا وأقواها تأثيرا وأعمها فساد اوهى الوسوسة التى هى أصل كل معصية وبلاء فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه والافشره بغير الوسوسة حاصل أيضا فمن شره أنه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف وكذلك يبيت فى البيت إذا لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الأنس بغير اذنهم ويبيت فى بيوتهم بغير أمرهم ومن ذلك انه إذا نام الانسان عقد على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة كما ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ

انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان) ومن شره أنه يبول فى أذن العبد حتى ينام إلى الصباح ومن غريب أمر هذا الشيطان انه رضى لنفسه بالقيادة لفجرة بنى آدم ولم تمنعه النخوة ولا الكبر أن يكون قوادا لذرية آدم الذى أبى واستكبر أن يسجد له كما قال بعضهم : -

عجبت من إبليس فى تيهه وقبح ما أظهر من نخوته
تاه على آدم فى سجدة وصار قوادا لذريتـه

(فصل - فى مداخل الشيطان)

قال الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير المسمى مفاتيح الغيب (اعلم أن المداخل التى يأتى الشيطان من قبلها فى الأصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب أعظم منها والغضب آفة لكن الهوى أعظم منها فقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء المراد آثار الشهوة وقوله والمنكر المراد منه آثار الغضب وقوله والبغى المراد منه آثار الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب يصير ظالما لغيره وبالهوى يتعدى ظلمه إلى حضرة جلال الله تعالى ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله أن يتركه فالظلم الذى لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذى لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذى عسى الله أن يتركه هو ظلم الانسان نفسه فمنشأ الظلم الذى لا يغفر هو الهوى ومنشأ الظلم الذى لا يترك هو الغضب ومنشأ الظلم الذى عسى الله أن يتركه هو الشهوة ثم ان هذه الثلاثة لها نتائج فالحرص والبخل نتيجة الشهوة والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة الهوى فاذا اجتمعت هذه الستة فى بنى آدم تولد منها سابع وهو الحسد وهو نهاية الأخلاق الذميمة كما أن الشيطان هو النهاية فى الأشخاص المذمومة ولهذا ختم الله مجامع الشرور الانسانية بالحسد وهو قوله ومن شر

حاسد إذا حسد كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة وهى قوله الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس فليس فى بنى آدم أشر من الحاسد كما أنه ليس فى الشياطين أشر من الوسواس بل قيل الحاسد أشر من ابليس روى أن ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت إلها لما جهلتنى فلما دخل قال فرعون أتعرف فى الأرض شرا منى ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فى هذه المحنة فاصول الأخلاق القبيحة هى تلك الثلاثة والأولاد والنتائج هى هذه السبعة المذكورة) انتهى كلام الفخر وقال صاحب روح البيان (إعلم ان أهل الهوى على أنواع فالمعتزلة والشيعه ونحوهما من أهل القبلة أهل هوى لأنهم يخالفون أهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم فيضلون الناس بهواهم كما يضل الكفار وأهل الشرك وكذا أهل الدنيا أهل هوى بالنسبة إلى أهل العقبى فان الكون كله خيال وتابع الخيال لا يعد من العقلاء والرجال وعن بهلول رحمه الله قال بينما أنا ذات يوم فى بعض شوارع البصرة إذ الصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكى فقلت هذا صبي يتحسر على ما فى أيدى الصبيان ولا شيء معه فيلعب به فقلت له أى بنى ما يبكيك أشترلك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره إلى وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت أى بنى فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت من أين لك ذلك بارك الله فيك قال من قول الله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) وكذا أهل العقبى أهل هوى بالنسبة إلى أهل المولى فاهل المولى تجردوا عن تعلق الكونين وتجاوزوا عن اعتبار الوصل والبين وما نظروا إلى شيء غيره وقد حرم الله الدنيا على أهل الآخرة والآخرة على أهل الدنيا وحرم كلا منهما على أهل الله تعالى لكن من تناول من الدنيا قدر ما يسد به جوعته ويستر به عورته فانه ليس من أهل الدنيا لأن ذلك من الضرورات البشرية وفيه اذن الله تعالى للمحافظة على الدائرة البدنية التى هى الأس) انتهى المنقول من روح البيان .

إذا تبين هذا فاعلم أن كل معصية أو بلاء أو شر أصله من الشيطان فقد اقسم بالله ليقعدن لبنى آدم صراته المستقيم واقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولقد بلغ شره ان اعمل المكيدة وبالغ فى الحيلة فى إبطال دعوة الله من الأرض وقصد أن تكون الدعوة له وأن يعبد من دون الله فهو ساع باقصى جهده على اطفاء نور الله واقامة دعوة الكفر والشرك ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض ويكفى فى بيان خطره انه تصدى لسيدنا آدم عليه السلام حتى أخرجه من الجنة وتصدى لسيدنا ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات حتى رماه قومه بالمنجنيق فى النار فرد الله كيده عليه وجعل النار على خليله بردا وسلاما وتصدى للمسيح عليه السلام حتى أراد اليهود قتله وصلبه فرد الله كيده وصان المسيح ورفعه اليه وتصدى لزكريا ويحيى عليهما السلام حتى قتلا واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم فى الأرض ودعوى الربوبية فقال (أنا ربكم الأعلى) وتصدى للنبى ﷺ وظاهر الكفار على قتله بجهده وحيلته والله تعالى يكبته ويرده خاسئا وتفلت على النبى ﷺ بشهاب من نار يريد أن يرميه به وهو فى الصلاة فجعل النبى عليه السلام يقول العنك بلعنة الله وأعان اليهود على سحرهم للنبى ﷺ وبالجملة فلا يمكن حصر أنواع شره فضلا عن آحادها ولكن يمكنا حصر شره فى ستة أجناس لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر وهى : —

الشر الأول ـ شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله ـ فاذا ظفر بذلك برد أنينه واستراح من تعبه معه وهذا الشر هو أول ما يريد من العبد فلا يزال به حتى يناله منه فاذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره واستنابه على أمثاله وأشكاله فصار من دعاة ابليس ونوابه والعياذ بالله ومن أمثلة وسوسة الشيطان بالكفر والشرك أن يلقى فى قلب العبد صحة مذاهب الكفر المختلفة كالقدريه القائلين بان الله تعالى لم يخلق المعصية وان الزنا مثلا لم يكن بمشيئته تعالى قال الحافظ الكبير إمام الأئمة ورأس المحدثين شيخ الاسلام أبى بكر محمد

بن اسحق بن خزيمة فى كتابه التوحيد والقدرية مخلدون فى النار قال تعالى (ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر) قيل انه يقول ذلك للقدرية يوم القيامة إلى أن قال وقال عليه السلام (القدرية مجوس هذه الأمة) وان أول من تكلم بالقدر جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل الخير والشر من الله وقال ميكائيل الخير من الله والشر من العباد إلى أن تحاكما إلى اسرافيل فقضى بينهما بالحق القدر خيره وشره حلوه ومره كله من الله تعالى وقد اختلف أيضا فى ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال أبو بكر مثل قول ميكائيل وقال عمر مثل قول جبريل فقضى رسول الله ﷺ بينهما مثل قضاء اسرافيل ثم التفت النبي عليه السلام إلى أبى بكر فقال (يا أبا بكر ان الله لو أراد أن لا يعصى فى أرضه لم يخلق ابليس) فقال أبو بكر صدق الله وبلغ رسوله بابى أنت وأمى يا رسول الله كانت منى زلة فى هذا القول وهفوة ولا أعود فيه أبدا ـ وكالمعتزلة وهم الذين تركوا السنة والجماعة واعتزلوا عن الصراط المستقيم وتركوا الكتاب والسنة وقالوا بالمعقول وما وافق هواهم ولو خالف ذلك الكتاب وما ورد عن رسول الله ﷺ قال الإمام ابن خزيمة فى كتابه التوحيد المتقدم ذكره (المعتزلة عندنا شر من المجوس لأنهم قالوا بما يوافق هواهم وبما هو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله فى صفاته تعالى وقالوا بان القرآن مخلوق وانكروا عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وقد كفروا بذلك لأن من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان الرحمن مخلوق لأن القرآن كلامه إلى ان قال ونحن نقول ان الله تعالى يتكلم ويرى ويسمع ويبصر ويضحك ويسخط وله اليد والوجه والنزول بلا كيف ولا شبه والفاظنا بالقرآن كلام الله وعذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير حق فمن خالف هذا فهو كافر إلى غير ذلك من مذاهب أهل الكفر المتعددة كالمرجئة والروافض والجهمية والدهرية والباطنية والزنادقة وغيرهم فان يئس الشيطان من العبد وكان ممن سبق له الاسلام فى بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية من الشر وهى : —

الشر الثانى ـ شر البدعة وهى أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصى لأن ضررها فى نفس الدين وهو ضرر متعد وذنب لا يغفر إذ فيها مخالفة لدعوة الرسل بل هى دعوة إلى خلاف ما جاءوا به وهى باب الكفر والشرك فاذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقى أيضا نائبه وداعيا من دعاته ـ روى أن رجلا دخل على الإمام مالك رضى الله عنه وسأله ما معنى (على العرش استوى) فقال الاستواء معروف والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه اخرجوا عنى هذا المبتدع ـ وروى أن الزمخشرى سأل الامام الغزالى عن قول الله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) فأجابه بقوله رضى الله عنه : —

قل لمن يفهم عنى ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدرى من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت ... فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها ... هل تراها أو ترى كيف تجول
هذه الأنفاس لا تحصرها ... لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجرى فيك أم كيف تبول
فاذا كانت طواياك التى ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
فهو لا كيف ولا أين له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتا وصفات وعلا ... وتعالى ربنا عما تقول

وروى أن الزمخشرى تاب بعد ذلك وأوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات وهى : —

يا من يرى مد البعوض جناحها ... فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها ... والمخ فى تلك العظام النحل

إغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه فى الزمان الأول

روى ان إبليس لعنه الله تمثل بين يدى الأمام الشافعى رضى الله عنه وقال يا إمام ما تقول فيمن خلقنى لما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة وإن شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم جار قال الأمام فنظرت فى مسألته فالهمنى الله تعالى أن قلت يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل إبليس اللعين وتلاشى ثم قال والله يا شافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة ـ فان عجز ابليس من غواية العبد من هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة ومعاداة أهل البدع والضلالة نقله إلى المرتبة الثالثة وهى : —

الشر الثالث ـ شر الكبائر على اختلاف أنواعها فالشيطان حريص كل الحرص على ذلك ليوقعه فيها وخصوصا إذا كان عالما متبوعا وذلك لكى ينفر الناس عنه ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه فى الناس ويستنيب منهم من يشيعها فان عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة وهى : —

الشر الرابع ـ الصغائر التى إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها كما قال النبى ﷺ (إياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وذكر حديثا معناه أن كل واحد منهم جاء بعود من الحطب حتى أوقدوا نارا عظيمة فطبخوا واشتووا) ولا يزال الشيطان يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالا منه فان اعجزه العبد من هذه المرتبة نقله منها إلى المرتبة الخامسة وهى : —

الشر الخامس ـ إشغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذى ضاع عليه باشتغاله بها فان أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظا لوقته شحيحا به نقله إلى المرتبة السادسة وهى : —

الشر السادس ـ إشغاله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه لكى يزيح عنه الفضيلة ويفوت عليه ثواب العمل الفاضل وقل من يتنبه لهذا من الناس فانه

إذا رأى فيه داعيا قويا ومحركا إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربه فانه لا يقول إن هذا الداعى من الشيطان لأن الشيطان لا يأمر بخير فيقول هذا الداعى من الله وهو فى ذلك معذور إذ لم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابا من الخير إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر وإما ليفوت بها خيرا أعظم من تلك السبعين بابا وأجل وأعظم وهذا لا يتوصل إلى معرفته الا بنور من الله يقذفه فى قلب العبد يكون سببه الحرص الشديد على متابعة سنة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمعرفة مراتب الأعمال عند الله وأحبها اليه وأرضاها له ولا يعرف هذا الأمر إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه فى الأمة وخلفائه فى الأرض وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك فلا يخطر بقلوبهم والله سبحانه وتعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده فاذا أعجز العبد الشيطان من هذه المراتب الست سلط عليه حزبه من الأنس والجن بانواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع ليشوش عليه قلبه ويشغل فكره ويبقى سعيه فى تسليط المبطلين من شياطين الأنس والجن عليه لا يفتر ولا ينى فحينئذ يلبس المؤمن لامة الحرب ولا يضعها عنه إلى الموت ومتى وضعها أسر أو أصيب فلا يزال فى جهاد حتى يلقى الله تعالى ـ فتأمل هذا الفصل وتدبر موقعه وعظيم منفعته وأجعله ميزانك تزن به الناس وتزن به الأعمال فانه يطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق والله المستعان وعليه التكلان .

فى بيان الأحوال التى بها يتسلط الشيطان على بنى آدم

إعلم أن الشيطان إنما يتسلط على بنى آدم وينال منه غرضه من خلال أمور أربعة هى (١) فضول النظر (٢) فضول الكلام (٣) فضول الطعام (٤) فضول المخالطة فلنتكلم على كل واحد منها : —

الأول ـ فضول النظر ـ يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور اليه فى القلب والاشتغال به والفكرة فى الظفر به فمبدأ الفتنة من فضول النظر كما فى المسند عن النبى ﷺ أنه قال (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه إلى يوم يلقاه أو كما قال ﷺ

فالحوادث العظام انما كلها من فضول النظر . قال شوقى رحمه الله : —

نظـرة فابتسامـــة فسلام فكـلام فموعد فلقـــاء

وكم من نظرة أعقبت حسرات لا حسرة واحدة كما قال الشاعر : —

كل الحوادث مبـداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتـكت فى قلب صاحبها فتـك السهام بلا قوس ولا وتر

وقال عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) وقال تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقال عليه الصلاة والسلام (ما تركت فى الناس بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) وقال داود لابنه عليهما السلام (يا بنى إمش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة) وقال بعض العارفين (ما أيس الشيطان من انسان قط إلا جاءه من قبل النساء) وفى خبر للأمام أحمد رضى الله عنه (النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس) وقال على كرم الله وجهه (أيها الناس لا تطيعوا النساء فى أمر ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فانهن إن تركن وما دبرن أفسـدن الملك وعصين المالك وجدناهن لادين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحسيرة بهن كثيرة فأما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويحلفن وهن الكاذبات ويتمنعن وهن الراغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن) وقال عمار فى النساء : —

أراح الله عمـارا من الدنيـا ومنهن

قريبـان بعيـدان فلا كـان ولا كنـه

يمنـين الأباطيـــل ويجحدن الذى قلنـــه

وقال صاحب روح البيان قدس الله سره عنـد تفسير آية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) ما نصه حرفيـا وفى الحديث (إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياؤكم وأمركم شورى بينكم أى ذا تشاور بينكم لا ينفرد أحد برأى دون صاحبه فظهر الأرض خير لكم

من بطنها إذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها) وفى الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة رضى الله عنها فى قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة ووفور عقلها مشهور حتى قال إمام الحرمين لا نعلم امرأة اشارت برأى فأصابت الا أم سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب فى أمر موسى عليهما السلام (حكى) أن خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوما جالسا فى المنظرة وشيرين عنده إذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فاعجبته فأمر له باربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس مافعلت لانك إذا أعطيت بعد هذا أحدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال اعطانى عطية الصياد فقال خسرو لقد صدقت لكن يقبح على الملوك أن يرجعوا فى عطياتهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى فان قال ذكر فقل انما أردنا أنثى وإن قال أنثى فقل إنما أردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد فقال له الملك هذه السمكة ذكر أو أنثى فقال هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له باربعة آلاف درهم أخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك أرأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فالقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه فغضب الملك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم أمر باعادة الصياد فقال له يادنىء الهمة است بانسان ما هذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال إنى لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندى وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتى أحد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه وأمر له باربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصية للناس بان لا يطيعوا النساء

أصلا ولا يعملوا برأيهن قطعا) إنتهى المنقول من تفسير روح البيان .

ورؤى بعضهم فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب إلا ذنبا واحدا فانه أوقفنى فيه حتى سقط لحم وجهى من الحياء قيل له ما هو قال نظرت إلى غلام بشهوة ـ ودخل سفيان الثورى رحمه الله حماما فدخل عليه صبى حسن الوجه ظاهر الوضاءة فقال سفيان لأصحابه أخرجوه عنى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع هذا بضعة عشر شيطانا ـ وذكر الشعبى رحمه الله تعالى أن وفد عبدالقيس قدموا على النبى ﷺ وكان فيهم صبى حسن الوضاءه فأجلسه النبى ﷺ خلف ظهره وقال إنما كانت فتنة داود من النظر فاذا كان هذا حال النبى ﷺ وهو معصوم فكيف بغيره ممن ليس بمعصوم ـ وقال ﷺ (زنا العين النظر) فلذلك بالغ الصالحون من السلف فى الغض والأعراض عن مجالسة المردان حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته ـ روى عن رجل من الصالحين انه نظر إلى صبى حسن الوجه وقال تبارك الله أحسن الخالقين فجاءه سهم فقلع عينه فبات تلك الليلة مهموما فرأى الحق سبحانه وتعالى فى منامه وهو يعاتبه بسبب نظره فقال يارب إنما نظرت بعين الاعتبار والتفكر فى خلقك فقال له الحق جل وعلا نظرت بعين الاعتبار فرميناك بعين الأدب ولو نظرت بعين الشهوة رميناك بعين الحرمان وقال بعضهم رآنى الأمام أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنه ومعى ابن اختى وهو يمشى معى وكان صبيا حسنا فقال لى من هذا منك فقلت ابن اختى قال لا تمش معه ولا تماشه مرة أخرى لئلا تظن الناس بك الظنون ـ وقال ابن عمر رضى الله عنهما النظر الى أبناء الملوك حرام لأن لهم شهوة كشهوة النساء العذارى قال العلماء وأبناء الملوك ليس بقيد بل المراد كل من كان جميلا حسنا وانما قيد بأبناء الملوك لأن غالب أولادهم حسان وقال رسول الله ﷺ (من قبل علاما بشهوة فكانما زنى مع أمه سبعين مره) وفى رواية أخرى عذبه الله فى نار جهنم الف سنة .

قال العلامة شارح لامية ابن الوردى المسماه بنصيحة الأخوان : ـ

(إن طريقة المطاوعة صحبتهم للمردان يجلسونهم خلف ظهورهم

ويسمونهم بالبدايات وتراهم يفتخرون بذلك ولا يصحبون الا الأمرد الجميل مع أن طريقتهم مرضية لأنها فرع من طريقة السادة الصوفية وانما سموا مطاوعة لطاعتهم لربهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه إذ شددوا على أنفسهم فى العبادة والطاعة فنالوا بذلك السيادة ولم يتبعوا الرخص بل جعلوا فى حقهم المستحب كالواجب والمكروه كالمحرم والمحرم كانه كفر ولزموا الأدب مع سيدهم فلهذا بلغوا مرادهم لما أخلصوا لربهم ودادهم وأما صحبتهم للمردان فكان فى الزمن السابق لا يصحبه إلا العارف به وبمكايد الشيطان ولهذا يصير عنده بمنزلة ولده بل أعز والحكمة فى جعلهم البدايات خلف ظهورهم إنما هو لشدة اجتنابهم المكروهات والمحرمات فلا ينظروا إلى وجوههم ولا يمسوهم ولذلك أمروهم بغض البصر واطراق الرأس وخفض الأصوات وأرشدوهم إلى طريق الخيرات فاذا رأوا من الأمرد خيرا ورشادا وسلوكا أحبوه لأجل ذلك وكتموا عنه المحبة ولم يعلموه بها حتى يكمل عقله ويطلع شعره فى وجهه لأن الصغير ما دام فى سن الصبا لا يوثق به فانه ناقص سريع التغير فاذا طلع الشعر فى وجهه وثبت قدمه فى الطريق أمنوا عليه فأعلموه بالمحبة له ونظروا فى وجهه وعن سويد المالكى وهو من مشايخ هذه الطريقة التى أسسوها أنه ربى صغيرا وأدبه خلف ظهره حتى طلعت لحيته وبدأه الشيب ولا رآه فقال له يوما يا عم اشتر لى مشطا فقال له ما تصنع به قال أسرح به لحيتى فعند ذلك نظر اليه وقدمه فمثل هذا هو الذى يجوز له أن يربى الأمرد خلف ظهره رضى الله عنه ثم إن النظر إلى الأمرد من غير شهوة مختلف فيه فعلى المعتمد أنه لا يحرم سواء كان للتعليم أو غيره فله أن ينظر اليه من غير شهوة ومن غير مماسة بينهما وله أن يختلى به إن آمن الفتنة ولما كان النظر مختلفا فيه وتقدم انهم نزلوا السنة فى حقهم منزلة الواجب والمكروه منزلة المحرم والمحرم منزلة الكفر جعلوهم خلف ظهورهم حسما للباب وخروجا من الخلاف رضى الله عنهم الى أن قال فكل من وجدت فيه الأوصاف المتقدمة جاز له أن يربى الأمرد وكل من كان خلاف ذلك لا يجوز له أبدا وإن خالف فهو هالك ممقوت ومن

المخالفين الهالكين مطاوعة أهل هذا الزمان فانهم مطاوعون للشيطان وعاصون للرحمن لانهم ينامون مع المردان ويجلسون معهم كانهم نسوان ويأمرونهم بتكبيسهم وتحسيسهم ويجعلونهم فى اجتماعهم خلف ظهورهم صورة وهى فى الحقيقة معانقة بالظهور والصدور وغير ذلك وهذا خلاف ما كان عليه المتقدمون من أهل هذه الطريقة فنعم هؤلاء الأكابر ولكن بئسما خلفوا فقد لبس عليهم الشيطان وأوقعهم فى الطغيان وقال هذه طريقة الدين كذب عدو الله بل هى طريقة الشياطين فان اعتقدوا حل ما يفعلونه فى هذا الزمان من القبائح مع المردان فقد كفروا ووجبت لهم النيران حمانا الله من كل فعل يبعدنا عن الرحمن ومن خصلة ترضى الشيطان بجاه سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة والسلام) انتهى كلام العلامة شارح لامية ابن الوردى

قال ابن القيم فى كتاب الداء والدواء العشق ثلاثة أقسام الأول ـ عشق الرجل امرأته وجاريته وهو نافع فانه أدعى إلى المقاصد التى شرع الله لها النكاح وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله ـ الثانى ـ عشق هو مقت من الله وبعد من رحمته وهو أضر شىء على العبد فى دينه ودنياه وهو عشق المردان وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف (إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هى التى جلبت على قوم لوط ما جلبت ودواء هذا الداء الاستغاثة بمقلب القلوب وصدق الالتجاء اليه والاشتغال بذكره والتفكر فى الآلام التى تعقب هذا العشق ـ الثالث ـ عشق مباح لا يملك كعشق من رآها فجأة من غير قصد فأورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث له هذا العشق معصية فهذا لا يعاقب عليه والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره وعفته وتركه طاعة هواه وإيثار مرضاة الله وما عنده فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه (من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد) ـ حكى أن عمر ابن عبد العزيز عشق جارية امرأته فاطمة بنت عبد الملك وكانت جارية شديدة الجمال فكان يطلبها من امرأته ويحرص أن تهبها له فتأبى عليه ذلك ولم تزل

الجارية فى نفسه فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت وكانت مثلا فى حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا أمير المؤمنين إنك كنت سألتنى جاريتى فلانة فأبيت عليك والآن قد طابت نفسى لك بها فلما قالت له ذلك بان الفرح فى وجهه وقال عجلى على بها فلما أدخلتها عليه ازداد بها عجبا وقال لها القى ثيابك ففعلت ثم قال لها على رسلك أخبرينى لمن كنت ومن أين صرت لفاطمة قالت أغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت فى رقيق ذلك العامل قالت فاخذنى وبعث بى إلى عبد الملك فوهبنى لفاطمة فقال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة فقال شدى عليك ثيابك وأذهبى إلى مكانك ثم كتب إلى عامله على العراق أن إبعث لى فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له أرفع جميع ما غرمه الحجاج لأبيك فلم يرفع اليه شيئا إلا دفعه اليه ثم أمر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له إياك وإياها فلعل أباك كان قد ألم بها فقال الغلام هى لك يا أمير المؤمنين قال لا حاجة لى بها قال فابتعها منى قال لست إذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت أين وجدك بى يا أمير المؤمنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات رحمه الله .

الثانى ـ فضول الكلام ـ يفتح على العبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان فكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ (وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم) فاكثر المعاصى إنما تولدها من فضول الكلام والنظر إذ هما أوسع مداخل الشيطان فان جارحتيهما لا تملان ولا تسأمان بخلاف شهوة البطن فانه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام أما العين واللسان فلو تركا لم يفترا عن النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات وكان السلف الصالح رضى الله عنهم يحذرون من فضول الكلام كما يحذرون من فضول النظر وكانوا يقولون (ما شىء أحوج إلى طول السجن من اللسان) وقال الشاعر وهو حميد

بن عباس : —

لعمرك ماشى علمت مكانه أحق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك شأنه بقفل وثيق حيث كنت فأقفل
فرب كلام قد جرى من ممازح فساق إليه سهم حتف معجل
وللصمت خير من كلام ممازح فكن صامتا تسلم وإن قلت فاعدل

ومما جرى مجرى الأمثال قول الشاعر : —

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال بعض الصحابة (إذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم أنك قد تكلمت بمالا يعنيك) وقال الله تعالى (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال عليه الصلاة والسلام (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته) وقال الشاعر : —

العلم زين والسكوت سلامة فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوت مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال آخر : —

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه (من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر ماله كثر إثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه) وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال (إذا أصبح ابن آدم سألت الأعضاء كلها اللسان وقلن باللسان ننشدك الله أن تستقيم فانه إن استقمت استقمنا وإن إعوججت إعوججنا) ـ وأعلم أن للسان آفات كثيرة تدخل كلها فى فضول الكلام وهى : ـ القول فيما لا يعنى والخوض فى الباطل والمراء والجدل والخصومة بالباطل والتقعر فى الكلام والفحش فى القول وبذاءة اللسان واللعن وكثرة المزاح والسخرية والاستهزاء وافشاء السر والوعد الكاذب والكذب فى القول واليمين

والكذب بالمعاريض والغيبة والنميمة وسؤال العوام عن غوامض الدين ولبيان هذه الآفة الأخيرة نقول إن من حق العوام الاشتغال بالعمل الصالح إلا أن الفضول خفيف على القلب والعامى قد يفرح بالخوض فى العلم إذ الشيطان يخيل اليه أنه قد أصبح من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى قد يتكلم بما هو كفر وهو لا يدرى وذلك كسؤالهم عن صفات الله تعالى وعن كلامه وأنها قديمة أو حادثة وفى الحديث (نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) وعلى الجملة اشتغال الناس بان الحروف قديمة أو حادثة كمن كتب اليه الملك بكتاب رسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشىء منه وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب قديم أو حادث فيستحق العقوبة منه لا محالة .

الثالث ـ فضول الطعام ـ داع الى أنواع كثيرة من الشر فانه يحرك الجوارح الى المعاصى ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شرا فكم من معصية جلبها الشبع وكم من طاعة حال دونها والشيطان أعظم ما يتحكم من الانسان اذا ملأ بطنه من الطعام ولهذا جاء فى بعض الآثار (ضيقوا مجارى الشيطان بالصوم) وقال ﷺ (ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن) ولولم يكن فى الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل لكفى ذلك فى اجتنابه فانه إذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهامبه فى كل واد وطاف به على أبواب الشبهات والشهوات قال الله تعالى (وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا) وروى عن النبى ﷺ أنه نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه باصبعه وقال لوكان هذا فى غير هذا كان خيرا لك قال الغزالى رحمه الله يعنى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك كان خيرا لك ثم قال وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الأكل مايحسم هذه الأبواب كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال ﷺ (أديموا قرع باب الجنة بالجوع) قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم

الأمل فسوف يعلمون) قال الآلوسى فيه اشارة الى ذم من كان همه بطنه وتنفيذ شهواته وقال أبو عثمان اسوأ الناس حالا من كان همه ذلك فانه محروم عن الوصول الى حرم القرب ويقال فى قلة الأكل منافع كثيرة منها أن يكون الرجل أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما وأقل نوما وأخف نفسا وفى كثرة الأكل تخمه تتولد منها الأمراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الأكل صحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الأكل تحتاج الى مؤنة كثيرة لترفعها وقال بعض الحكماء ثلاثة أصناف من الناس يبغضهم الناس من غير أن يكون لهم منهم أذى البخيل والمتكبر والأكول .

الرابع ـ فضول المخالطة ـ هى الداء العضال الجالب لكل شر فكم سلبت من نعمة وكم زرعت من عداوة وكم غرست فى القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهى فى القلوب باقية لا تزول ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة والعاقل ينبغى له أن يأخذ منها بمقدار الحاجة فقط ويجعل الناس فيها أربعة أقسام : ـ

القسم الأول ـ من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة فاذا أخذ حاجته منه ترك المخالطة فاذا احتاج اليه خالطه هكذا على الدوام وهذا الصنف من الناس أعز من الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولرسوله ولخلقه فهذا الصنف فى مخالطتهم الربح كله .

القسم الثانى ـ من مخالطته كالدواء يحتاج اليه عند المرض فقط فما دمت صحيحا فلا حاجة لك فى خلطته وهم الذين لا يستغنى عنهم فى مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج اليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للادواء ونحوها فاذا قضيت حاجتك من هذا الصنف بقيت مخالطتهم من

القسم الثالث ـ من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن وهو من لا تربح عليه فى دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا أو احدهما

فهؤلاء اذا تمكنت مخالطتهم واتصلت فهى مرض الموت المخوف ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربا عليك فاذا فارقك سكن الألم ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض الذى لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف قدر نفسه فيضعها فى منزلتها بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به ويظن انه مسك يطيب به المجلس وهو مع ذلك إن سكت فاثقل من الحجر الذى لا يطاق حمله ولا جره على الأرض ومن نكد الدنيا على العبد ان يبتلى بواحد أو أكثر من هذا الصنف وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له منه فرجا ومخرجا قال الشاعر : —

ومن نكد الدنيا على الحران يرى عدوا له ما من صداقته بد

القسم الرابع — من مخالطته الهلاك كله فهو بمنزلة اكل السم فان اتفق لآكله ترياق والا فاحسن الله فيه العزاء وما أكثر هذا الضرب من الناس وخصوصا فى هذا الزمان وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون الى مخالفتها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكرا والمنكر معروفا فمثل هؤلاء يجب الفرار منهم فرارك من المجذوم ومن الأسد فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التى هى أصل بلاء العالم وهى فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة أخذ نصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم وفتح عليها أبواب الرحمة والجنان وسعد فى دنياه وآخرته .

هل الأفضل المعاشرة أو العزلة

اختلف الناس فيهما فمنهم من فضل المعاشرة ومنهم من فضل العزلة ولكل واحد منهم حجته : —

حجة من فضل المعاشرة — وهم أكثر السلف لما فى ذلك من فوائد عظيمة هى التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والأيناس والأستئناس ونيل الثواب وإنالته فى القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة

التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها واستكثار المعارف والأخوان والتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى وفى الدنيا لنيل الرغائب ونجاح المقاصد وقدمن الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة إلى الألفة والأخاء فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا) ووصف نعيم الجنةوما أعد فيها لأولياءه من الكرامة إذ جعلهم إخوانا على سرر متقابلين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم ومايلقون فيها من الألم إذ يقولون (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقال على كرم الله وجهه (الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين) وقال الشاعر : —

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

ومن كلام على كرم الله وجهه : —

عليك باخوان الصفاء فانهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وإن قليلا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير

وقال الأوزاعى (الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب إن لم تكن مثله شانته) وقال عبد الله بن طاهر (المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والأخوان كنوز وافرة) وقال المأمون للحسن بن سهل (نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملة وفى رواية أخرى مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطه ولحم الضأن والماء العذب البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر إلى الحسن من كل شىء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن) وأما معاوية رضى الله عنه فقال (نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت أصناف الأطعمة حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى إلا محادثة أخ كريم)

وانشدوا فى معنى ذلك : —

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

وقالوا (ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولاغم يعدل فراقهم) وقال آخر (لقاء الخليل شفاء الغليل) وقالوا (إذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واستر عورته وابقه وابرأ من عمله) قال الله تعالى (فان عصوك فقل إنى برىء مما تعملون) فلم يأمره بقطعهم وإنما أمره بالبراءة من عملهم وقال الشاعر : —

اذا كنت فى كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على الأذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

حجة من فضل العزلة - وهم الأقلون ومنهم سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافى اذ من فوائد العزله المواظبة على العبادة والفكر والتخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع الاخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء الى غير ذلك وقد استدلوا أيضا بقول رسول الله ﷺ لعبدالله بن عامر الجهنى لما قال يا رسول الله ما النجاة فقال عليه الصلاة والسلام (ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك) قال أبو الدرداء رضى الله عنه (كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه) وقال ابن عباس رضى الله عنهما (ذهب الناس وبقى النسناس) قيل وما النسناس قال الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس وقال الشاعر : —

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة

وما ألطف قول من قال : —

الناس داء دفين لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر لو اطلعت عليهم

وقيل لابراهيم بن أدهم لم لم تصحب الناس فقال إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله وإن صحبت من هو فوقى تكبر وان صحبت من هو مثلى حسدنى — وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال اذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر فقال الله قال فليصحبه الآن وقال أبو الربيع لداود الطائى عظنى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد .

وقد عدوا من فوائد العزلة الخلاص من رؤية الثقلاء والحمق ومقاساة خلقهم وخلقهم قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من رؤية الثقلاء .

وقيل إن الإمام أبا حنيفة دخل عليه فقال له جاء فى الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى عنهما أن كفانى رؤية الثقلاء وقيل لبعضهم أوصنى فقال أقلل من لقاء الناس فألح عليه فى طلب الوصية فقال وهل جاءك شر من غير من تعرف وفى هذا المعنى يقول الشاعر :—

وما ضرنى إلا الذين عرفتهم ... جزى الله خيرا كل من لست أعرف

ولبعضهم وقد أجاد :—

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الأيام خلا تسرنى ... مباديه الا سائنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان إحدى النوائب

وقال بعض العارفين : —

انست بوحدتى ولزمت بيتى ... فطاب الأنس لى ونمى السرور
وأدنبى الزمان فلا أبالى ... بانى لا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما عشت يوما ... أسار الجند أم ركب الأمير

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر من شهد الخلق لا فعل لهم فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد فاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل — وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال مررت براهب فسألته منذ كم أنت فى هذا

الموضع فقال منذ أربع وعشرين سنة قلت من أنيسك قال الفرد الصمد قلت ومن المخلوقين قال الوحش فسألته وما طعامك قال ذكر الله تعالى قلت ومن المأكولات قال ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض قلت أفلا تشتاق الى أحد قال نعم إلى حبيب قلوب العارفين قلت ومن المخلوقين قال من كان شوقه إلى الله تعالى سبحانه كيف يشتاق إلى غيره قلت فلم اعتزلت عن الخلق قال لأنهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى قلت ومتى يعرف العبد طريق الهدى قال إذا هرب إلى ربه من كل شيء سواه واشتغل بذكره عن ذكر ماسواه ولكل سالك خطوة فى السلوك إلى ملك الملوك .

﴿ الرأى الصائب ﴾

هو أن الحكم بأن الأولى واحد منهما على الاطلاق محال فان ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والاعتدال هو الأولى وهو ان لا ينقبض كل الإنقباض فتفوته الفوائد الموقوفة على المخالطة ولا ينبسط كل الانبساط فتفوته فوائد العزلة وينوى بالعزلة أن يعتزل الناس من شره ويقبل بكليته على ذكر ربه وينوى الجهاد الأكبر بالعزلة وهو جهاد النفس كما قالت الصحابة رضوان الله عليهم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) والله أعلم فافهم تغنم .

﴿ فى الرقى وأحكامها ﴾

الرقى جمع رقيه يقال رقاه بالفتح يرقيه بالكسر رقيا ورقية فالأول المصدر والثانى الاسم بمعنى عوذه واسترقى طلب الرقية

اختلف العلماء فى حكم الرقى فمنهم من لم يرخص بها للاسباب الآتية :

(١) لرواية جابر نهى النبى ﷺ وقال (إن لله عباد الا يكتتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون)

(٢) ولما روى عن احمد وأبى داود قوله عليه الصلاة والسلام (إن الرقى شرك)

(٣) ولحديث أحمد والترمذى أنه ﷺ قال (من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل) .

(٤) ولحديث البخارى عن سعيد بن جبير فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنه ﷺ ذكر من صفاتهم أنهم لا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون (٥) وكذلك لما أخرجه احمد والترمذى من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه أنه ﷺ قال (لا رقية إلا من عين أو حمة) والمراد من الحمة لدغة العقرب أو سمها - أما جمهور العلماء فقد أجازوها لما يأتى :

(١) لما ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ثم يقول (اللهم رب الناس أذهب الباس أشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) (٢) ولما فى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاصى رضى الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده فى جسده فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٣) وفى سنن أبى داود والترمذى باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (من عاد مريضا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ألا عافاه الله تعالى من ذلك المرض) قال الترمذى حديث حسن (٤) وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال (باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك) قال الترمذى حديث حسن صحيح (٥) وفى كتاب ابن السنى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال مرضت فكان ﷺ يعوذنى فعوذنى يوما فقال (باسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد) فلما استقل رسول الله ﷺ قائما قال يا عثمان تعوذ بها فما تعوذ متعوذ بمثلها (٦) وفيه عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ فى اذن مبتلى فأفاق

فقال رسول ﷺ ما قرأت فى أذنه قال قرأت (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى فرغ من آخر السورة فقال له رسول الله ﷺ لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال (٧) وفيه عن بعض أزواج النبى ﷺ قالت دخل على رسول الله ﷺ وقد خرج فى أصبعى بثره فقال هل عندك ذريره فوضعتها عليها وقال قولى (اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بى) فطفئت البثرة قال النودى رحمه الله الذريرة فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند (٨) ولما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رهطا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فى سفر فنزلوا بحى من أحياء العرب فلدغ سيد هذا الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه شىء فأتوا الى رهط الصحابة فقالوا لهم إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شىء فلم ينفعه شىء فهل عند احد منكم شىء فقال بعضهم نعم والله انى لراق ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا . فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق الراقى فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين ويمسح عليه فبرأ حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى ما به من علة فاعطوهم جعلهم فقال بعض الصحابة إقسموا فقال الراقى لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكر له الذى كان وننظر ما يأمرنا به فلما قدموا عليه ﷺ ذكروا له ما كان فقال للراقى وما يدريك انها (أى الفاتحة) رقيه أصبتم أقسموا واضربوا لى معكم بسهم وفى رواية أخرى أن أصحاب الراقى قالوا أخذت على كتاب الله أجرا فلما أخبروا الرسول ﷺ قال (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله) قيل أن الراقى كان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه راوى الحديث كما فى بعض الروايات والقطيع ما بين العشرة والاربعين والمراد به هنا ثلاثون شاة كما فى رواية النسائى وهو مناسب لعدد السرية اذ كانوا ثلاثين كما فى رواية ابن ماجه فكانهم اعتبروا عددهم فجعلوا لكل واحد شاه وفى رواية جابر ان الراقى قرأ الفاتحة ثلاث مرات وفى رواية الاعمش انه قرأها سبع مرات والحكم للزائد قال

العارف بالله عبد الله بن أبى جمرة فى بهجة النفوس محل التفل فى الرقية بعد القراءة لتحصل بركة القراءة فى الجوارح التى يمر عليها الريق فتحصل البركة فى الريق الذى يتفله (٩) وفى الصحيحين عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعه فقال استرقوا لها فان بها نظره قال النووى رحمه الله السفعة تغيير وصفرة والنظرة العين يقال صبى منظور أى أصابته العين (١٠) وفى كتاب ابن السنى عن عامر بن ربيعة قال قال رسول الله ﷺ اذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه وماله فليدع بالبركة الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تفيد الجواز .

﴿ فى بيان ما أجاب به جمهور العلماء الذين جوزوا الرقى على ما ورد من الأخبار التى تفيد المنع والتى قامت بها الشبهه عندمن قال بعدم الجواز ﴾

اختلف العلماء فى النهى المذكور فى حديث جابر على قولين : —

الأول — انه منصب على الرقى التى لا تجوز بالاجماع وهى المشتملة على ألفاظ تؤدى إلى الشرك أو التى يعتقد انها مؤثرة بنفسها

الثانى ان النهى كان أولا عن سائر الرقى ثم نسخ ذلك واستقر الرأى على الجواز أما الحديث الذى أخرجه احمد وأبو داود (ان الرقى شرك) فقد أجاب عنه العلماء بان ذلك محمول على رقى الجاهلية التى كانت مشتملة على ألفاظ فيها شرك وأما الأحاديث التى فيها ان من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل فقد أجاب عنها العلماء بان المقصود بها خواص القوم الذين بلغوا من قوة الإيمان درجة عالية ومنزلة قصوى بحيث لا يلجأون إلى من يرقيهم وانما يلجأون إلى الله تعالى وحده بالدعاء والضراعة فهذا لا يعطى وجوب الامتناع عن طلب الرقية ولكن يفيد أن عدم طلبها أفضل سدا للذرائع وخشية الارتكان عليها أو اعتقاد تأثيرها بذاتها وهذا لا ينافى ما ثبت من أنه ﷺ فعل الرقية وطلبها وأمر بها لأن ذلك كان لبيان الجواز ولأنه لا يمكن أن يخشى عليه ﷺ من الاعتماد عليها لأنه سيد المتوكلين وأول

العارفين بربه سبحانه وبعالى ـ أما الحديث الرابع فقد أجاب عنه العلماء بانه ليس المراد الحصر بدليل ورود الرقية فى غير العين ولدغة العقرب وانما المراد أن الرقيـة من هذين الأمرين أولى وأحق لأسراع الضرر وتحققه فيهما فهو مثل قولهم لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار

﴿ فى ذكر نبذ مما قاله الفقهاء فى حكم الرقى ﴾

(١) نقل صاحب الفتح اجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط .

أولها ـ أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته

ثانيها ـ أن يكون باللسان العربى أو بما يعرف معناه من غيره

ثالثها ـ أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى

(٢) قال القرطبى الرقى ثلاثة أقسام احدها ما كان يرقى به فى الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدى إلى الشرك ثانيها ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب ثالثها ما كان باسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذى يتضمن الالتجاء إلى الله والتبرك باسمائه فيكون تركه أولى إلا أن يتضمن تعظيم المرقى به فينبغى أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى

(٣) وقال النووى الرقى بالقرآن وبالاذكار المعروفة جائز بل هو سنة

(٤) وقال المازرى جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره ومنهى عنها إذا كانت باللغة الاعجمية أو بما لا يدرى معناه لجوازان يكون فيه كفر .

(٥) وقال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسمانى ـ قال القاضى البيضاوى للرقى والغرائم آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها ـ وقال الربيع

سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله وقد ثبت أن الإمام مالك رضى الله عنه كان يرقى نفسه .

﴿ فى التمائم وأحكامها ﴾

التمائم جمع تميمة وهى فى الأصل خرزات كانت تعلقها العرب على أولادهم يتقون بها العين على زعمهم فلما جاء الاسلام أبطلها روى أنه عليه الصلاة والسلام قال (من علق شيئا وكل اليه) وعن ابن مسعود أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعضدها فجذبها جذبا عنيفا فقطعها ومن هنا أخذ بعض العلماء عدم جواز تعليق الرقى ولكن جمهور العلماء قد أجازوا التعليق ـ سئل الباقر عليه السلام عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن النبي ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) وكان ابن عمر رضى الله عنهما يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه رواه أبو داود والترمزى والحاكم وأحمد قال فى فتح العلام بشرح مرشد الأنام عند الكلام على أحكام مس المصحف وحمله أو مس ما كتب عليه شىء من القرآن (وخرج بما كتب فيه للدراسة ما كتب فيه للتبرك كالتميمة وهى ورقة أو أوراق يكتب فيها شىء من القرآن وتعلق على الرأس مثلا للتبرك فيجوز مسها وحملها مع الحدث ولو أكبر وان كثر المكتوب فيها حيث عدت تميمة عرفا على المعتمد خلافا للشيخ الخطيب حيث قال وان اشتملت على جميع القرآن والعبرة فى الدراسة والتبرك بقصد الكاتب لنفسه أو لغيره بغير أمر ولا إجارة فان كان يكتب للغير بأمر أو إجارة فالعبرة بقصد الآمر أو المستأجر وهل العبرة بالقصد وقت الكتابة دون ما بعده أو يتغير الحكم من الحرمة إلى الحل وعكسه بتغير القصد قال الرملى وابن حجر بالأول وقال القليوبى بالثانى ولو شك أقصد به الدراسة أو التبرك فقيل يحل وقيل يحرم تعظيما للقرآن ويكره كتابة التميمة أو تعليقها إلا أن جعل عليها ما يحفظها كجلد أو خرقة مشمعة وهل يجوز كتابتها للكفار منعها بعضهم

مطلقا وأجازها البعض إن علم أنهم يعظمونها) انتهى

﴿ شروط كتابة التمائم ﴾

قال فى نهاية الأمل (يشترط فى كاتب التميمة أن يكون على طهارة وأن يكون فى مكان طاهر وأن لا يكون عنده تردد فى صحتها وأن لا يقصد بكتابتها تجربتها وأن يتلفظ بما يكتب وأن يحفظها عن الأبصار بل وعن بصر نفسه بعد الكتابة وعن بصر ما لا يعقل وأن يحفظها عن الشمس وأن يكون قاصدا وجه الله تعالى فى كتابتها وأن لا يشكلها وأن لا يطمس حروفها وأن لا ينقطها وأن لا يتربها وأن لا يمسها بالحديد وأن لا يكتبها بعد العصر فهذه أربعة عشر شرطا للصحة وزاد بعضهم شرطا للجودة وهو أن يكون صائما)

﴿ فى ذكر جملة من الرقى والأذكار والأدعية المأثورة ﴾

(١) قال الله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) .

(٢) قراءة المعوذات وهى سورة الاخلاص وقل اعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثلاثا حين يصبح وثلاثا حين يمسى فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أن ذلك يكفيه من كل شىء لمن فعل ذلك .

(٣) قراءة آية الكرسى صباحا ومساء فقد ورد انها حرز من الشيطان وغيره وهى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) .

(٤) قال رسول الله ﷺ (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) وعنه عليه الصلام والسلام قال (إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بالفى عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى بيت ثلاث ليال فيقربها شيطان) .

(٥) سورة الفاتحة وتسمى بالسبع المثانى هى شفاء من كل داء وهى لما قرئت له وهى السورة الوحيدة التى لا فاء فيها (والفاء كما قيل من الآفات) .

(٦) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) قيل ان من خواص هذه الآية الكريمة أن من قرأها فى يوم أو فى ليلة لم يمت فى ذلك اليوم ولا فى تلك الليلة كما روى أن من قال فى يوم أو ليلة سبع مرات (فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما اهمه من آخرته ودنياه صادقا كان أو كاذبا فاحرص على ذلك واعتبر فان هذا الذكر قد عمت رحمة الله فيه دون سائر الاذكار التى يشترط فيها الصدق وحضور القلب واخلاص النية فهذه نعمة لا تقدر فلله الحمد والشكر ظاهرا وباطنا أولا وآخرا .

(٧) قراءة سورة الانشراح وسورة الفيل فى سنة الصبح الأولى منهما فى الركعة الأولى والثانية فى الركعة الثانية فقد ورد ان من داوم على ذلك زالت عنه علة البواسير وقيل من داوم عليهما فيهما لا يرى شرا ذلك اليوم اصلا ولذا قيل من صـــلاها بألم وألم لم يصبه ذلك اليوم ألم أى وجع أوضر وقال الغزالى فى كتاب وسائل الحاجات بلغنا من غير واحد من الصالحين من أرباب القلوب أن من قرأ فى ركعتى الفجر ألم نشرح وألم تر كيف قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل لأحد عليه سبيلا وهذا صحيح مجرب لا شك فيه .

(٨) قراءة سورة الكهف وخصوصا يوم الجمعة وليلتها فقد ورد أن من قرأها فى يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين أى الماضية والمستقبلة وأن من قرأها ليـــلة الجمعة اضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق أى الكعبة أو البيت المعمور — واضاءة النور كناية عن المغفرة وحصول الثواب العظيم الذى لو جسم لملأ ما ذكر كما ورد أن من قرأها يوم الجمعة أو ليلتها أعطى نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة

والبرص والجذام وفتنة الدجال ذكره السيد أبو بكر نقلا عن الغزالى والدبيلة بالتصغير الداهية كما فى المختار .

(٩) قراءة سورة يس فقد ورد انها تعدل قراءة القرآن عشر مرات (يعنى بدونها) كما ورد انها قلب القرآن وانها لما قرئت له كما روى الحث على قراءتها على الموتى وأن قراءتها لوجه الله موجب للمغفرة .

(١٠) قراءة سورة حم الدخان وخصوصا ليلة الجمعة فقد ورد من فعل ذلك غفر له وفى رواية أخرى بنى الله له بيتا فى الجنة قال فى غاية المأمول ظاهره تعدد البيوت بتعدد القراءة ولا حرج على فضل الله فانه واسع الفضل عظيم العطاء والله اعلم .

(١١) قراءة سورة الواقعة كل ليلة فقد ورد أن من فعل ذلك لم تصبه فاقة أبدا رواه البيهقى قال المناوى رضى الله عنه وهذا السر علمه الشارع وهو من الطب النبوى نسأل الله التوفيق آمين .

(١٢) قراءة المسبحات وهى السور التى فى أولها سبح لله ويسبح لله وهى خمس الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن فقد ورد أن النبى ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية خير من الف آية وهى مبهمة لتقرأ المسبحات كلها كأبهام ليلة القدر وساعة الأجابة يوم الجمعة وقيل إن تلك الآية (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وكذلك لما روى أن من قال حين يصبح ثلاث مرات (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وهى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) وكل الله به سبعين الف ملك حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواهما الترمذى .

(١٣) قراءة سورة تبارك وألم السجدة فقد ورد انه عليه الصلاة والسلام كان لا ينام حتى يقرأهما كما ورد أن تبارك الملك سماها رسول الله ﷺ بالمانعة والمنجية من عذاب القبر نسأل الله حسن التوفيق مع الاخلاص آمين .

(١٤) قراءة سورة الزلزله والكافرون والنصر فقد ورد أن الأولى تعدل نصف القرآن والثانية ربعه والثالثة ربعه .

(١٥) قراءة سورة قل هو الله أحد وتسمى بسورة الأخلاص لأخلاص التوحيد فيها وبالصمدية لقوله تعالى فيها الله الصمد والصمد معناه السيد الذى يصمد ويفزع اليه فى الشدائد ويقصد فى الحاجات فقد ورد أنها تعدل ثلث القرآن وذلك لأن علوم القرآن ثلاثة وهى التوحيد والتشريع وتهذيب النفوس والأخلاق وعلم التوحيد كله فى قل هو الله أحد لحديث مسلم أن الله تعالى جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن وقد ورد أن من قرأها حبا فيها أحبه الله وأدخله الجنة كما ورد أن من قرأها عشر مرات بنى الله له بيتا فى الجنة ومن قرأها كل يوم مائتى مرة محى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين وما ورد فى فضل المعوذتين سبق ذكره فى أول الكتاب .

(١٦) هذا دعاء علمه النبي ﷺ لأنس بن مالك رضى الله عنه إذا دعا به أحد كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وهو : —

(بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير الأسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى وديني باسم الله على اهلى ومالى باسم الله على كل شىء أعطانيه ربى الله اكبر الله اكبر الله اكبر أعوذ بالله مما اخاف واحذر الله ربى لا أشرك به شيئا عز جارك وجل ثناؤك وتقدست اسماؤك ولا إله غيرك اللهم إنى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم).

(١٧) عن الامام الشافعى رضى الله عنه قال حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب على قريش فقال (اللهم انى اعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ومن طارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن اللهم انت ملاذى فبك الوذ وأنت عياذى فبك أعوذ وأنت غياثى فبك أغوث يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة أعوذ بك من خزيك ومن كشف سترك ومن نسيان ذكرك والانصراف عن شكرك أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى واسفارى ذكرك شعارى وثناؤك دثارى لا إله إلا أنت تعظيما لاسمك وتكريما لسبحات وجهك اجرنى من خزيك ومن شر عقابك واضرب على سرادقات حفظك وادخلنى فى حفظ عنايتك وجد على بخير يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) قال الفضل بن الربيع كتبت هذا الدعاء ووضعته فى حمائلى وحفظته فما دخلت على جبار كنت اخاف سطوته إلا كشف الله عنى .

(١٨) ومن دعاء سيدنا على كرم الله وجهه (اللهم ضن وجهى باليسار ولا تبدل جاهى بالاقتار فأسترزق طامعا رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وافتتن بذم من منعنى وابتلى بحمد من أعطانى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع) .

(١٩) قال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول (اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فاخرجه وإن كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وإن كان قليلا فكثره وإن كان كثيرا فبارك لى فيه) .

(٢٠) قال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة إذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول (عبيدك بفنائك مسيكينك بفنائك فقيرك بفنائك) فما دعوت بها فى كرب إلا فرج عنى

(٢١) روى أن النبى ﷺ كان يدعو بهذه الاستعاذات والأدعية : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ

بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

(٢) اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ومواقف الخزى .

(٣) اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت — أبوء يعنى أقر وأعترف .

(٤) اللهم انت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم .

(٥) اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك .

(٦) باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله باسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله باسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله باسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٧) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (وتسمى بالباقيات الصالحات) .

(٢٢) قيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم (اللهم إنك أعطيتنا الاسلام نورا من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك) .

(٢٣) قال الحسن رضى الله عنه من دخل المقابر فقال (اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى) كتب الله تعالى له حسنات بعدد من مات إلى أن تقوم الساعة .

(٢٤) كان من دعاء القاضى شريح رحمه الله تعالى (اللهم انى اسألك الجنة

بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته) .

(٢٥) كان من دعاء بعض السلف (اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لاتكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس فنضيع) .

(٢٦) وركب ابراهيم بن ادهم فى سفينه فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فاستوى جالسا وقال (أريتنا قدرتك فأرنا عفوك) فذهب الريح وسكن البحر .

(٢٧) روى أن النبى ﷺ كان اذا خاف قوما قال (اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم) .

(٢٨) قيل إن أفضل المحامد أن يقال (الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده) وقيل أفضلها (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وقيل أفضلها (ليس كمثله شىء) وقيل أفضلها أن يقال (الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها ومالم أعلم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم ومالم أعلم) روى أن رجلا قالها بعرفات فلما كان من العام المقبل حج وأراد أن يقولها سمع قائلا يقول ياعبد الله أتعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب ذلك من العام الماضى إلى الآن وقيل أفضل المحامد (اللهم لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)

(٢٩) ورد فى الحديث أن للقيامة ألف هول أدناها سكرات الموت وأن الموت تسعة وتسعون جذبة لألف ضربة بالسيف أهون من جذبة منها فمن أراد أن ينجو من تلك الأهوال فليقل عشر كلمات خلف كل صلاة قالوا يا رسول الله ما الكلمات قال (اعددت لكل هول القاه فى الدنيا والآخرة لا آله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل اعجوبة سبحان الله ولكل ذنب استغفر الله ولكل معصية إنا لله وإنا إليه راجعون ولكل ضيق حسبى الله ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله)

(٣٠) ختم الصلاة الكبير للسادة الصوفية وهو يقرأ صباحا ومساء بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب أو العشاء وهو هذا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لا آله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) لا آله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لاشيء قبله ولا شيء بعده لا آله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم اجرنا من النار (سبع مرات) اللهم اجرنا واجر والدينا من النار بجاه النبي المختار وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار اللهم انا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن نعوذ بكلمات الله التامات من من شر ما خلق (ثلاث مرات) بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) رضيت بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا (ثلاثا) اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم اني أقدم اليك بين يدي كل نفس ولحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم اليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين

آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعه إن الدين عند الله الإسلام قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب اللهم ارزقنا وأنت خير الرازقين وأنت حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبع مرات) بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ثلاثا) بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد (ثلاثا) بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس (ثلاثا) سبحان الله (٣٣ مرة) الحمد لله (٣٣ مرة) الله أكبر (٣٣ مرة) وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى

الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين) وهـذه الرواية قد تلقيتها من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ منصور على ناصف أحد أكابر علماء الأزهر الشريف والمدرس بالجامع الزينبي بمصر . ومؤلف كتاب التاج فى أحاديث الرسول ﷺ وهو قد تلقاها من مشايخه رضى الله عنهم اجمعين .

﴿ فى آداب الدعاء ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (من لم يسأل الله يغضب عليه) وروى عنه عليه الصلاة والسلام (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر) كما ورد أن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل هذا وللدعاء آداب ذكرها العلماء وهى : (١) استقبال القبلة (٢) رفع اليدين ومسح الوجه بهما بعده (٣) البدء بحمد الله تعالى وتسبيحه والثناء عليه بما يليق به كذكر الباقيات الصالحات وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أو كما كان يقول ﷺ فى بعض الحالات (اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت خالق السموات والأرض ومجرى الماء ومسخر الهواء ورافع السماء ولك الحمد سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك (٤) الصلاة والسلام على النبى ﷺ وعلى الآل فى أوله وآخره ووسطه (٥) العزم فى الطلب والالحاح فى الدعاء دائماً (٦) الأيقان بالاجابة متى توفرت شروط الدعاء التى أعظمها أكل الحلال والبعد عن المحرمات وفعل الواجبات وطهارة الباطن والظاهر وحضور القلب والخشوع والصدق وعدم رفع البصر إلى السماء وخفض الصوت لقوله عليه الصلاة والسلام لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم ولقوله تعالى (أدعوا ربكم تضرعا وخفية) ولقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (إذ نادى ربه

نداء خفيا) وأن لا يتكلف السجع فى الدعاء ـ وعن النبى ﷺ (إذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شىء فليقل الحمد لله على كل حال)

هذا وللدعاء أوقات يكون الغالب فيها الأجابة وهى : ـ (١) وقت السحر (٢) ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (٣) فى جوف الليل (٤) وقت الفطر (٥) ما بين الأذان والاقامة (٦) عند جلسة الخطيب بين الخطبتين إلى أن يسلم (٧) فى الثلث الأخير من الليل وخصوصا ليلة الجمعة (٨) فى حالة السجود (٩) عقب الصلوات المفروضة (١٠) ليلة النصف من شعبان المكرم (١١) ليلة عيد الفطر وليلة عيد الأضحى (١٢) عند زيارة النبى ﷺ فى قبره وعند زيارة قبور الأولياء والصالحين والأقطاب الواصلين نفعنا الله بهم وببركاتهم وأسرارهم أجمعين آمين

الباب الثالث — فى الكلام على السحر

الفصل الاول — فى المعانى اللغوية للسحر

(١) اعلم أن أهل اللغة يذكرون أن أصل السحر لما لطف وخفى سببه ثم نقل هذا الاسم لكل أمر خفى سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله وقد أجرى مقيداً فيما يمتدح ويحمد روى أنه قدم على رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم فقال لعمرو خبرنى عن الزبرقان فقال مطاع فى ناديه شديد العارضة (١) مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان هو والله يعلم أنى أفضل منه فقال عمرو إنه زمر (٢) المروءة ضيق العطن (٣) أحمق الأب لئيم الخال يا رسول الله صدقت فيهما أرضانى فقلت أحسن ما علمت وأسخطنى فقلت

---

(١) كناية عن جودة البيان

(٢) اى قليل المروءة وأصل الزمر بوزن كتف قليل الشعر والصوف

(٣) كناية عن ضيق حاله والعطن مربط الابل كنى بضيقها عن قلة المال

أسوأ ما علمت فقال عليه الصلاة والسلام (ان من البيان لسحرا) وأخبر بعض الأدباء قال ما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث له الا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاماً ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر إليه المعتصم فاعجبه شكله وقده ومشيته إلى الموت غير مكترث له فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال أما إذ أذن أمير المؤمنين (جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق) فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة وأيم الله قد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا العفو أو الانتقام وأمير المؤمنين أقرب إلى العفو وهو أليق شيمه الطاهرة ثم أنشد : —

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظنى من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى ... وأى امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من أن أموت وإننى ... لأعلم أن الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم ... وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

قال فبكى المعتصم وقال (ان من البيان لسحرا) ثم قال كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم وروى أن رجلا تكلم بكلام بليغ عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر هذا والله (السحر الحلال)

(٢) وقيل أصله الصرف يقال ما سحرك عن كذا أى ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته وقيل أصله الاستمالة وكل ما استمالك فقد سحرك ومنه اطلاق الشعراء (سحر العيون لاستمالتها النفوس) روى عبدالله بن بشر

المازنى قال قال رسول الله ﷺ (اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت) قال العلماء انما كانت الدنيا أسحر منهما لأنها تسحرك بخدعها وتكتمك فتنتها فتدعوك إلى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك وبين طاعة الله تعالى وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته فالدنيا أسحر منهما تأخذ بقلبك عن الله وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تاخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله ﷺ (حبك الشيء يعمى ويصم) وقال فى النهاية قوله عليه الصلاة والسلام (ان من البيان لسحرا) أى منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق وقيل معناه إن من البيان ما يكتسب به من الأثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون فى معرض الذم ويجوز أن يكون فى معرض المدح لأنه يستمال به القلوب ويترضى به الساخط ويستنزل به الصعب والسحر فى كلامهم صرف الشيء عن وجهه

(٣) وقال الجوهرى السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر وقال ابن مسعود كنا نسمى السحر فى الجاهلية العضة وهى عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب ـ هذا وقد قالت الأطباء (الطبيعة ساحرة) وسموا الغذاء سحرا من حيث أنه يدق ويلطف تأثيره والسحر عندهم بالفتح هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه والسحر بالفتح أيضا الرئة او اعلى الحلقوم وهذا يرجع إلى معنى الخفاء ومنه قول السيدة عائشة رضى الله عنها (توفى رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى) ومنه قوله تعالى (إنما أنت من المسحرين) يعنى من المخلوق الذى يطعم ويسقى يدل عليه قوله تعالى (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق)

الفصل الثانى — فى بيان حقيقة السحر عند العلماء وضروبه

(١) قال الأمام البيضاوى السحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضامن والتعاون وبهذا يتميز الساحر

عن النبي والولى وأماما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لأنه فى الأصل لما خفى سببه .

(٢) وقال الامام الغزالى السحر حق إذ شهد به القرآن وهو نوع من العلوم يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ شكلا من تلك الجواهر على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص فى المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش والمخالفة للشرع ويتوسل بسببها بالاستعانة إلى الشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور .

(٣) وقال صاحب ارشاد القاصد السحر علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية .

(٤) وقال ابن العربى الفقيه المالكى السحر كلام مؤلف يعظم فيه غير الله عز وجل وتنسب إليه الكائنات والمقادير .

(٥) وقال السعد فى حاشية الكشاف السحر هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وافعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة .

(٦) وقال السيد محمد مرتضى الزبيدى شارح القاموس فى شرحه لاحياء علوم الدين للغزالى المسمى (اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين) ما نصه (إعلم أن السحر هو علم يبحث فيه عن معرفة الكواكب وأحوال الأوضاع وارتباط كل منهـا بأمور أرضية وعن معرفة المواليد والبروج والمنازل ومقادير سير القمر فى كل منهـا ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج فيظهر من بين ذلك أفعال غريبة وأسرار عجيبة تخفى عللها وأسبابها على ذوى العقول بتركيب الساحر لها فى أوقات مناسبة للاوضاع الفلكية مع مقارنة الكواكب وتوافق المواليد الثلاث فيظهر عند ذلك ما خفى سببه مع أوضاع عجيبة بكيفية غريبة تحير العقول ويعجز عن حل خفاياها أفكار الفحول) .

﴿ ضروب السحر ﴾

(١) ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقوله تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) ومن هنا سموا موسى عليه السلام ساحرا وقد يستعين الساحر فى ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذى يجذب الحديد المسمى بالمغنطيس .

(٢) ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب اليهم وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) واكثر من يتعاطى السحر من الأنس النساء وخصوصا فى حال حيضهن والأرواح الخبيثة ترى غالبا للطبائع المغلوبة والنفوس الرزيلة وان لم يكن لهم رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والأنسان إذا فسد نفسه أو مزاجه يشتهى ما يضره ويتلذذ به بل يعشق ذلك عشقا يفسد عليه عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون فى كثير من الأمور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق وبالبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم والقاء المصحف فى القاذورات والاستنجاء باللبن وغير ذلك مما ليس لله فيه رضى فاذا قالوا كفرا أو كتبوه أو فعلوه اعانتهم الشياطين لأغراضهم أو بعضها إما بتغوير ماء أو بأن يحمل فى الهواء إلى بعض الأمكنة وإما أن يأتيه بمال من أموال الناس كما يسرقه الشياطين من أموال الخائنين وما لم يذكر اسم الله عليه ويأتى به وإما غير ذلك من قتل أعدائهم أو إمراضهم أو جلب من يهوونه وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات

لينظن من يحسن به الظن انه وقف بعرفات وقد زين لهم الشيطان أن هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله تعالى لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعا بل هو منهى عنه حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عباده ولأهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعى مكاشفات أحيانا وتأثيرات يأوون كثيرا الى مواضع الشياطين التى نهى الشارع عن الصلاة فيها كالحمامات والمزابل وأعطان الأبل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لأن الشياطين تتنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام وتفتنهم بذلك .

(٣) ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها على زعمهم .

(٤) قال ابن حزم ومنه ما يوجد من الطلسمات(١) كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب فى وقت كون القمر فى العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهى سر قطه فانها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته .

(٥) ومنه سحر بابل وكانوا يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة وقد عملوا لكل كوكب منها صنما داخل هيكل يتقربون اليها بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم فمن أراد شيئا من الخير والصلاح على زعمه يتقرب الى المشترى بما يوافقه من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها ومن طلب شيئا من الشر والحرب والبوار لغيره تقرب على زعمه إلى زحل بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات وبما يناسبه من الرقى والعزائم وهى كلها بالنبطية وتشتمل على تعظيم لتلك الكواكب .

(٦) ومنه ضرب آخر من ضروبه وهو الاحتيال فى إطعامه بعض الأدوية

---

(١) جمع طلسم بكسر الطاء وفتح اللام المخففة وسكون السين وقد تشدد اللام ويجمع ايضا على طلاسم وهو علم استنزال قوى الارواح العلوية

المؤثرة فى العقل أو المسكرة أو المبلدة له نحو دماغ الحمار إذا طعمه انسان يتبلد عقله وتقل فطنته وتجوز عليه أشياء مما لوكان تام الفطنة لأنكرها فيقول الناس انه مسحور ولذلك قال الشافعى رضى الله تعالى عنه ان السحر مرض من الأمراض

(٧) قال الجصاص ومنه ضرب آخر من السحر وهو السعى بالنميمة والوشاية والأفساد من وجوه خفية لطيفة وذلك عام شائع فى كثير من الناس إلى أن قال حكى أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة فقالت لها ان زوجك معرض عنك وقد سحر وهو مأخوذ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ولا ينظر إلى سواك ولكن لابد أن تأخذى من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها فان بها يتم الأمر فاغترت المرأة بقولها وصدقتها ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له ان امرأتك قد علقت رجلا وقد عزمت على قتلك وقد وقفت على ذلك من أمرها فأشفقت عليك ولزمنى نصحك فتيقظ ولا تغتر فانها عزمت على قتلك بالموسى إذا أنت نمت وستعرف ذلك منها فما فى أمرها شك فتناوم الرجل فى بيته فلما ظنت امرأته انه قد نام عمدت إلى موسى حاد وهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات ففتح الرجل عينه فرآها وقد اهوت بالموسى إلى حلقه فلم يشك فى انها أرادت قتله فقام اليها فقتلها وقتل هو قصاصا .

(٨) هذا وقد زعم بعضهم ان من ضروبه ضرب من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا قال الراغب ولا حقيقة لذلك عند المحصلين

(٩) وذهب بعض العلماء إلى أن التنويم المغناطيسى ضرب من ضروب السحر يرجع إلى تأثير روح قوية فى روح ضعيفة أخرى فترى المنوم يختار شخصا ذا روح ضعيفة فيسلط روحه القوية عليه فيوقع جوارحه فى سبات عميق حتى يفقد احساسه وشعوره ولو قرض جسمه بمقاريض من حديد فعند ذلك تتنبه الروح وتتيقظ وتنسلخ من حجاب الجسم الكثيف فترجع إلى عالمها وخاصتها التى أودعها الله تعالى فيها فتأتى بأمور مدهشة وتخبر عن أشياء غيبية

تعد عندها من عالم الشهود وفى نظرنا من عالم الغيب وهذا الغيب نسبي اذ يعد غيبا بالنسبة لنا ويعتبر شهادة بالنسبة لغيرنا وبالعكس يعتبر شهادة بالنسبة لنا وغيبا بالنسبة لغيرنا فمثلا الخطاب الذي يكتبه أحد الناس بعيدا عنى يعتبر غيبا بالنسبة إلى وشهادة بالنسبة له وكذا العكس ـ وقال الاستاذ الشيخ على الأسيوطى الفلكى فى كتابه عالم الأرواح تحت عنوان الرسالة السادسة فى التنويم المغناطيسى ـ أوالسيال الروحى أو النوم الصناعى كلها مترادفات معناها تاثير انسان على غيره بكيفيات مخصوصة ولقد كان هذا العلم معروفا عند الكهان من العرب وغيرهم فانهم كانوا يأتون بأخبار المستقبل بمجرد حركات نفسيه تشبه حركات التنويم تماما وليس النفث فى العقد وغيره الا جزءا أو قطرة من بحر هذا العلم إلى أن قال وقد ثبت أنه كان يستعمل عند قدماء المصريين وانهم برعوا فيه حتى كانوا يمغنطون الأشجار والأحجار ويخصصون لها فوائد من المدهشات فقد قيل انه وجدت شجرة بمصر مكتوب عليها بالخط القديم انها الشفاء الأمراض وكان الناس يأتونها للاستشفاء فتذهب آلامهم لوقتها

تعليق ـ قلت إن جعل التنويم المغناطيسى ضرب من ضروب السحر فيه نظر فقد علم مما تقدم أن السحر بضروبة على اختلاف أنواعها لا يخرج عن أمور أربعة هى أولا ـ ما يستعان فيه بالتقرب إلى الشياطين والاستعانة بهم وثانيا ـ ما يستعان فيه بمعرفة خصائص الكواكب واستنزال روحانيتها على زعمهم ثالثا ـ مايستعان فيه بالطلاسم وخواص الجواهر رابعا ـ ما كان من قبيل الشعوذة وخفة اليد والتمويه والخداع ولا يمكن أن يكون التنويم المغناطيسى مندرجا تحت أى ضرب من هذه الضروب الأربعة فهو ليس خداعا ولا تمويها بل هو حقيقة ثابتة كما سنبين ذلك ولا علاقة له مطلقا لا بالشياطين ولا بالكواكب ولا بالطلاسم كما أنه ليس له علاقة مطلقا بالنفث فى العقد ثم يلاحظ فوق هذا أن الساحر يشترط فيه أن يكون ذا نفس خبيثة شريرة وليس هذا بشرط فى المنوم بل على العكس ثبتت صحة هذا العلم على يد أكابر علماء الغرب ولم يستعمل هذا العلم كالسحر فى الاضرار بالغير وعلى

العكس من ذلك استعمل فى معالجة امراض كثيرة بعد أن عجز الطب عن علاجها وخصوصا الامراض العصبية والمزمنة فقد نجح فيها نجاحا عظيما هذا وقد أصبح التصديق بصحة هذا العلم قضية لاشك فيها حتى ان محكمة جنايات مصر حكمت على طبيب مصرى بادانته فى تهمة وقاع انثى بغير رضاها مستندة فى اثبات الجريمة على صحة هذا العلم بعد أن كلفت أحد الاطباء بتنويم المجنى عليها بقاعة الجلسة وأمر المنوم لها بسرد حكايتها مع الطبيب الجانى فادلت بها كما وقعت وذلك كله بعد أن أجريت جملة تجارب فى قاعة الجلسة للتثبت من صحة هذا العلم كاخفاء بعض النقود وبعض الحلى التى لم يطلع عليها أحد فدلت عليها المجنى عليها فى حالة نومها ووصفتها وصفا دقيقا وتاما فحكمت المحكمة على المجرم بسبع سنين فى الأشغال الشاقة مع انه لم يكن فى القضية من الأدلة على ارتكاب الجريمة غير ذلك .

(١٠) هل علم الأوفاق من السحر — سئل الامام الكبير ابن حجر الهيتمى عن ذلك فاجاب رحمه الله تعالى فى كتابه الفتاوى الحديثية بأن علم الأوفاق يرجع إلى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص كان يكون من شكل من تسع بيوت مبلغ العدد من كل جهـــة خمسة عشر وهو ينفع للحوائج واخراج المسجون ووضع الجنين وكل ما هو من هذا المعنى وكان الغزالى رحمه الله يعتنى به كثيرا حتى نسب اليه ولا محذور فيه ان استعمل لمباح بخلاف ما اذا استعين به على حرام وعليه يحمل جعل القرافى الأوفاق من السحر .

الفصل الثالث — هل للسحر حقيقة أم هو مجرد ايهام وخداع وتخييل

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة ومن على شاكلتهم ومنهم الجصاص إلى أنه ضرب من الخفة والشعوذة وانه خدع وأوهام وانه لا حقيقة له مستدلين بقوله تعالى (يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) ولم يقل تسعى على الحقيقة ولـكن قال يخيل إليه — قال العلماء

وهذا لا حجة فيه لأننا لا ننكر أن التخييل وغيره من جملة السحر لكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها النقل والسمع فمن ذلك ما جاء فى قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) فقد جاء فى هذه الآية الكريمة ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر الله تعالى انهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة وقوله تعالى فى قصة سحرة فرعون (وجاءوا بسحر عظيم) وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم كما تقدم فى الفصل الثانى من الباب الأول ويدل على أن للسحر حقيقة غير ما ذكر قول النبى ﷺ لما حل عنه السحر (إن الله شفانى) والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل ذلك على أن له حقيقة فهو مقطوع به بأخبار الله تعالى ورسوله ﷺ على وجوده ووقوعه وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الاجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بخشالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق وفوق هذا فان السحر شاع وذاع فى سابق الزمان وتكلم الناس فيه ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين انكار لأصله . روى سفيان عن أبى الأعور عن عكرمة عن ابن عباس قال علم السحر فى قرية من قرى مصر يقال لها (الفرما) فمن كذب فهو كافر مكذب لله ورسوله منكر لما علم مشاهدة وعيانا .

الفصل الرابع — ما يمكن أن يظهر على يد الساحر من خرق العادات وما يمتنع عليه

قال القرطبى قال علماؤنا لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس فى مقدور البشر قالوا ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج فى الكوات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة والجرى على

خيط مستدق والطيران فى الهواء والمشى على الماء وركوب كلب وغير ذلك ومع ذلك فلا يكون السحر موجبـا لذلك ولا علة لوقوعه ولا سببا مولدا ولا يكون الساحر مستقلا به وانما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل والرى عند شرب الماء .

وقد اجمع علماء المسلمين على انه ليس فى السحر ما يفعل الله عنده انزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا واحيـاء الموتى وانطاق العجمى وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله تعالى عند ارادة الساحر كما جرت بذلك عادة الله المستمرة صونا لهذا المنصب الجليل من أن يتسور حماه الكذابون قال القاضى أبو بكر ابن الطيب وانما منعنا ذلك بالاجماع ولولاه لا جزناه — وقال بعض العلماء لا يزيد تأثير السحر عما ذكره الله تعالى فى قوله (يفرقون به بين المرء وزوجه) لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع به اكثر من ذلك لذكره قال المازرى والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به اكثر من ذلك قال والآية الكريمة ليست نصا فى منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة فى ذلك واختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض أو ينتهى الى الأحالة بحيث يصير الجماد حيوانا والعكس أو يقلب الصورة الحيوانية نفسها بأن يصير الانسان حمارا أو خنزيرا أو غيره فالذى عليه الجمهور هو الأول وذهبت طائفة قليلة الى الثانى وفى الموطأ عن كعب كلمات احفظهن من التوراة لولاها لجعلتنى يهود حمارا (أعوذ بوجه الله العظيم الذى لا شىء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ) قال ابن حجر فان كان بالنظر إلى القدرة الألهية فمسلم وان كان بالنظر الى الواقع فهو محل الخلاف فان كثيرا ممن يدعى ذلك لا يستطيع اقامة البرهان عليه .

الفصل الخامس — فى الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

قال العلماء الفرق بين هذه الثلاثة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال

ظاهرة كانت أو خفية حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل انما تقع غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدى وأيضا فان السحر يوجد من الساحر وغيره وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الأتيان به فى وقت واحد أما المعجزة فتتميز بألا يمكن الله أحدا أن يأتى بمثلها أو معارضتها بخلاف السحر فقد يعارض الساحر ساحرا آخر ويتغلب عليه بسحره لأنه اعلم منه بالسحر وضروبه ثم إن الساحر لم يدع النبوة فالذى يصدر منه متميز عن المعجزة فان المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدى بها ثم إن المعجزة امداد من الله تعالى لنبيه لتكون شاهدة صدق على نبوته وهى تفوق السحر فى تأثيرها بخلاف السحر فانه امداد للساحر من الشيطان ولا يمكن للسحر أن يعترض المعجزة بل المعجزة هى التى تعترضه وتتحداه وتكشفه وتفضحه كما حصل ذلك فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سحرة فرعون وافتضاح ما أتوا به من السحر العظيم فعند ذلك آمن السحرة ولم يثنهم عن ايمانهم ما لقوه من العذاب الأليم الذى أنزله بهم فرعون لعنه الله ذلك لأن ايمانهم كان عن يقين ثابت بأن ما أتى به سيدنا موسى عليه السلام كان حقا وليس بسحر — هذا وقد نقل امام الحرمين الاجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق وأن الكرامة لا تظهر على فاسق وانه ينبغى أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذى يظهر على يده من الخوارق كرامه وإلا فهو سحر .

وقال صاحب الفتاوى الحديثية وتميز الصالح عن غيره بين لاخفاء فيه إذ ليست السيما كالسيما ولا الآداب كالآداب وغير الصالح لو لبس ما عسى أن يلبس لا بد أن يرشح من نتن فعله أو قوله ما يميزه عن الصالح ومن ثم ناظر برهمى صوفيا والبراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضيات فطار البرهمى فى الجو فارتفعت اليه نعل الشيخ ولم تزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكوسا على رأسه بين يدى الشيخ والناس ينظرون ووقع نظير هذا لشيخنا العارف بالله ابن ابى الحمائل لما كان بفارس كور (بلد قريب من

دمياط) فدخلها متوسم بوسم الصوفيـــة فاظهر لهم من الخوارق ما أوجب لغالب أهل البلد انهم تبعوه فظهر منه انحلال كثير عن طريق الاستقامة حتى اغوى كثيرين وكان له مجلس ذكر بالجامع الذى فيه شيخنا وله به أيضا مجلس ذكر ففى ليله فرغ شيخنا من مجلسه واولئك لم يفرغوا فانصت ساعة ثم قال لتاسومته التى يلبسها فى الجامع يا هذه التاسومة اذهبى الى هذا الشيخ فان كان كاذبا فاصفعيه إلى أن يخرج من هذا الجامع فلم يلبث جماعة شيخنا السامعون لكلامه إلا وهم يسمعون صوت الصفع فى رقبة ذلك الشيخ ففر وفرت جماعته حتى خرجوا من الجامع ثم من البـــلد ولم نعلم أين ذهب — ووقع للامام العارف البهائى السندى صـــاحب الامام السهروردى أن برهميا جاء مجلسه وارتفع فى الهواء فارتفع الشيخ حينئذ فى الهواء ودار فى جوانب المجلس فاسلم البرهمى لعجزه عن ذلك فانهم لا يقدرون على الدوران فى الهواء وإنما يرتفع الواحد منهم فى الهواء مستويا لا غير وناظر عبد الله بن حنيف برهميا على حقيقة الاســلام ليطوى مع البرهمى أربعين يوما فشرعا فعجز البرهمى عن اكمال المدة واكملهـــا ابن حنيف على غاية من القوة واللذة — ووقع له مع برهمى أيضا انه ناظره على المكث تحت الماء مدة فمات البرهمى اثناءها وظهرت جيفته وبقى ابن حنيف حتى اكملها ثم ظهر) .

الفصل السادس — نبذة تاريخية عن السحر فى الاسلام وفى الأمم الأخرى

اعلم أن السحر كان موجودا من زمن نوح عليه السلام وقد دل القرآن على ذلك اذ اخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم زعموا انه ساحر كما كان فاشيا أيضـــا فى قوم فرعون ثم فى قوم سليمان عليه السلام قيل إن سليمان عليه السلام كان قد جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسى لئلا يحترق فلما مات سليمان عليه السلام وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم شيطان فى صورة انسان فقـــال لليهود هل ادلكم على كنز لا نظير له قالوا نعم قال فاحفروا تحت

الكرسى فحفروا وهو متنح عنهم فوجدوا تلك الكتب فقال لهم إن سليمان كان يضبط الأنس والجن بهذا ففشا فيهم أن سليمان عليه السلام كان ساحرا فلما نزل القرآن بذكر سليمان فى الأنبياء انكرت اليهود ذلك وقالوا انما كان ساحرا فنزلت الآية الشريعة (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) اخرجه الطبرى وغيره عن السدى ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه ولكن قال إن الشياطين هى التى كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ثم لما مات سليمان عليه السلام استخرجته وقالوا هذا العلم الذى كان سليمان يكتمه الناس واخرجه من طريق محمد بن اسحق وزاد انهم نقشوا خاتما على نقش خاتم سليمان وختموا به الكتاب وكتبوا عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخياء الصديق الملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه فذكر نحو ما تقدم قال الكلبى فاما علماء بنى اسرائيل فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان وأما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه وتعليمه ورفضوا كتب انبيائهم حتى بعث الله محمدا ﷺ فانزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان واظهر براءته مما رمى به فقال (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) قال الزجاج على عهد ملك سليمان والشياطين هنا قيل هم شياطين الجن وهو المفهوم من هذا الاسم وقيل المراد أيضا شياطين الأنس المتمردون فى الضلال (وما كفر سليمان) تبرئة من الله لسليمان ولم يتقدم فى الآية أن أحد انسبه الى الكفر ولكن اليهود نسبته إلى السحر ولما كان السحر كفرا صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر ثم قال تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) فأثبت كفرهم بتعليم السحر .

قصة هاروت وماروت

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا

انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)

قال كثير من المفسرين عن هذه القصة انه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الملائكة لما قالت (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أجابهم الله تعالى بقوله (انى اعلم ما لا تعلمون) فلما فشت المعاصى فى الأرض تعجبت الملائكة من بنى آدم ومن تبقية الله لهم مع ما ظهر منهم من القبائح وقالوا لله تعالى لو كنا مكانهم ما عصيناك فقال اختاروا ملكين منكم من اعظمكم علما وزهدا وديانة لانزلهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت فركب فيهما شهوة الأنس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر وأمر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا إلى الأرض فجعلت الزهرة فى صورة امرأة غاية فى الحسن والملك فى صورة رجل ثم إن الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما إليها ونصب الملك نفسه فى منزلها فى صورة صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما إلا أن يشربا الخمر فقالا لا نشرب ثم غلبت عليهما الشهوة فشرباها وسجدا للصنم ثم دخل عليهم سائل فرآهم فقالت إن أظهر هذا السائل للناس ما رأى فسد أمرنا فأن أردتما الوصول إلى فاقتلا هذا الرجل فقتلاه ثم بعد أن فرغا من قتله ارتفعت الزهرة وملكها إلى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انهما قد ابتليا إذ أرادا العروج فلم يتمكنا فخيرهما الله تعالى بين عذاب الآخرة آجلا و بين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين فى بئر إلى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر و يدعوان اليه ولا يراهما أحد إلا من ذهب إلى ذلك الموضع ليتعلم منها السحر خاصة . وفى رواية أخرى أن الزهرة كانت فاجرة من أهل الأرض وانهما واقعاها بعد أن شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الأعظم الذى كانا يعرجان به إلى السماء فتكلمت المرأة بذلك

الاسم فعرجت إلى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب — وهذه القصة عنـــد المحققين غير مقبولة إذ ليس فى كتاب الله ما يدل عليهـــا وللاسباب الآتية : —

(١) لأن الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها .

(٢) لاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب .

(٣) لأن الفاجرة كيف يعقل انها صعدت إلى السماء وجعلها الله كوكبا

(٤) لانه ذكر فى القصة أن الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتمانى فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهما تكذيب لله تعالى وتجهيل وهو باطل .

قال القاضى البيضاوى (هاروت وماروت ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر) قال المحشى وهو الخطيب المشهور بالكازرونى (وتوضيحه أن يقال أن الملكين النازلين من السماء أى من سماء عالم القدس الروح والقلب والمرأة التى هى الزهرة النفس فانها حملت الروح والقلب على المعاصى وهما يبرئان النفس ويطهرانها حتى تصفو فيحصل لها عروج وارتفاع ولحقت بسبب كمالها الى عالم القدس أيضا وليس فيما ذكر منافياً لهـذا التأويل فانه لا يلزم من حمل النفس القلب والروح على المعاصى اشتغالها بهـا)

وقال الآلوسى (انهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلم وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان ولله تعالى أن يمتحن عباده بما يشاء كما امتحن قوم طالوت بالنهر وتمييزا بينـه وبين المعجزة حيث أنه كثر فى ذلك الزمان وأظهر السحرة أمورا غريبة وقع الشك بهـا

فى النبوة فبعث الله تعالى الملكين لتعليم أبواب السحر حتى يزيلا الشبه ويميطا الأذى عن الطريق قيل كان ذلك فى زمن ادريس عليه السلام وأما ما روى من أن الملائكة تعجبت من بنى آدم فى مخالفتهم ما أمر الله تعالى به وقالوا له تعالى لو كنا مكانهم ما عصيناك فقال اختاروا ملكين منكم إلى آخر القصة إلى أن قال الى غير ذلك من الآثار التى بلغت طرقها نيفا وعشرين فقد انكره جماعة منهم القاضى عياض والامام الرازى الى أن قال ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت انهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله العظيم فان الملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى أن قال واعترض الامام السيوطى على من أنكر القصة بأن الامام احمد وابن حبان والبيهقى وغيرهم رووها مرفوعة وموقوفة على علىّ وابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم بأسانيد عديدة صحيحة يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها لكثرتها وقوة مخرجيها ـ وذهب بعض المحققين الى أن ما روى مروى حكاية لما قاله اليهود وهو باطل فى نفسه وبطلانه فى نفسه لا ينافى صحة الرواية ولا يرد ما قاله الامام السيوطى عليه وانما يرد على المنكرين بالكلية ـ ولعل ذلك من باب الرموز والاشارات فيزاد من الملكين العقل النظرى والعقل العملى اللذان هما من عالم القدس ومن المرأة المسماة بالزهرة النفس الناطقة ومن تعرضهما لها تعليمهما لها ما يسعدها ومن حملها اياهما على المعاصى تحريضها إياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى الميل إلى السفليات المدنسة لجوهريهما ومن صعودها إلى السماء بما تعلمت منهما عروجها إلى الملا الأعلى ومخالطتها مع القدسيين بسبب انتصاحها لنصحهما ومن بقائهما معذبين ببقاؤهما مشغولين بتدبير الجسد وحرمانهما عن العروج إلى سماء الحضرة لأن طائر العقل لا يحوم حول حماها ومن الأكابر من قال فى حل هذا الرمز (إن الروح والعقل اللذين هما من عالم

المجردات قد نزلا من سماء التجرد الى أرض التعلق فعشقا البدن الذى هو كالزهرة فى غاية الحسن والجمال لتوقف كمالها عليه فاكتسبا بتوسطه المعاصى والشرك وتحصيل اللذات الحسية الدنية ثم صعد الى السماء بأن وصل بحسن تدبيرهما الى الكمال اللائق به ثم مسخ بأن انقطع التعلق وتفرقت العناصر وهما بقيا معذبين بعذاب الحرمان عن الاتصال بعالم القدس متألمين بالآلام الروحانية منكوسى الحال حيث غلب التعلق على التجرد وانعكس القرب بالبعد) الى أن قال ومن قال بصحة هذه القصة فى نفس الأمر وحملها على ظاهرها فقد ركب شططاً وقال غلطاً وفتح باباً من السحر يضحك الموتى ويبكى الأحياء وينكس راية الاسلام ويرفع رؤوس الكفرة الطغام كما لا يخفى ذلك على المنصفين والمحققين) انتهى .

قال ابن خلدون فى مقدمته (ولما كانت هذه العلوم محجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشتط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب وغيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس الاما وجد فى كتب الأمم الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين وكانت هذه العلوم فى أهل بابل وفى أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى فى صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة فى هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها فاستخرجها ووضع فيها التآليف وأكثر الكلام فيها وفى صناعة السيمياء ثم جاء مسلمة بن احمد المجريطى إمام أهل الاندلس فى التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها فى كتابه الذى سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد فى هذا العلم بعده ـ إلى أن قال ابن خلدون فى مقدمته وشاهدنا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير الى كساء أو جلد ويتكلم عليه فى سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير الى

بطون الغنم كذلك فى مراعيها بالبعج فاذا امعاؤها ساقطة من بطونها الى الأرض وسمعنا بأرض الهند فى هذا العهد من يشير الى انسان فيتحتت قلبه ويقع ميتاً وينقب عن قلبه فلا يوجد فى حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب فى الاعداد المتحابة فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين مالا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر الى أن قال وبالمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذى ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء والجلد فيتخرق والى بطون الغنم بالبعج فتنبعج وهم يقصدون بذلك ارهاب أهلها ليعطوهم من فضلها وهم منتشرون فى الغابات خوفا على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبرونى بأن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك لروحانيات الجن والكواكب وأن بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الأفعال لهم لان التأثير الذى لهم انما هو فيما سوى الانسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم انما نفعل فيما تمشى فيه الدراهم أى ما يملك ويباع ويشترى من سائر الممتلكات وسألت بعضهم فأخبرنى بذلك وأما أفعالهم فظاهره موجودة وقفنا على الكثير منها وعايناها من غير ريبة فى ذلك)

وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ البحاثة الكبير محمد بك فريد وجدى السحر لدى الأمم المتأخرة فى ميدان المدينة يشغل المحل الأول من مجهوداتها العقلية والروحية فان سود استراليا يجعلون السحر فى أرقى درجات الاعتبار ويخافون السحرة خوفهم من الله فان مرض أحدهم زعم أن مرضه عرض من أعراض استيلاء روح شريرة عليه ويزعم أنه إن لم يتداركه الساحر ميت لا محالة ويزعمون أن الساحر يستطيع أن يغشى البيت بدون أن يراه أحد فيضرب المريض بعظمة من عظام الحيوان الكنغورو فيميته

وهو نائم ويدعى أنه يكفيه الانتقال أن يستولى على خصلة من شعر انسان فيحرقها مع تلاوة العزائم عليها فيموت صاحبها لا محالة إلى أن قال وليس الاستراليون وحدهم هم الذين يعتقدون فى السحر والسحره بل كل الأمم المنحطة فى ذلك سواء فقد وجد منتشرا فى جزائر الافيانوسية وللسحرة فى افريقيا شأن يذكر فأين يتولى السائح يجد الساحر معتبرا كأنه شخص إلهى عنده الأسرار الملكوتية يشفى من الأمراض ويطرد المردة والجن وينزل الأمطار على الأماكن المجدبة وتكثر عند الافريقيين التمائم والتعاويذ والطلاسم ولما احتل الأسبانيون أمريكا وجدوا للسحر عين الاعتبار الذى لامثالهم فى جميع بقاع الأرض ورأوا أن للسحرة فى أمريكا الشمالية اطلاع واسع على خواص النباتات فكانوا يصفونها للامراض المختلفة وكانوا يزعمون انهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر .

وقد دلت المخطوطات المصرية التى وجدت على ورق البردى أن السحر كان له فى مصر الاعتبار الا على عند جميع الطوائف حتى رتبت له رسوم وطقوس وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين وقد أرشدتنا تلك المخطوطات على أنهم تارة كانوا يتلون العزائم بقصد مناجاة الآلهة ليؤثروا الآثار المطلوبة لهم وتارة أخرى كانوا يخلطون الوصفات الطبية بالرقى والتعاويذ لدفع الأمراض إلى أن قال والامم التى تعتبر أنبغ الأمم فى السحر والنجامة هم الكلدانيون والبابليون الذين كانوا يعتقدون أن لكل من الآلهة اسمين أحدهما ظاهر والآخر سرى إذا دعيت به أجابت إلى الأغراض وقضت المقاصد وأثرت على الأجساد والعقول وكانت تلك العقيدة لدى الايطاليين أيضا فكانوا يعتقدون أن لله تعالى اسمين أحدهما مشهور بين الناس والثانى سرى لا يشيعونه حتى لا يعرفه العدو فيدعو به ويؤذيهم وأما عند اليونانيين فكان للسحر مكان واسع من تآليفهم وكانوا على نحو جميع الأمم فى الاعتقاد بالرقى والعزائم

والطلاسم وتأثير الارواح الشريرة وغير ذلك فلما ظهر المسلمون أخذوا فن السحر عن اليهود والسوريين والايرانيين وأخذوا النجامة عن الكلدانيين واليونانيين وكانت هذه الصناعة قد بلغت منتهى رقيها إذا ذاك وأعمالها تنحصر فى التبخير والتعزيم والرقى وكتابة الطلاسم - أما فى الهند فان الديانة والعلوم السرية مختلطان بعضهما ببعض ليس فقط بالنسبة للتحفظ من الشيطان المغرى بالشهوات بل للتسلط على الآلهة بالرياضيات والتقشف والتضحية وغير ذلك فلما جاءت الديانة البوذية التى هى اصلاح للبرهمية لم تحذف السحر بل أقرته وهو لا يزال عظيم الاعتبار فى التبت من بلاد الصين فلما جاءت الديانة المسيحية رفضت قبول السحر واعتبرته كفرا وعاملت رؤساء الاديان فى اليونان ورومانيا وجرمانيا معاملتها للسحرة ولكنها مع كل هذه الشدة لم تستطع ابطال السحر ولا السحرة فقد بقيت طائفة من الناس تشتغل به وبالنجامة والكيمياء والسيمياء حتى من الطبقات المتنورة) انتهى المنقول من دائرة المعارف .

الفصل السابع — فى الاحكام الشرعية المتعلقة بالسحر والسحرة

اختلف العلماء رحمهم الله فى تعلم السحر وتعليمه فقيل كفر مستدلين بالآية الكريمة (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) إذ فيها ترتيب الحكم على الوصف المناسب وهو مشعر بالعلية وأجيب بأنا لا نسلم أن فيهما ذلك لأن المعنى انهم كفروا وهم مع ذلك يعلمون السحر — وقيل إنهما حرامان قال الآلوسى وبه قطع الجمهور — وقيل مكروها وإليه ذهب البعض - وقيل مباحان والتعليم المساق للذم هنا محمول على التعليم للاغواء والاضلال واليه مال الامام الرازى قائلا اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجز معجزا واجب وما يتوقف الواجب

عليه فهو واجب فهذا يقتضى أن تحصيل العلم بالسحر واجب وما يكون واجبا كيف يكون حراما وقبيحا — ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتى حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل فيفتى به فى وجوب القصاص انتهى كلام الفخر قال الآلوسى والحق عندى الحرمة تبعا للجمهور إلا لداع شرعى وفيما قاله رحمه الله تعالى نظر أما أولا فلانا لا ندعى أنه قبيح لذاته وانما قبحه باعتبار ما يترتب عليه فتحريمه من باب سد الذرائع وكم من أمر حرم لذلك وفى الحديث (من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) وأما ثانيا فلان توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ألا ترى أن أكثر العلماء بل جلهم إلا النادر عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر وكفى فارقا بينهما ما تقدم ولو كان تعلمه واجبا لذلك لرأيت اعلم الناس به الصدر الأول مع انهم لم ينقل عنهم شىء من ذلك افتراهم اخلوا بهذا الواجب واتى به هذا القائل أو أنه أخل به كما أخلوا وأما ثالثا فلان ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن افتاء المفتى بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة افتائه على ما ذكره العلامة ابن حجر إن شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه انه يقتل غالبا قتل الساحر والا فلا) انتهى كلام العلامة الألوسى.

وقال صاحب كتاب (الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم فى السحر والطلاسم والنجوم) بعد أن ذكر فضيلة العلم المطاق المقابل للجهل المطلق (المبحث الثانى فى فضائل هذه العلوم السرية بخصوصها) اعلم أن اصحاب هذا العلم جمعوا بين الذ العلوم وأشرف القدر فاما وجه كونه الذ العلوم فلانه يوقفك على أسرار العالم العلوى والسفلى لأنه يجعلك مشاهدا للروحانيات ومخاطبا لهم بل مختلطا بهم وكواحد منهم وأما وجه كونه من أشرف القدر فلان أرباب هذا العلم المتصرفين فيه يقدرون على تحصيل جميع ما أرادوه من الأمور كمعالجة الأمراض الصعبة البرء التى يعجز عنها الأطباء مثل المفلوجين والمجذومين بعد تمكن الفالج والجذام وكازالة العشق لأن هؤلاء يستعينون فى جميع أمورهم بالروحانيات والأطباء يستعينون بالجسمانيات ولا شك أن الروحانيات

أقوى لا محالة من الجسمانيات وأن من فضائل هذا العلم أن صاحبه يقوى على قهر الخصوم من غير ممارسه الحروب وتعريض النفس للقتل إلى أن قال ومن فضائل هذا العلم أن صاحبه قد يصير بحيث تخبره الأرواح بالحوادث التى ستقع قبل وقوعها ليمكنه الاحتراز عن جميع المضار ثم ساق حكاية للدلالة على ذلك) .

تعليق - هذا كلام لا يقام له وزن ولا اعتبار له عند من هداه الله إلى صراطه المستقيم وعمر قلبه بالايمان ولم يتسلط عليه الشيطان وآمن وصدق بما جاء به القرآن قال تعالى فى سورة النمل (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون ايان يبعثون) وقوله تعالى فى سورة الأعراف (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقوله تعالى فى سورة يونس (قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ماشاءالله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

وقوله تعالى فى سورة الأنعام (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاهو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وآمن وصدق بما ورد عن رسول الله ﷺ عن عائشة رضى الله عنها (من زعم أن محمداً ﷺ يخبر الناس بما يكون فى غده وفى بعض الروايات يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله تعالى الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى وأحمد

وليس هناك تعارض بين ما تقدم وبين ما ورد فى كثير من آيات القرآن مثل آية (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) وآية (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) وكذلك لا تعارض بين ما تقدم وبين ما هو ثابت لكثير من الأولياء من الكرامات التى من ضمنها الكشف والأخبار ببعض المغيبات قال صاحب

روح البيان فى تفسيره الكبير عند الكلام على الآية الأولى ما نصه (أى إلا رسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما مالا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من الأولياء ما فى مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالأخبار الغيبى والتلقف من الحق فيدخل فى الرسول وارثه) .

هذ وقد تصفحت كتاب خلاصة السر المكتوم المذكور فوجدته كله مشحونا بكلمات الكفر والشرك والاستعانة بالجن والشياطين وملوكهم وتعظيمهم وبالكواكب السبعة وتعظيمها والتقرب إليها ووصف المواد والجواهر المضرة والمهلكة وما فيها من السموم وأنواعها وبالجملة ففيه من الأذى والأفساد وألفاظ الكفر والشرك ما لا يوصف والواجب على الحكومة وعلى مشيخة الأزهر الشريف مصادرة مثل هذه الكتب وإحراقها كما يجب عليها القضاء على طوائف من شياطين الإنس اطلقوا على أنفسهم أنهم مختصون بالعلوم السرية والروحانيات ويوهمون البسطاء والسذج من الناس بأنهم يفتحون الكنوز ويولدون الدنانير مع أنهم فى حالة يرثى لها من ضنك العيش وسوء المعيشة والفقر المدقع ويقومون بكتابة الرقى والتمائم والتعاويذ المشتملة على الكفر والشرك وأسماء ملوك الجن والشياطين والاستعانة بهم وتعظيمهم

وربما ذكروا فى تلك التمائم آيات من القرآن ذرا للرماد فى العيون حتى لا يشك فى أمرهم ويزعمون أن هذه التمائم تقى حاملها من جميع الأمراض والشرور أو تفتح لهم أبواب الرزق أو سببا فى الترقى فى الوظائف الحكومية أو فى الأرباح التجارية أو فى جلب محبة أو تفريق بين اثنين وغير ذلك وهؤلاء الدجالون يجدون فى الأقاليم والقرى مرتعا خصيبا لتفشى الجهل هناك فيبتزون الأموال ويتدخلون فى أمور الناس الخاصة بهم ويطلعون على أسرارهم وعلى زوجاتهم وبناتهم ويختلون بهن بدعوى كتابة الرقى على أجسامهن وفى مواضع العفة منهن واستحضار ملوك الجن للقيام بما يطلبنه من رغبات وتكون النتيجة أخيرا هتك الأعراض وازالة البكارات وافتضاح المخدرات نعوذ بالله من هذه الموبقات فاحذروا مثل هؤلاء الكفرة الفسقة الفجرة قاتلهم الله انى يؤفكون وأعد لهم فى جهنم العذاب الأليم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

اختلاف الفقهاء فى حكم الساحر

ذهب مالك رضى الله عنه الى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته لأنه أمر يستتر كالزنديق والزانى ولأن الله سبحانه وتعالى سمى السحر كفرا بقوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وهو قول احمد بن حنبل وأبى ثور واسحق والشافعى وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهم وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وابى موسى وقيس ابن سعد وعن سبعة من التابعين لما روى عن رسول الله ﷺ (حد الساحر ضربه بالسيف) رواه الترمذى بسنده عن جندب عن رسول الله ﷺ وقال ابن المنذر إذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب وكذلك لو ثبتت عليه بينة ووصفت البينة كلا ما يكون كفرا فان كان الكلام الذى سحر به ليس بكفر لم يجز قتله فان كان أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه ان

كان عمد ذلك وان كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك العضو — وروى عن الشافعي لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ويقول تعمدت القتل وان قال لم اتعمد لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ وإن أضربه أدب على قدر الضرر — وأما ساحر الذمة فقيل يقتل وقال مالك لا يقتل إلا أن يقتل بسحره ويضمن ما جنى ويقتل أيضا إن جاء منه ما لم يعاهد عليه ولا يرث الساحر ورثته لأنه كافر إلا أن يكون سحره لا يسمى كفرا — وقال مالك فى المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها تنكل ولا تقتل — وقال ابن المنذر (إذا اختلف اصحاب رسول الله ﷺ فى المسئلة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة وقد يجوز أن يكون السحر الذى أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا فيكون ذلك موافقا للسنة وأما ما روى عن عائشة رضى الله عنها بانها باعت ساحرة كانت قد سحرتها وجعلت ثمنها فى الرقاب فيحتمل أن يكون سحر تلك الساحرة لم يكن كفرا فان احتج محتج بحديث جندب عن النبى ﷺ (حد الساحر ضربه بالسيف) فلو صح لاحتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذى يكون سحره كفرا فيكون ذلك موافقا للاخبار التى جاءت عن النبى ﷺ (لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث) — قال الامام القرطبي قلت هذا صحيح ودماء المسلمين محظوره لاتستباح الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف والله تعالى اعلم.

وقال صاحب كتاب (رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة) ما نصه حرفيا (باب حكم السحر والساحر) ، السحر عزائم ورقى وعقد تؤثر فى الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الائمة الثلاثة وقال أبو حنيفة لا حقيقة له ولا تأثير فى الجسم وبه قال أبو جعفر الاستراباذى من الشافعية وتعلمه حرام بالاجماع واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويعلمه فقال أبو حنيفة ومالك واحمد يكفر بذلك ومن اصحاب ابى حنيفة من قال إن تعلمه ليتجنبه أو يتقيه لم يكفر وإن تعلمه معتقدا جوازه أو معتقدا أنه ينفعه كفر وأن اعتقد أن الشياطين تفعل للساحر ما يشاء فهو كافر وقال

الشافعي من تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وانهـــا تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وأن وصف ما لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحة السحر فهو كافر (فصل) وهل يقتل الساحر بمجرد تعلمه واستعماله قال مالك واحمد يقتل بمجرد ذلك فان قتل بسحره قتل عند الائمة إلا أبا حنيفة فانه قال لا يقتل حتى يتكرر ذلك منه وروى عنه انه قال لا يقتل حتى يقر أنه قتـــل انسانا بسحره وهل يقتل قصاصا أو حدا قال ابو حنيفة ومالك واحمد يقتل حدا وقال الشافعي يقتل قصاصا (فصل) وهل تقبل توبة الساحر أم لا قال أبو حنيفة فى المشهور عنه ومالك لا تقبل ولا تسمع بل يقتل كالزنديق وقال الشافعي تقبل توبته وعن احمد روايتان اظهرهما لا تقبل واختلفوا فى ساحر أهل الكتاب فقال مالك والشافعي واحمد لا يقتل وقال أبو حنيفة يقتل كما يقتل الساحر المسلم وهل حكم الساحرة المسلمة حكم الرجل الساحر المسلم قال مالك والشافعي واحمد حكمها حكم الرجل وقال أبو حنيفـــة تحبس ولا تقتل (فصل) قال النووى فى الروضة اتيان الكاهن وتعلم الكهانة والتنجيم والضرب بالرمل والشعير والشعبذة وتعليمهـــا حرام بالنص الصحيح وقال ابن قدامة الحنبلي فى الكافى الكاهن الذى له رئى من الجن والعراف نقل عن احمد أن حكمهما القتل أو الحبس حتى يموتا قال وأما المعزم الذى يعزم على المصروع ويزعم أنه يجمع الجن وانها تطيعه فذكره أصحابنا فى السحرة وروى عن احمد انه توقف فيه قال وسئل ابن المسيب عن الرجل يؤخذ عن امرأته يلتمس من يداويه فقال انما نهى الله عز وجل عما يضر ولم ينه عما ينفع إن استطعت أن تنفع أخاك فافعل وهذا يدل على أن مثل هذا لا يكفر صاحبه ولا يقتل).

الباب الرابع

فى الكهانة والزجر والفأل والطيرة والقيافة والفراسة والذكاء

الفصل الأول — فى الكهانة

الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها ادعاء علم الغيب كالأخبار بما سيقع

فى الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه فى أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذى يضرب بالحصى والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى فى قضاء حوائجه وقال فى المحكم الكاهن القاضى بالغيب — وقال فى الجامع العرب تسمى كل من أذن بشىء قبل وقوعه كاهنا وقال الخطابى الكهنة قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة وطباع ناريه فالفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه — وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية خصوصا فى العرب لانقطاع النبوة فيهم زمنا وهى على أصناف منها ما يتلقونه ويتلقفونه من الجن فأن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنوا الا على بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه فى أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الاسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب قال الله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) وقد بقى من استراقهم ما يتخطفه الاعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وإلى ذلك الاشارة إلى قوله تعالى (إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) وكانت اصابة الكهان قبل الاسلام كثيرة جدا كما جاء فى اخبار شق وسطيح ونحوهما واما فى الاسلام فقد ندر ذلك جدا حتى كاد يضمحل ولله الحمد ومنها ما يخبر الجنى به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الانسان غالبا أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد ومنها ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب ومنها ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ومن هذا القسم الأخير ما يضاهى السحر وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وكل ذلك مذموم شرعا — هذا وقد ورد فى ذم الكهانة أحاديث صحيحة منها (من اتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) وفى بعض الروايات (من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا فقد برىء مما انزل على محمد ومن

اتاه غير مصدق له لم تقبل صلاته اربعين يوما) — وكان أشهر كهان العرب سطيح الغسانى وكان من عجائب الدهر لأنه كان جسدا ملقى لا جوارح له سوى كتفين وجمجمه يؤثر فيها اللمس للينها ولم يكن له عنق ولا رأس وإذا أراد النقلة إلى مكان انطوى من رجليه إلى ترقوته كالثوب ثم يوضع على سرير له من جريد وخوص حيث يشاء وإذا أريد سؤاله عن المغيبات حرك كما يحرك سقاء اللبن المخيض فينتفخ ويعلوه النفس ويخبر عنما يسأل عنه روى انه ظهرت عند مولد النبى ﷺ عجائب خارقة فمن ذلك أن الليلة التى ولد فيها سيد الخلق واشرفهم ﷺ ارتجس ايوان كسرى وتزلزل وسقطت منه اربع عشرة شرفة مع انه كان محكم البناء احكاما يظن معه أن لا يهدمه إلا نفخة الصور فجزع كسرى أنوشروان من ذلك وتطير به فاحضر موبذ الموبذان وهو رئيس حكمائهم وعنه يأخذون شرائعهم وسأله عن ارتجاس الأيوان فقال وأنا أيها الملك رأيت رؤيا أفزعتنى رأيت كان خيلا عرابا تقودا بلا صعابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس واخبره قومه فى ذلك الوقت أن النار قد خمدت تلك الليلة وكان لها الف عام لم تخمد وفى نفس الساعة وافاه الخبر بأن بحيرة ساوه غاض ماؤها وساوه بلد معروفة بينها وبين الرى عشرون ميلا وكان طولها ستة أميال وعرضها كذلك فجمع كسرى زعماء دينه ورؤساء سلطنته وسألهم عن علم ذلك فقال موبذ الموبذان حدث عظيم يحدث من جهة العرب فارسل كسرى إلى النعمان بن المنذر وهو ملك العرب أن وجه إلينا اعلم من فى أرضك فبعث إليه بعبد المسيح الغسانى وكان من رؤوس الكهنة وأهل العلم الغامض وعمر مائة وخمسين سنة فلما قدم على كسرى قال له هل عندك علم بما أريد ان اسألك عنه فقال يخبرنى الملك بما يريد فان كان عندى فيه علم أخبرته فقال كسرى أريد من يعلم أمرى قبل أن اسأله فقال عبد المسيح ذلك يعلمه خال لى فى جهة الشام يقال له سطيح فبعثه كسرى إليه فلما قدم وجده قد أشرف على الموت فحياه فلم يرد عليه فانشد عبد المسيح يقول :

أصم أم يسمع غطريف اليمن يا فاصل الخطة اعيت من ومن

(غطريف اليمن أى سيد اليمن ومعنى الشطر الثانى أى يافاصل الأمر الصعب الذى يعنى فلانا وفلانا) ففتح سطيح عينيه وقال (عبد المسيح على جمل مشيح أى مسرع أتى إلى سطيح وقد وافى على الضريح بعثه ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى خيلا عرابا تقودا بلاصعابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة أى تلاوة القرآن وبعث صاحب الهراوة أى العصا وكانت تحمل بين يديه ﷺ ليصلى اليها وغاصت بحيرة ساوة لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك فيهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت) ثم قضى سطيح نحبه ومات فرجع عبد المسيح إلى كسرى فاخبره بذلك فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانوا اثنى عشر رجلا وامرأتين ـ وحكى أن هند بنت عتبة ابن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتنى قال فارجعى إلى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسست عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فقالت لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه إنك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغير وما هذا الا

لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه ان يسمى بسيما تكون على سببه فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه فادلى ثم أدخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فاكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال انى اريد ابين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى إلى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه .

الفصل الثانى — فى الزجر والفأل والطيرة

زجره عن كذا يزجره زجرا منعه ونهاه و (زجر الطير) أى تفاءل بها أو تشاءم وزجر الطير كان من عادة العرب وذلك ان أحدهم ان اراد أمرا ورغب فيه ان يعلم اخير هو أم شر رمى طيرا بحصاة أو صاح به فان طار يمينه علم أنه خير وان طار يساره علم أنه شر وكانوا يسمون الطائر الذى يأخذ جهة اليمين بعد زجره سانحا ويتفاءلون به والذى يأخذ جهة اليسار بارحا ويتشاءمون به والطيرة بكسر ففتح ما يتشاءم به من الفال الردىء كان يرى فى طريق مقصده مأثما أو يكون مشتغلا فى التفكير فى أمر مطلوب له مرغوب فيه فيسمع من يقول هذا مستحيل وقد يستعمل التفاؤل فى الخير والشر وأصله الاستبشار والفرح بمرئى أو مسموع كان يرى المقدم على زواج مظاهر عرس أو يسمع المريض من يقول يا سالم وكانوا يسمون من اشتهر فى حسن الزجر عائفا وعرافا كعراف اليمامة فيذهبون اليه وينصاعون لنتيجة زجره تقديما وتأخيرا إقبالا وإدبارا معتقدين فى ذلك جلب الخير ودفع الشر ومع شيوع

ذلك عند العرب فقد ثبت ان منهم من انكره بعقله وأبطل تأثيره بنظره وذم من اغتر به واعتمد عليه فمن ذلك قول الرقشى :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا من والا يامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

الواق الصرد نوع من الطيور عظيم الرأس والحاتم الغراب سمى بذلك لأنه يحتم الفراق ـ وقال آخر : ـ

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب اقفال

وقال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى زجر الطير : ـ إن العلماء بهذا الفن قالوا ان خرجت من منزلك تطلب حاجة أو تخطب امرأة فنعب غراب عن يمينك وعن يسارك أو سنح أو برح فامض فانك مدرك حاجتك ان شاء الله تعالى فان نعب أمامك أو فوقك فارجع ففيها تأخير وان خرجت تطلب مالا ضل عنك أو سرق فنعب غراب على شجرة يابسة فلا تطلبه فقد استهلك وقد يأتيك بعضه فان نعب على جدار جديد أو شجرة خضراء فانك تصيب مالك ان شاء الله تعالى فان خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فان نعب أمامك فامض فانك تدرك خيرا وان خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فانه صالح وان نعب عن يسارك فلا خير فيه وان خرجت فرأيت غرابا ينفض ريشه فانه يأتيك خير عاجل وان خرجت تريد خصومه فنعب من فوقك فامض وان نعب فاجابه الآخر فهو جيد صالح وان خرجت من منزلك فرأيت غرابا يمسح منقاره على الأرض فانك تصيب أو يأتيك هدية من مكان بعيد وان خرج من منزله فاستقبلته جنازة وجماعة فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فهى غير مقضية فان كانت الجنازة قد جاوزته مدبرة فليذهب لحاجته فان ذلك صالح إلى غير ذلك مما يطول شرحه هذا ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة فمن ذلك ما حكى أن أمية بن أبى الصلت الثقفى بينا هو يشرب مع اخوان له فى قصر عيلان بالطائف إذ سقط غراب

على شرفة القصر فنعب نعبة فقال اميه بفيك الكثكث أى التراب فقال له أصحابه ما يقول قال يقول إذا شربت الكأس التى بيدك مت ثم نعب نعبة أخرى فقال أمية كمقالته الأولى فقال أصحابه ما يقول قال يزعم انه يقع على هذه المزبلة فى أسفل القصر فيستثير عظما فيبتلعه فيشجى به فيموت فوقع الغراب على المزبلة فاثار العظم وابتلعه فشجى فمات فانكر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه ما أكثر ماسمعنا مثل هذا وكان باطلا وألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال فاغمى عليه ثم أفاق فقال لا برىء فاعتذر ولا قوى فانتصر ثم خرجت نفسه ـ ومن الفأل ما روى عن مصعب ابن عبد الله الزبيرى أنه حدث عن رجل قال شردت لنا ابل فاتيت حليسا الأسدى فسألته عنها فقال لبنت له خطى فخطت ونظرت ثم انقبضت وقامت منصرفة فنظر حليس فى خطها فضحك وقال أتدرى لما قامت قلت لا قال رأت أنك تجد ابلك وانك تتزوجها فاستحت وقامت قال فخرجت فاصبت ابلى ثم تزوجتها .

ومن ذلك ما روى أن كسرى ابرويز بعث الى النبى ﷺ حين بعث زاجرا ومصورا وقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للمصور إيتينى بصورته فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته ﷺ فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما ازجر به إلا أنه سيعلو أمره عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك . وحكى أنه كان عراف ببغداد يخبر بما يسأل عنه فلا يخطىء فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأى شىء عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة وكان الأمر كذلك والعرب اعظم ما تتطير منه الغراب فالقول فيه اكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه أيضا الاعور على جهة التطير إذ كان اصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم :

إذا ما غراب البين صاح فقل له ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر وابشع فى الأبصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا كأنك من يوم الفراق على وعد

وقالوا من تطير من شيء وقع فيه - دخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبدالملك بن مروان فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله إذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشوم وانى على أعداء الله تعالى لا نكد من الغراب الابقع واشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله (لو ان لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) فاى ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم وحكى أن صاحب قرطبه أصابه وجع فامر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذه الليالى علمنا ان ستطوينا فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات والحوادث والأخبار فى ذلك كثيرة يطول بنا المقام بذكرها وماتقدم كاف للتمثيل ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب الأدب وأخبار العرب

ولما جاء الاسلام نهى عن التطير والزجر وأمر بابطاله وأوجب اعتقاد أنه لا تأثير الا لله سبحانه وتعالى فلا يجوز للمسلم اعتقاد أن طيران الطير جهة الشمال مؤثر فى ايقاع المكروه فينصرف بسبب ذلك عن مقصده فان ذلك

فضلا عن تأثيره فى مصالح الناس وتعطيل أعمالهم من غير داع فهو مفسد لدينهم باعث على اضطراب أفكارهم ـ أما الفأل الحسن فممدوح غير مذموم بشرط أن يعتقد أن التأثير انما هو لله تعالى لا لما يسمعه من كلمات الاستبشار ولقد ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فاذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك وكان كعب يقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا حول ولا قوة الا بك ومعنى لاترد مسلما أى أنه لا يجوز للمسلم أن يتأثر بها فى الامتناع عن مقصده وثبت فى الصحيحين قوله ﷺ (لا عدوى ولا طيره وأحب الفأل الحسن) ومعناه لا عدوى مؤثرة بنفسها وطبعها بل التأثير عندها لله تعالى فلا ينافى ذلك قوله ﷺ (فر من المجذوم فرارك من الأسد) فانه يفيد أن ملاقاة المجذوم قد تكون سببا من أسباب الجذام فالله سبحانه وتعالى ان شاء أوجده عند الملاقاة وان شاء لم يوجده وقد يوجد من غير ملاقاة مجذوم ولذلك لما سمع اعرابى قوله ﷺ (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) قال يا رسول فما بال إبلى تكون فى الرمل لكانها الظباء (يعنى فى حسنها ونظافة جلدها) فيأتى البعير الأجرب فيجربها فقال له رسول الله ﷺ وسلم فمن أعدى الأول ؟ فهذا الجواب يقيم الدليل القاطع على أن التأثير انما هو لله تعالى وحده لا لطبائع الأمراض ومعنى لا صفر نفى ما كان يعتقدونه فى الجاهلية من الشؤم فى شهر صفر وأنه محل الدواهى والنكبات وقيل الصفر دواب فى البطن تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانوا يعتقدون أنها أعدى من الجرب وهذا القول الأخير مروى فى مسلم فيكون هو الصحيح ويتعين اعتماده وعلى كل فكلا المعنيين باطل والهامة من طيور الليل وقيل هى البومة كانت إذا سقطت على دار أحد اعتقد أنها ناعية اليه نفسه أو بعض أهله وقيل كانت العرب تعتقد أن عظام الميت أو روحه تنقلب هامة تطير والأول تفسير مالك بن أنس والثانى تفسير اكثر العلماء وعلى كل فكلا المعنيين باطل وأما كونه ﷺ يحب

الفأل الصالح فلانه يشرح الصدر ويقوى العزم على انفاذ القصد وهذه المحبة تتفق وغرائز الانسان فإنه يميل بالطبع إلى كل حسن طيب بخلاف الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وقطع الرجاء وتوقع البلاء وهذا كله شر — هذا وقد أورد العلماء هنا شبها كثيرة منها (١) ما ثبت فى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال (لا عدوى ولا صفر ولا طيره وانما الشؤم فى ثلاث المرأة والفرس والدار) وفى لفظ آخر (أن يكن الشؤم حقا ففى الدابة والمسكن والمرأة) فهذا يؤخذ منه ثبوت التشاؤم فى هذه الأشياء الثلاثة الدابة والمسكن والمرأة — روى أن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق كان قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو فى غرفة له فقال يا بنى انى أرى أن هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وأمتنع عن الطعام والشراب فقيل لابى بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع فى الشمس ويقول هذه الأبيات :

فوالله ما انساك ما ذر شارق ... وما ناح قمرى الحمام المطوق
فلم أر مثلى طاق اليوم مثلها ... ولا مثلها فى غير شىء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد ... وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله ﷺ أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديداً وقالت ترثيه : —

فآليت لا تنفك نفسى حزينة ... عليك ولا ينفك قلبى أغبرا
فتى طول عمرى ما أرى مثله فتى ... أكد او أحمى فى الهياج واصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى القرن حتى يترك الرمح احمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس

إلى وليمة فلما فرغوا من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت إن أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أميز المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة الست القائلة :

فآليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

ولما قتل عمر رضى الله تعالى عنه عنها جزعت عليه جزعاً شديداً وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيوراً وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله ﷺ (لا تمنعوا اماء الله مساجد الله) فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها الا تخرجين ياعاتكة فتقول كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من بأس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر الصديق فقتل عنها بمصر فقالت لا اتزوج بعده أبداً انى لأحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم ومنها (٢) ما فى صحيح مسلم أنه كان فى وفد ثقيف الذين وفدوا على رسول الله ﷺ للبيعة رجل مجذوم فلم يأذن له ﷺ فى مقابلته وأرسل اليه (إنا قد بايعناك فارجع) فهو يدل على التشاؤم من مقابلة المجذوم ومنها (٣) ما أخرجه أبو داود وصححه الحاكم عن أنس قال (قال رجل يا رسول الله انا كنا فى دار كثير فيها عددنا كثيرة فيها أموالنا فتحو لنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا وقلت فيها أموالنا فقال رسول الله ﷺ ذروها ذميمة) وفى موطأ مالك قريب من هذا الحديث وفيه (ذروها فانها ذميمة) فهذا يدل على ثبوت التشاؤم فى الدار ومنها (٤) ما رواه الامام أحمد فى مسنده أنه ﷺ (كان لا يتطير من شىء ولكن إذا أراد أن يأتى أرضاً سأل عن اسمها فإن كان حسنا رؤى ذلك فى وجهه وان كان قبيحا رؤى ذلك فى

وجهه وكان إذا بعث رجلا سأل عن اسمه فان كان حسن الاسم رؤى البشر فى وجهه وان كان قبيحاً رؤى كراهة ذلك فى وجهه ومنها (٥) أنه قد ثبت أنه ﷺ قال (إذا أبردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الاسم حسن الوجه) أى إذا ارسلتم الى رسولا ومنها (٦) انه ثبت انه ﷺ قال فى ناقة يريد حلبها (من يحلب هذه فقام رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال رسول الله ﷺ اجلس فقام آخر فقال له ما اسمك قال حرب فقال له رسول الله ﷺ اجلس فقام آخر فقال له ما اسمك قال يعيش فقال ﷺ يعيش احلب فحلب فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله اتكلم أو اصمت قال بل اصمت واخبرك بما أردت ظننت يا عمر انها طيرة ولا طير الا طيره ولا خير الا خيره ولكن احب الفأل) ولا شك ان هذه كلها شبه قوية تحتاج الى رد ولكن مما يجب التنبيه اليه والتسليم به أن هذا كله ليس من باب الطيرة والتشائم لأنه ﷺ لا يمكن أن ينهى عن شىء ويأتيه وقوله ﷺ فى الحديث المتقدم ظننت يا عمر انها طيره ما يؤيد ذلك .

قال الأمام النووى رحمه الله تعالى بعد أن ساق حديث الشؤم فى الدار والمرأة والفرس اختلف العلماء فى هذا الحديث فقال مالك وطائفة هو على ظاهره وأن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله ومعناه قد يحصل الشؤم فى هذه الثلاثة كما صرح به فى رواية (ان يكن الشؤم فى شىء) وقال الخطابى وكثيرون هو فى معنى الاستثناء من الطيرة أى أن الطيرة منهى عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها او امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة — وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب وشؤم الفرس ألا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه — وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة انتهى كلام النووى وقال القاضى عياض قال العلماء

فى الأحاديث السابقة ثلاثة أقسام (أحدها) ما لا يقع الضرر به ولا اطردت به عادة خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت اليه وانكر الشرع الالتفات اليه وهو الطيره (والثانى) ما يقع به الضرر نادرا ولا يتكرر كالوباء فلا يقوم عليه ولا يخرج منه (والثالث) يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة فهذا يباح الفرار منه انتهى كلام القاضى عياض وأما عدم أذنه ﷺ للمجذوم فى مقابلته فذلك لبيان الأفضل والأحسن من عدم المخالطة إذ ربما أصيب من يخالطه بالجذام فيظن أو يعتقد أن العدوى اصابته بطبعها وهذا ضرر كبير إذ الواجب اعتقاد أن التأثير لله وحده على أن منظر المجذوم والاختلاط به مما تتقززمنه النفوس فى العادة فاذا كان المرء قوى العقيدة عظيم الثقة بربه تعالى فلا شك أنه يجوز له الاختلاط بالمجذوم وقد ثبت عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ اكل مع مجذوم وقال له كل ثقة بالله تبارك وتعالى وتوكلا عليه كما ثبت عن عائشة رضى الله عنه انها قالت (كان لنا مولى مجذوم فكان يأكل فى صحافى ويشرب فى اقداحى وينام على فراشى .

وأما قوله ﷺ فى الدار ذروها ذميمـــة فذلك لانه وقع فى قلوبهم كراهيتها ولا شك ان الانسان إذا كره شيئا جازله تركه متى كان الترك مباحا والانتقـال من دار إلى أخرى من المباحات واما ما ورد من أنه ﷺ تطير من الأسماء فاذا علمت أنه كان يحب الأسماء الحسنة ويدعو اليهـا وقال (من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمـه) وقال فى ازالة شبهة عمر رضى الله عنه (ولـكن احب الفـأل) زال عنك هذا الوهم ـ وإذا فالعقيدة السليمة الصحيحة الواجبة على كل مسلم هو الا يعتقد ان شيئا ما عددا أوسنة أو شهرا أو يوما أو وقتا أو بيتـا أو ثوبا أو دابة أو امرأة أو غير ذلك له تأثير فى خير أو شر بل التأثير كله لله تعالى الذى بيـده ملـكوت السموات والأرض وهو على كل شىء قدير ويجب على المؤمن أن يحسن الظن بربه عز وجل كما جاء فى الحـديث القدسى (انا عند ظن عبـدى بى فان ظن بى خيرا كنت له خيرا) وأن يداوى هواجسه بحسن التوكل عليه وتفويض الأمور

كلها اليه سبحانه وتعالى هـذا وقد قال ﷺ (ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجـع وإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ (ومعنى فلا ترجع أى عن قصدك متأثرا بتطيرك وقال عليه الصلاة والسلام (إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا) نسأل الله سبحانه وتعـالى أن يثبت الايمان فى قلوبنا وأن يجعلنـا من عباده المتوكلين عليه المحسنين الظن به آمين .

الفصل الثالث — فى القيافة والفراسة والذكاء

القيافة على ضربين ـ الأول ـ قيـــافة البشر ـ والثانى ـ قيافة الأثر فاما قيافة البشر فهى الاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم حكى عن بعض ابناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعير يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم فقال ماأشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شىء فلما رجعت الى أمى ذكرت لهـا القصة فقالت ياولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فـكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا أن هذا شىء ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما اعلمتك به فى الدنيا . واما قيـــافة الأثر فالاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف وقـد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن الغريب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن قيل إن فى ثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد روى أن القائف الذى تتبع آثار أقدام النبى ﷺ حين خرج ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى الغار على صخر صلد واحجار صم ليس فيها طين ولا تراب تبين فيها الأقدام لحقته الحيرة حتى قال الى هنا انتهت الأقدام هذا مع ان معه الجماعة من قريش وابصـارهم سليمة ولـكن الله سبحانه وتعالى حجبهم عن نبيه ﷺ وأمر العنكبوت فنسجت

على باب الغار فلم يشتبه فيه أحد منهم ورجعوا خاسئين قيل انه اختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال احدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال احدهما لصاحبه هو ذا قال نعم فوجد خنثى فاصابا جميعا ـ وأما الفراسة ـ فقد قال الله تعالى (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقال رسول الله ﷺ (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) وقال على رضى الله عنه (ما اضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه) وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على كرم الله وجهه بشىء فلم يعمل به ثم ندم فقال برحم الله ابن عباس كانما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقراً (واعلموا أن الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه) فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وحكى عن الشافعى رضى الله عنه ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال احدهما انه نجار وقال الآخر حداد فسألاه عن صنعتة فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار ـ وكان الحسن بن اسقا من موالى بنى سليم ولم يكن فى الأرض أحزر منه كان ينظر إلى السفينة فيحزر مافيها فلا يخطىء وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبه وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء ـ ويقولون ـ عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره على لطف الحركة والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلا على تخنيث واسترخاء وإذا تزججا نحو الصدغين دلا على ظنز واستهزاء والعين إذا كانت صغيرة الموق دلت على خبث الشمائل وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة الحجم دليل فطنه وحسن خلق ومروءة والناتئة على اختلاط عقل والطائرة على حدة والتى يطول تحديقها على قحة وحمق والتى تكسر

طرفها على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان - ويقولون - إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء وما عند الله خير وأبقى فاعلم أن فى جواره وليمه ولم يدع اليها وإذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون (ما شهدنا الا بما علمنا) فاعلم أن شهادتهم لم تقبل - قيل : - كان المعتضد يوما جالسا فى بيت يبنى له وهو يشاهد الصناع فرأى فى جملتهم عبدا اسود منكر الخلق شديد المرح يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف ما يحمل غيره فانكر أمره واحضره وسأله عن ذلك فالجلج فقال لوزيره قد خمنت فى هذا تخمينا ما احسبه باطلا اما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها أو لصا يتستر بالعمل ثم قال على بالاسود فاحضره وضربه وحلف ان لم يصدقه ليضربن عنقه فقال الأسود ولى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم الا ما كان من حد فظن أنه قد أمنه فقال كنت أعمل فى أتون الآجر منذ سنين فانا منذ شهور جالس إذ مر بى رجل فى وسطه كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى فحل الهميان وأخرج منه دينارا فتأملته فاذا كله دنانير فكتفته وسددت فاه وأخذت الهميان وحملته على كتفى وطرحته فى التنور وطينت عليه فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها فى دجله والدنانير معى تقوى قلبى قال فارسل المعتضد من أحضر الدنانير وإذا على الكيس لفلان بن فلان فنادى فى المدينة فحضرت امرأته وقالت هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار فغاب إلى الآن فسلم الدنانير اليها وأمرها أن تعتد وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع فى الاتون - وقيل جلس المنصور فى أحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول فى الطرقات فارسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فافاد مالا ورجع إلى منزله به فدفعه إلى امرأته فذكرت المرأة أن المال سرق ولم ير نقبا ولا تسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال فبكرا أم ثيبا قال ثيبا قال فلها ولد من سواك قال لا قال شابه أم مسنه قال شابه فدعا المنصور

بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فهو يذهب همك فأخذها وانقلب إلى أهله ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وعليه شيء من هـذا الطيب فاتونى به واشمهم من ذلك الطيب ومضى الرجـل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال وهبه لى أمير المؤمنين فلما شمته بعثت به إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به ومر مجتازاً ببعض الأبواب فأخـذ وأتى به إلى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فلجلج لسانه فسلمه إلى صاحب شرطته وقال ان احضر الدنانير والا فاضربه ألف سوط فما هو إلا أن جرد وهـدد فاحضر الدنانير على حالتها فاعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال أرأيتك إن رددت عليك متاعك بعينه أتحكمنى فى امرأتك قال نعم قال خذ دنانيرك وقد طلقت امرأتك وخبره الخبر

وأما الذكاء ـ فهو النشاط العقلى وحضور الذهن وسرعة الخاطر وصفاء القريحة وحضور البديهة والقدرة على معرفة ما يراد باللحظ والاشارة كما يفهمه غيره باللفظ والعبارة فالذكى يستطيع أن يدرك ما يرمى اليه محدثه وأن يعرف ما يجرى فى خاطره حتى يظن من يراه أنه يعلم المستور والمغيب من الأمور وليس الأمر كما يظن وإنما هو اتقاد العقل ووضاءة الفـكر ونشاطه ـ وتبدو شخصية الأذكياء فى أعمالهم وأقوالهم كما تبـدو فى منطقهم وتفـكيرهم المنظم وآرائهم المرتبة وحججهم القوية وحسن اعتذارهم وبعـد نظرهم وقدرتهم على على التخلص بسهولة من المشكلات التى تعترضهم بفضل ما أوتوا من نشاط عقلى وحدة ذهن وصدق حس ـ قيل للعباس بن عبد المطلب أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ قال هو عليه الصلاة والسلام اكبر منى وأنا ولدت قبله

وروى أنه استودع رجل آخر مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى اياس القاضى فقال الطالب انى دفعت المال اليه فقال القاضى ومن حضرك قال دفعته فى مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد قال فأى شيء فى ذلك الموضع قال شجرة قال فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبين به حقك لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت فتتذكر إذا رأيت

الشجرة فمضى الرجل وقال اياس للمتهم إجلس حتى يرجع خصمك فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة ثم قال له يا هـذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر قال لا قال إياس يا عدو الله انك لخائن قال اقلني أقالك الله فامر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له إياس قد أقر لك خصمك بحقك فخذه ـ وقيل أن غلاما اشرأب للكلام وقد حضر مع وفد أهل الحجاز . لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولوأن الأمور بالسن لكان هنامن هوأحق بمجلسك منك فقال عمر صدقت تكلم فهذا السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة أى الاستعطاء ولم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لا ناقد أمنا فى أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين ـ وأدخل طفل يدعى الركاص وهو ابن أربع سنوات إلى الرشيد ليتعجب من فطنته فقال له ماذا تحب أن أهب لك قال جميل رأيك فانى أفوز به فى الدنيا والآخرة فأمر بدنانير ودراهم فصبت بين يديه فقال له اختر الأحب اليك فقال الأحب إلى أمير المؤمنين وهذا من هذين وضرب بيده إلى الدنانير فضحك الرشيد وأمر بضمه إلى ولده والانفاق عليه وزار خليفة من بنى العباس يوماً وزيره فى داره وكان له ولد نجيب فلما جلس الخليفة أجلس الصبي إلى جانبه وسأله ادار الخليفة أحسن أم دار أبيك فأجاب الصبي على الفور متى كان الخليفة فى دار أبى فدار أبى أحسن ثم أراه خاتماً ثمينا فى خنصره وسأله هل رأيت خيرا من هذا الخاتم فقال الصبي نعم اليد التي هو فيها خير منه فدهش الخليفة من حسن جوابه وقال له هل تحب أن تكون خليفة بعدى فقال الصبي ابن الخليفة أولى منى فهو صاحب الحق فى الخلافة وانا لست من الخائنين فزاد سرور الخليفة من هذا الجواب الذى يدل على الذكاء والولاء والتفت إلى أبيه وقال له لا بد أن يكون لابنك هـذا شأن متى بلغ الرجولة ـ وقال الاصمعى قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وانك أحمق فقال لا والله قلت

ولم قال أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب مالى ويبقى على حمقى ـ وقال تمامة بن اشرس وهو أحد كبار العلماء زمن المأمون دخلت الى صديق لى أعوده وتركت حمارى بالباب ثم خرجت وإذا بصبي عليه فقلت له مؤنبا ولائما لم تركب حمارى بغير اذنى فأجابنى الصبي قائلا خفت أن يذهب فحفظته لك فعجبت من هذا الجواب وأردت أن أسكت الصبي فقلت له لو ذهب ما باليت بذهابه فأجابنى على الفور ان كان هذا رأيك فى الحمار فأعمل على أنه قد ذهب وهبه لى وارح شكرى فلم أدر ما أقول ودخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام صغير فتقدم على خصم له أمام بعض القضاة وكان الخصم شيخا كبيراً ثم صال عليه إياس بالكلام فقال له القاضى خفض عليك فانه شيخ كبير قال الحق أكبر منه قال أسكت قال فمن ينطق بحجتى قال ما أراك تقول حقاً قال لا إله إلا الله فدخل القاضى على عبد الملك بن مروان فاخبره فقال اقض حاجته الساعة واخرجه من الشام لئلا يفسد على الناس ـ وروى أن الامام أبا حنيفة رضى الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءنى اعرابى ومعه قربة ملآنة فأبى أن يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها اليه ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يا اعرابى فى السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتاً بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال على بشربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقى الماء ـ ودخل شريك بن عبد الله القاضى على المهدى فاراد ان يبخره فقال للخادم ايت القاضى بعود فذهب فجاء بالعود الذى يلهى به فوضعه فى حجر شريك فقال شريك ما هذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضى فقال شريك جزاك الله خيراً يا أمير المومنين ثم ضرب به الأرض فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نسى الأمر ثم قال المهدى لشريك ما تقول فيمن أمر وكيلا له ان يأتى بشىء فجاء بغيره فتلف ذلك الشىء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم أضمن ما تلف ـ ومما يؤثر عن الكسائى وكان أحد ائمة النحو واللغة والقراءة أنه قال اجتمعت انا وأبو يوسف القاضى عند هارون الرشيد فجعل

أبو يوسف يذم النحو ويقول ما النحو فقلت وأردت أن اعلمه فضل ما يذمه ما تقول يا أبا يوسف فى رجل قال لرجل انا قاتل غلامك وقال له آخر أنا قاتل غلامك أيهما كنت تأخذ به قال آخذهما جميعا فقال له الرشيد أخطأت وكان له علم بالنحو فاستحيى ابو يوسف وقال كيف ذلك قال الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال أنا قاتل غلامك بالاضافة لأنه فعل ماض واما الذى قال انا قاتل « غلامك بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد كما قال الله عز وجل (ولاتقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الاان يشاء الله) فلولا أن التنوين للمستقبل ما جاز فيه غدا فكان أبو يوسف بعد ذلك يكثر من مدح النحو وأقبل على كتبه حتى اجاد فهمه ـ واعلم ان القيافة والفراسة والذكاء من نعم الله سبحانه وتعالى وهباته التى اختص بها من شاء من خلقه وأفاضها عليهم فطوبى لمن كان من هؤلاء بشرط أن يستعملها فى الخير والصلاح والاصلح فيكون بذلك قد أدى شكر هذه النعم اما إن استعملها فى الشر والأذى والفساد والأفساد فقد كفر بها والحق بالأبالسه والشياطين نعوذ بالله منهم ومن شرورهم بجاه سيد المرسلين وخاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الباب الخامس — فى الكلام على الجن والشياطين

الفصل الاول — فى اثبات وجود الجن والرد على المنكرين وبيان كفر من انكرهم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقال تعالى (رب أعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون) وقال تعالى (قل اوحى إلى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرءانا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما

اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وقال تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وقال تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) وغير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على وجود الجن هذا وقد وردت الأحاديث الصحيحة المثبتة لوجود الجن والشياطين فمن ذلك (١) عن ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرددته خاسئاً) رواه الشيخان (٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت (خرج النبى ﷺ من عندى ليلا فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك ياعائشة اغرت قلت ومالى لا يغار مثلى على مثلك فقال أقد جاءك شيطانك قالت يارسول الله أومعى شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم) (٣) عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم) يعنى فلا يفتن أهل الجزيرة بعبادة الأوثان كما كانوا قبل الاسلام ولكن فى الدس واشعال نار العداوة بينهم (٤) وعنه عن النبى ﷺ قال (ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت) روى هذه الثلاثة مسلم ومعنى الحديث الأخير أى ينصب سريره على وجه الماء فى البحر ليكون بعيداً عن رجم الناس له بالحوقلة والاستعاذة ثم يبعث سراياه جمع سرية وهى قطعة من الجيش والمراد جنوده وأعوانه وأولاده للفتنة ـ وغير ذلك من الأحاديث التى ستأتى وكلها صريحة فى اثبات وجود الجن

والشياطين قال الاستاذ أبو القاسم الانصارى فى شرح الارشاد قد انكر وجود الجن معظم المعتزلة ودل انكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم فليس فى اثباتهم مستحيل عقلى وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة على اثباتهم وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشارع على ثبوته ـ وقال امام الحرمين فى كتابه الشامل اعلموا رحمكم الله أن كثيرا من الفلاسفة وجماهير القدريه وكافة الزنادقة انكروا الشياطين والجن رأسا ولا يبعد لو انكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة وانما العجب من انكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الاخبار واستفاضة الآثار وفى الفتاوى الحديثية لابن حجر النص الصريح بكفر من ينكر وجود الجن كالمعتزلة ومن نحا نحوهم إذ فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع وكذلك نص المالكية على كفر من انكر وجودهم لانه انكار لنص الكتاب والسنن المتواترة والاجماع الضرورى ـ وقال الشيخ أبو العباس بن تيميه لم يخالف أحد من المسلمين فى وجود الجن وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين وإن وجد منهم من ينكر ذلك فكما يوجد فى بعض طوائف المسلمين كالجهمية (١) والمعتزلة من ينكر ذلك وان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار

هذا وقد أورد المنكرون لوجود الجن أوجها يجب الجواب عنها وهى :

أولا — قالوا لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب أن يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ولزم أيضا أن لا يقدر على الاعمال الشاقة التى ينسبها اليه المثبتون — والجواب عن ذلك أنه لم لا يجوز أن يكون جوهرا مجردا وبتقدير أن يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز أن يصرف الله تعالى عنه أبصار الانسان لحكمة فى ذلك كما قال عز من قائل (انه يراكم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم) وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز أن

(١) هم الذين ينكرون عذاب القبر ويقولون بخلق القرآن

يكون تركيبه محكما كالأفلاك . ثانيا — قالوا الظاهر الغالب أنهم لو كانوا فى العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك وأهل التعزيم إذا تابوا من صنعتهم يكذبون أنفسهم فيما نسبوه إليهم — والجواب عن ذلك أن الاختلاط والعداوة والصداقة قد ثبتت بالنسبة إلى كثيرين قال عز من قائل (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) (قل أوحى إلى انه استمع نفر من الجن) (ومن الجن من يعمل بين يديه) (يا معشر الجن والأنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) . ثالثا قالوا إن إخبار الأنبياء عليهم السلام عنهم لا تفيد اثبات وجودهم إذ على تقدير ثبوتهم يجوز أن يقال كل ما أتى به الأنبياء فانما حصل بأعانة الجن فمن الجائز مثلا أن حنين الجزع كان بسبب نفوذ الجن فى الجزع وكل فرع أدى الى إبطال الأصل فهو باطل والجواب عن ذلك أن الدليل الدال على صحة نبوة الأنبياء هو أيضا دليل على صحة ما أخبروا به ومن جملة ما أخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم قال الأستاذ البحاثه محمد بك فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين (وقد ورد فى جميع الكتب السماوية ذكر الجن فالتوراة والانجيل وكتب الديانة البوذية والبرهمية والزرادشتيه ناصة على وجود الجن بل ومسهم للناس وورد فى مؤلفات شيوخ هذه الملة أن منهم من رأى الجنة وكلمهم ومن لا نشك فى صدقهم وصدق نظرهم وليس هذا الأمر بالبعيد عن العقل ولا بالمجافى لسنن الخليقة فان الله كما خلق أرواحا مكتسبة بالمادة خلق أرواحا مجردة عنها وهل يستطيع ثائران يثور على امثال هذه العقائد بعد ما ثبت فى أوربا ظهور أرواح متجردة عن المادة ومخاطبتها للناس فى حفلات تحضير الأرواح) راجع ما كتب تحت كلمة (جن) وقال أيضا فى آخر ما كتبه تحت كلمة (سحر) ما نصه حرفيا (وقد ذكر القرآن الكريم السحر فى مواضع كثيرة وقد مضى متقدموا الأمة معتقدين وجوده وانه من العلوم السرية التى يتحصل عليها بالرياضة وغيرها وقال بعضهم وكثير من المتأخرين إلى زعم أن السحر سرعة

فى اليد وصناعة فى التمويه وليس لها سبب فيما وراء الطبيعة وهو قول ليس له دليل يسنده كما أنه ليس لنا دليل على اثبات السحر إلا ما نص عليه القرآن وما نقرأه فى كيت الخوارق التى ظهرت فى أوربا من منذ سبعين سنة باسم (اسبرتزم أى علم استحضار الأرواح) وغيره مما يرينا جليا أن هنالك عالما روحانيا وفيه من الكائنات ما لا تتصوره واننا نستطيع أن نناجى تلك الكائنات وتناجينا بوسائل خاصة ومتى كان هذا ممكنا وتقرر أن الوجود عامر بالآيات المغيبة عنا فلا يبعد أن يكون السحر تابعا لقوى روحانية وأنه ليس بمجرد صناعة أو سرعة فى يد الساحر حكى لى والدى عن محمد بك وجيهى العمرى محافظ دمياط سابقا رحمهما الله وكان رجلا صدوقا تقيا قال انه كان له قريب فى بغداد اسمه عزت باشا وكان شجاعا مقداما لا يخاف ولا يهاب المخاوف وكان به غرام لرؤية الأسرار والعجائب فكان لذلك يتحرى ملاقاة الدراويش ويتصيدهم لأن منهم من يتفق أن يكون على شىء مما يتحرى رؤيته فعثر يوما بدرويشين غريبين كان من شأنهما أن احدهما يعزم ثم يقول بفمه هف فتنفتح جميع نوافذ البيت على سعته مهما كانت مغلقة محكمة الاغلاق ثم يقول هف فتقفل جميعها دفعة واحدة وأراه عجائب أخرى فسأله عزت باشا عن السر الذى يحدث به ذلك فقال انه مستخدم ابليس نفسه فطلب منه أن يراه فقال لا تقوى على رؤيته فقال تقويان أنتما على رؤيته واضعف أنا عن ذلك مع انى كم جبت المخاوف ولجت المعاطب فقال ذلك شىء وهذا شىء آخر فالح عليهما فانقادا له فجلسا فى الظلمة وأخذ أحدهما يعزم مدة فانشق السقف وظهرت النجوم ثم تدلت منه صورة لا يتصور الوهم افظع منها فما وقع عليها بصره حتى قام مذعرا وتلمس الباب حتى وجده وصعد إلى أهله فجمعهم حوله وما زال مضطربا من الذعر وبقى بعدها أربعين يوما لا يمشى خطوة حتى يستصحب معه بعض اهله من شدة ما لحقه من الخوف لعل من يسمع أمثال هذه الحكايات ممن يدعى الفلسفة الجديدة يستكبرها ويعدها وهما وقد تكون كذلك ولكن الوهم الكبير المزرى بكرامة العقل والفلسفة والذى لا يصح

أن يقف عنده عاقل هو آن يزعم أن العلم محصور فيما علمه وسمعه وأن الوجود محدود على ما حوته هذه الكتب الصغيره من حقائقه وأن كل ماجاء بعد تلك الكتب فباطل لا يلتفت اليه إن من يعتقد أمثال هذه المزاعم فقد حصر الكون فى اضيق من سم الخياط وحصر عوالمه فيما علمه منها وما علم منها إلا قشرا ظاهرا وغلافا خارجا وغاب عنه ما يجب أن يغيب عن مثله من الذين رضوا بالقليل وقنعوا من العلم بالكفاف وان كانت قناعة منكرة فيا صاح لا تقنع بأنك صاح) انتهى المنقول من دائرة معارف القرن العشرين .

الفصل الثانى — فى بيان معنى الجن والشياطين لغة واصطلاحا

والفرق بين الجن والشياطين والمارد والعفريت

اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه وجن عليه فجنه ستره واجنه جعل له ما يجنه كقولك قبرته واقبرته وسقيته واسقيته وجن عليه كذا ستر عليه قال تعالى (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة ومنه الجنين وهو الولد ما دام فى بطن أمه وجمعه أجنه قال تعالى (وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) والجن يقال على وجهين احدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الأنس فعلى هذا تدخل فيه الشياطين والملائكة فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعلى هذا قال أبو صالح الملائكة كلها جن وقيل بين الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثةأنواع : (١) اخياروهم الملائكة . (٢) واشرار وهم الشياطين . (٣) وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن وعلى ذلك قوله تعالى) (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) والجنة جماعة الجن قال تعالى (من الجنة والناس) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) والجنةأيضا الجنون قال تعالى (ما بصاحبكم من جنه) أى جنون والجنون حائل بين النفس والعقل وجن فلان قيل اصابه الجن وبنى فعله على فعل كبناء الأدواء

نحوزكم وحم وقيل أصيب جنانه وقيل حيل بين نفسه وعقله فجن عقله بذلك وقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) نوع من الجن وقوله تعالى (كانها جان) قيل ضرب من الحيات .

والشيطان النون فيه أصلية وهو من شطن أى تباعد ومنه شطنت الدار أى بعدت وبئر شطون أى بعيدة القعر وقيل بل النون فيه زائدة من شاط يشيط احترق غضبا فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى (وخلق الجان من مارج من نار) ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم قال أبو عبيدة الشيطان اسم لكل عارم من الجن والأنس والحيوانات (عارم من العرامة وهى شراسة وصعوبة فى الخلق) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الأنس والجن) وقال تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى أصحابهم من الجن والأنس وقال تعالى (كأنه رؤس الشياطين) قيل هى حية خفيفة الجسم وقيل اريد به عارم الجن فتشبه به لقبح تصورها وقد مر فى الفصل الرابع من الباب الأول فى معنى الاستعاذة وأركانها على العموم أن سيدنا عمر رضى الله عنه اطلق على البرزون شيطانا لما ركبه فجعل يتبختر وكلما ضربه زاد تبخترا فنزل عنه وقال (ما حملتمونى الا على شيطان) وسمى كذلك كل خلق ذميم للانسان شيطانا قال عليه الصلاة والسلام (الحسد شيطان والغضب شيطان) ـ والعفريت هو العارم الخبيث من الجن ويستعار ذلك للانسان استعارة الشيطان له يقال (عفريت نفريت) وعافره صارعه فالقاه فى العفر وهو التراب قال تعالى (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى امين) ـ وابليس مشتق من الأبلاس وهو الحزن المعترض من شدة الياس يقال أبلس أى اشتد يأسه ابلاسا فهو مبلس وسمى بذلك لياسه من رحمة الله تعالى قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) وقال تعالى (فاخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وقال تعالى (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) وقيل وهذا يدل على أن ابليس انما سمى بهذا الاسم بعد لعن الله

تعالى اياه وقد روى ابن أبي الدنيا وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اسم ابليس حيث كان مع الملائكة عزازيل وكان من الملائكة ذوى الأجنحة الأربعة وقيل كان اسمه نائل فلما عصى واسخط الله لعن وصار شيطانا قال سفيان وكنية ابليس أبو كدوس

وقال أبو عمر بن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جنى فان أرادوا انه ممن يسكن البيوت مع الناس قالوا عامر والجمع عمار فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبث وتعزم فهو شيطان فان زاد على ذلك فهو مارد فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت والجمع عفاريت والله أعلم .

والطاغوت ـ مادتها من الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان والطاغوت كل متعد وكل معبود من دون الله ويستعمل فى الواحد والجمع ولما تقدم سمى الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتا ـ والجبت كل ما عبد من دون الله كالساحر والكاهن وأصله الغسل الذى لا خير فيه .

الفصل الثالث — فى الكلام على خلق الجن وبيان صفاتهم وأصنافهم وقدرتهم على التشكل وأنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون وأن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون وأنهم مكلفون وأنهم يثابون بدخول الجنة ويعاقبون بدخول النار .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فى سورة الحجر (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين قال يا إبليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون

قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين فى جنات وعيون أدخلوها بسلام آمنين)

وقال تعالى فى سورة الرحمن (خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقال تعالى فى سورة الكهف (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال تعالى حكاية عن ابليس (خلقتنى من نار وخلقته من طين) ـ أفادتنا هذه الآيات الكريمة : ـ

أولا ـ ان الانسان مخلوق من صلصال وهو الطين اليابس يصلصل أى يصوت إذا نقر وقيل هو صلصل إذا انتن تضعيف صل يقال صل اللحم وأصل إذا انتن والحمأ الطين الذى تغير واسود من طول مجاورته للماء وهو صفة صلصال أى كائن من حمأ ومسنون يعنى مصور من سنة الوجه يعنى طريقته أو مصبوب ليبس ويصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير ذلك طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه وقيل المراد بمسنون أى منتن من سننت الحجر إذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا وقيل معناه متغير ومنه قوله تعالى (لم يتسنه) أى لم يتغير والهاء للاستراحة

ثانيا ـ ان الجان وهو أبو الجن وقيل هو ابليس وقيل المراد به جنس الجن فمخلوق من نار السموم وهى نار الحر الشديد النافذ فى المسام ومن مارج من نار أى من لهيب مختلط لان أصل المرج الخلط والمروج الاختلاط يقال مرج أمرهم أى اختلط ومرج الخاتم فى أصبعى فهو مارج ومنه قوله تعالى (فهم فى أمر مريج) أى مختلط ـ ثالثا ـ أن خلق الجن كان قبل خلق

الانسان حيث قال تعالى (والجان خلقناه من قبل) بعد أن قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان) رابعا - أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق سيدنا آدم وهو أبو البشر عليه السلام وبعد أن نفخ فيه من روحه تعالى وشرفه بذلك كما شرفه وأكرمه بأن خلقه بيده كما قال تعالى فى آية أخرى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أمر الملائكة بأن يسجدوا لهذا المخلوق الكريم فسجدوا كلهم إلا ابليس فانه أبى واستكبر ولم يسجد محتجا بأنه خير منه إذ أنه مخلوق من طين أما هو فمن نار وهذه حجة ساقطة إذ رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) أى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما أشار اليه بقوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) وباعتبار الغاية وهى ملاكه ولذلك أمر الملائكة بالسجود لما بين لهم أنه أعلم منهم وان له خواص ليست لغيره

هذا وقد جاء فى آكام المرجان أن هذه الشبهة التى ذكرها ابليس انما ذكرها على سبيل التعنت والا فامتناعه من السجود لآدم انما كان عن كبر وكفر ومجرد اباء وحسد ومع ذلك فما ابداه من أنه لا يحسن منه الخضوع لمن دونه لكونه خلق من نار وآدم خلق من طين فهو داحض وباطل من وجوه تتلخص فى : - الأول - أن النار طبعها الفساد واتلاف ماتعلقت به بخلاف التراب الثانى - أن النار طبعها الخفة والطيش والحدة والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات - الثالث ان التراب يتكون منه وفيه أرزاق الحيوان وأقواتهم ولباس العباد وزينتهم وآلات معايشهم ومساكنهم والنار لا يكون فيها شىء من ذلك الرابع - ان التراب إذا وضع فيه القوت أخرجه أضعاف أضعاف ما وضع فيه فمن بركته يؤدى ما استودعته فيه مضاعفا ولو استودعته النار لخانتك وأكلته ولم تبق ولم تذر

الخامس - أن المادة الابليسية هى المارج من النار وهو ضعيف تتلاعب به الأهوية فيميل معها كيفما مالت ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فاسره وقهره بخلاف المادة الآدمية وهى التراب فهو قوى لا يذهب مع الهواء اينما

ذهب فامكن الانسان قهر هواه واسره ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه وكان الهوى الذى مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال وكان الثبات الرزانة أصليا له فعاد اليه وكان ابليس بالعكس من ذلك فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره آدم إلى أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الردىء ـ السادس ـ ان الله تعالى أكثر ذكر الأرض فى كتابه واخبر عن منافعها وخلقها وانه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر فى آياتها وعجائبها وما أودع فيها ولم يذكر النار الا فى معرض العقوبة والتخويف والعذاب وذكرها فى موضع أو موضعين فقط بانها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة ومتاع لبعض أفراد الناس وهم المقوون النازلون بالقرى وهى الأرض الخالية إذا نزلها المسافر يمتع بالنار فى منزله فاين هذا من أوصاف الأرض فى القرآن قال تعالى (انكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) إلى أن قال تعالى (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) فهذه بركة عامة وفيها أودع من المعادن والأنهار والعيون والثمرات وأصناف الحيوانات والجبال والرياض ما لم يودع فى النار شيئا منه ـ خامسا ان ابليس أخرج من السماء أو من الجنة بسبب تكبره لا لمجرد عصيانه كما يدل على ذلك قوله تعالى (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق باهل الجنة وانه سبحانه وتعالى طرده وأهانه وجعله من الصاغرين بسبب تكبره فضلا عن عصيانه وعدم خشوعه إذ الجنة مكان الخاشع والمطيع قال عليه الصلاة والسلام (من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله) ـ سادسا ـ ان ابليس طلب ان لا يميته الله أو يعجل عقوبته وانما يمهله إلى يوم القيامة أو إلى يوم الوقت المعلوم كما جاء فى بعض الآيات وهو النفخة الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وانه أجيب إلى ذلك وأنه بعد أن أمهل واجيب إلى طلبه قال لاجتهدن فى أغوائهم (أى بنى آدم) باى طريق يمكننى ولا زينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور ولا حملنهم أجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم

من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر أى الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى فانهم بذلك يكونون قدعصموا نفوسهم من مخالب الشيطان .

سابعا - استدل بعض العلماء على أن الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون بما ورد فى كثير من آيات القرآن بأن لابليس ذرية وهى لاتكون إلا بالتناكح والتناسل - روى عن الشعبى أنه سئل هل لابليس زوجة فقال ان ذلك لعرس ما شهدته ثم تذكر قوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) فعلمت أنه لا تكون ذرية الامن زوجة فقلت نعم وهذا يقتضى الأكل والشرب خصوصا وقد وردت الأخبار الصحيحة بان الشيطان يشارك بنى آدم فى مآكلهم ومشربهم وجماعهم ومبيتهم كما سيأتى بيان ذلك قال تعالى (وشاركهم فى الأموال والأولاد) كما استدلوا أيضا بقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لأن من معانى الطمث الجماع على أن الجن يتناكحون وقال بعضهم الطمث الافتضاض (وهو إزالة البكارة) يقال طمثها طمثا إذا افتضها والطمث أيضا الحيض والآية لا تحتمل الا الأولين فقط ومنه استعير ما طمث هذه الروضة أحد قبلنا وما طمث الناقة جمل - وقال القاضى عبد الجبار الذرية هم الولد والأهل ورقتهم لا تمنع توالدهم إذا كان ما يلدونه رقيقا كما لاتمنع لطافة اللطيف من الولادة إذا كان ما يلده لطيفا الا ترى انا قد نرى من الحيوان ما لا يتبين للطافته الا بالتأمل ولا يمنع ذلك من أن يتوالدوا إذا كان ما يتوالدونه لطيفا - وقال الزمخشرى فى الكشاف ربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبه لا يكاد يحدها البصر الحاد الا إذا تحركت فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها (أى عن اليد بمعنى أنها تحولت إلى جهة أخرى غير التى تقابلها يدك التى لوحت بها) وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل فى خلقه ما هو أصغر منها

وأصغر فسبحان القادر على كل شيء انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

وأما الدليل على أن من الجن مسلمون ومنهم من هم كفار وأنهم مكلفون ويثابون بدخول الجنة ويعاقبون بدخول النار فقوله تعالى فى سورة الجن (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) يقال قسط الرجل إذا جار واقسط إذا عدل ومنه قوله تعالى (ان الله يحب المقسطين) وقوله تعالى فى نفس السورة حكاية عن الجن (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا) والثواب والعقاب لا يكون الا بعد التكليف وكذلك قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (فبأى آلاء ربكما تكذبان) تفيد أنهم مكلفون ويثابون بدخول الجنة

وأما قدرة الجن على التشكل فقد جاء فى آكام المرجان (ان الجن يتطورون ويتشكلون فى صور الأنس والبهائم وفى صور الحيات والعقارب وصور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم كما أتى الشيطان قريشا فى صورة سراقة بن مالك لما أرادوا الخروج إلى بدر قال الله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب) وروى أنه تصور فى صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى أمر الرسول ﷺ هل يقتلونه أو يحبسونه أو يخرجونه كما قال الله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال كثير من العلماء أن الملائكة والجن انما توصف بأنها قادرة على التمثيل والتصور على معنى أنها تقدر على تخييل وفعل مايتوهم عنده انتقالها عن صورها فيدرك الراؤن ذلك تخييلا ويظنون أن المرئى ملك أو شيطان وانما ذلك خيالات واعتقادات يفعلها الله تعالى عند رؤية الناظرين ـ وقال

القاضى أبو يعلى لا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة فيقال أنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول اذا قاله وفعل إذا فعله نقله الله تعالى من صورته الى صورة أخرى بجرى العادة وأما أنه يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها حقيقة من صورة إلى أخرى انما تكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل وأن ما روى أن ابليس تصور فى صورة سراقه بن مالك وان جبريل عليه السلام تمثل فى صورة دحية الكلبي وقوله تعالى (فارسلنا اليهاروحنا فتمثل لهابشرا سويا) فمحمول على ما ذكرنا وهو انه تعالى أقدره على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى ـ وقال ابن حجر فى الفتاوى الحديثية (وقد اثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالمى الأجساد والأرواح سموه عالم المثال وقالوا هو الطف من عالم الأجساد واكثف من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) فتكون الروح الواحدة كروح جبريل عليه السلام مثلا فى وقت واحد مدبره لشبحه الأصلى ولهذا الشبح المثالى وينجلى بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة انه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السلام فقال ان كان جسمه الأول الذى يسد الأفق بأجنحته لما تراءى للنبى ﷺ فأين صورته الأصلية عند ما اتى اليه فى صورة دحية الكلبي وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز ان يقال كان يندمج بعضه فى بعض الى ان يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ثم يعود وينبسط الى ان يصير كهيئته الأولى وما ذكره الصوفية احسن وهو يجوز ان يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير وقد اقام الله له شبحا آخر وروحه متصرفة فيهما فى وقت واحد

روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال (من زعم من اهل العدالة انه يرى الجن ابطلت شهادته لأن الله تعالى يقول (انه يراكم هو وقبيله من

حيث لا ترونهم) الا ان يكون نبيا) هذا وقد وردت الأخبار بان الجن كثيرا ما تتشكل بصور الحيات والكلاب والقطط السوداء وعلل ذلك بان السواد اجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة

﴿ فى ذكر ماورد فى انذار الحيات والأحكام الشرعية المتعلقة بذلك ﴾

قال الامام ابن حجر رحمه الله تعالى فى كتابه الفتاوى الحديثية (اعلم انه ﷺ أمر بقتل الحيات أمر ندب روى البخارى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (كنا مع رسول الله ﷺ فى غار بمنى وقد نزلت عليه سورة المرسلات عرفا فنحن نأخذها من فيه رطبة إذ خرجت علينا حية فقال اقتلوها فابتدرنا لنقتلها فسبقتنا فقال رسول الله ﷺ وقاكم الله شرها كما وقاها شركم) وعداوة الحية للانسان معروفة إذ الذى عليه الجمهور أن الخطاب فى قوله تعالى (اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) لآدم وحواء وابليس والحية وفى حياة الحيوان روى قتادة عن النبى ﷺ أنه قال (ماسالمناهن منذ عادیناهن) وقال ابن عمر رضى الله عنهما (من تركهن فليس منا) وقالت عائشة رضى الله عنها (من ترك حية خشية من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وفى مسند الامام أحمد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن ترك حية خوف عاقبتها فليس منا) وقال ابن عباس رضى الله عنهما الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة من بنى اسرائيل وأخرجه الطبرانى عنه عن النبى ﷺ وكذلك رواه ابن حبان هذا كله فى غير حيات البيوت وأما الحيات التى مأواها البيوت فلا تقتل حتى تنذر ثلاثا واختلف العلماء هل المراد ثلاثة أيام أو ثلاث مرات والأول عليه الجمهور أى فهو الأولى وأخرج مالك ومسلم وأبوداود عن أبى سعيد الخدرى (ان أبا السائب أراد أن يقتل حيـــة بدار أبى سعيد وهو يصلى فاشار اليه أن لا يفعل ثم لما قضى صلاته حدثه وقد أشار له فى بيت فى الدار فقال كان فيه فتى من قريش حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسول الله ﷺ الى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بانصاف النهار يرجع الى أهله فاستأذنه يوما فقال له ﷺ

خذ عليك سلاحك فانى أخشى عليك قريظة فأخذ الرجل سلاحه فاذا امرأته بين البابين قائمة فاهوى اليها بالرمح ليطعنها به وقد أصابته غيره فقالت اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى فدخل فاذا بحيـــة عظيمة منطوية على الفراش فاهوى عليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت عليه وخر الفتى ميتا فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الفتى أم الحية قال فجئنا النبى ﷺ فاخبرناه بذلك وقلنا ادع الله تعالى أن يحييه فقال النبى ﷺ استغفروا لصاحبكم ثم قال ﷺ إن بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان ، وفى لفظ إن لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر) إلى أن قال والظاهر أن الانذار مندوب وإن اقتضى كلام بعض الحنابله وجوبه حيث قال قتل الحية بغير حق لا يجوز كالأنس ولو كان كافرا — والجن يتصورون بصور شتى وحيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا فان ذهبت وإلا قتلت فانها ان كانت حية أصلية قتلت وأن كانت حية جنيه فقد أصرت على العدوان بظهورها للأنس فى صورة حية تفزعهم بذلك — واخرج ابن عساكر فى تاريخه أن رجلا دخل بعض الخراب ليبول فيه فاذا حية فقتلها فما هو إلا أن نزل به تحت الأرض فاحتوش به جماعة فقالوا هذا قتل فلانا فقالوا نقتله فقال بعضهم امضوا به إلى الشيخ فمضوا به اليه فاذا هو شيخ حسن الوجه كبير اللحية أبيضها فقال ما قصتكم فاخبروه فقال فى أى صورة ظهر قالوا فى حية فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ليلة الجن (ومن تصور منكم فى صورة غير صورته فقتل فلا شىء على قاتله) خلوه فخلونى — وذكر شيخ الاسلام ابن حجر عن الثورى الانصارى أنه خرج عليه ثعبان مهول فقتله فحمل فورا من مكانه فأقام عند الجن إلى أن رفعوه إلى قاضيهم فادعى عليه ولى المقتول فانكر فقال القاضى على أى صورة كان المقتول فقيل على صورة ثعبان فالتفت القاضى إلى من بجانبه وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول (من تزيا لكم فاقتلوه)

فأمر القاضى باطلاقه فرجعوا به الى منزله - قال صاحب الفتاوى الحديثية اعلم أن الاستدلال بهذين الحادثين على عدم اشتراط الانذار قبل القتل ينبنى على جواز الرواية عن الجن وقد روى عنهم الطبرانى وابن عدى وغيرهما لكن توقف فى ذلك بعض الحفاظ بأن شرط الراوى العدالة والضبط وكذا مدعى الصحبة شرطه العدالة والجن لا تعلم عدالتهم وعلى كل حال فالذى ينبغى أن الانذار ليس بواجب لأن الأصل فى الصور انها باقية على خلقتها وقد اهدر الشارع هذه الصورة اعنى صورة الحية بسائر أنواعها وجعلها من الفواسق وقد مر أخبار التحريض على قتلها وهذا كله يقتضى أن الانذار غير واجب لأن كونها صورة جنى أمر محتمل وليس بمحقق والاحتمال المخالف للأصل لا يقتضى الوجوب لكن حديث البخارى ومسلم يقتضيه وهو يتضمن النهى عن قتل حيات البيوت وهن العوامر الا الابتروذا الطفيتين لأنهما يطمسان البصر ويسقطان الحمل وفى لفظ يخطفان البصر ويتبعان ما فى بطون النساء إلى أن قال ولا ينافى ما مر من عدم وجوب الانذار ما أخرجه أبو الشيخ وابن ابى الدنيا أن عائشة رضى الله عنها أمرت بقتل جان أو حية فقيل لها إنه من استمع الوحى مع النبى ﷺ فتصدقت باثنى عشر الف درهم وفى روايه اعتقت اربعين رأسا وذلك انها انما فعلت ذلك تورعا كما هو ظاهر — وبما تقرر علم انه لا يطلب التحول من الدار لأجل ما ظهر من الحيات فيها بل تنذر ثلاثا فان ذهبت والا قتلت وأن الثلاث ثلاثة أيام عند الجمهور وثلاث ساعات عند غيرهم وأن سائر الحيات العوامر فى ذلك سواء الا الابتروذا الطفيتين لما مر فيهما وحيات البيوت كذلك لما مر فيها وأن حيات غير البيوت لا يلحق الحاقها بحيات البيوت وأن كيفية الكلام الذى يقال عند الانذار ما أخرجه أبو داود عن أبى ليلى أن رسول الله ﷺ سئل عن حيات البيوت فقال (إذا رأيتم منها شيئا فى مساكنكم فقولوا أنشدكن العهد الذى أخذ عليكن سليمان أن لا تؤذونا فان عدن فاقتلوهن) وذكر الحديث فى أسد الغابة عن أبى ليلى بلفظ (إذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا لها انا

نسألك بعهد نوح عليه السلام وبعهد سليمان بن داود عليهما السلام لاتؤذينا فأن عادت فاقتلوها) وصرح الطحاوى وهو من ائمة الحديث والفقه على مذهب أبى حنيفة رحمهما الله بأن الانذار غير واجب وعبارته (لا بأس بقتل الجميع والأولى بعد الانذار) قال صاحب الفتاوى الحديثية ولم أر أحدا صرح بمسئلة العهد الذى أخذه نوح وسليمان عليهما السلام على الجن بأنهم لا يؤذون الأنس فمؤمنهم يراعى ذلك الألزام وكافرهم لا يعبأ به والله اعلم بالصواب — واما ما ورد فى اصناف الجن فقد ورد فى كتاب نزهة الناظرين : — عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وحشاش الأرض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الأنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف أجسادهم أجساد بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله) وروى عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ انه قال (للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء) وروى مسلم (أن عثمان بن أبى العاص أتى النبى ﷺ قال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى) ومنهم صنف يقال له زلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللهو واللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجز المرأة ومطوش وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر اسم الله شاركه فى الطعام والشراب والجماع والمبيت — وقال الزمخشرى رأيت الأعاريب من الأعاجيب فى باب الجن ما لا يوصف ويقولون من الجن صنف صورته

على نصف صورة الانسان واسمه شق وانه يعرض للمسافر اذا كان وحده وربما اهلكه ذكر صاحب كتاب المستطرف أن من الجن صنفا يسمى السعلاة يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال — يحكى أن رجلا تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا وأناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نارا لسغالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد إليه وحكى أن بعض العباد نزل صومعته يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد ان يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لأعلم انه شيطان .

وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر ـ وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شىء من ذلك ولا فى وجع من الأوجاع الا برىء وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال إن رجلا اختطفت ابنة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ قال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة إذ عرض لى قضاء حاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى إثرهم إذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها وإذا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت اهلك أنا وانت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى وما زلت اردد الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها

حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص مهول عظيم قد أقبل ورجلاه تخطان فى الأرض فقالت ها هو قد أتانا فاتخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وانشأ يقول : —

ياذا الذى للحين يدعوه القدر خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وإن تكن ذا خبرة فنيا اصطبر

قال فأجبته : —

ياذا الذى للحين يدعوه الحمق خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما ايس منى قال هل لك فى جزنا صبتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الأبل أو أخدمك طول حياتى أو الف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية إلى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد .

الفصل الربع — فى الكلام على صرف الجن إلى النبى ﷺ واستماعهم القرآن وبيان طعامهم ومساكنهم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فى سورة الأحقاف (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) .

(وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أى أملناهم اليك ووجهناهم لك والنفر من الرجال على المشهور ما بين الثـــلاثة والعشرة من الرجال وهم الذين إذا حزبهم أمر نفروا لكفايته وهذا باعتبار الأغلب فأنه يطلق أيضا على ما فوق العشرة وفى المجمل الرهط والنفر يطلق ويستعمل إلى الأربعين وفى كلام الشعبى حدثنى بضعة عشر نفرا ولا يختص بالرجال ولا بالناس لأنه هنا أطلق على الجن (يستمعون القرآن) أى واذكر يامحمد لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن لعلهم يتنبهون لجهلهم وغلطهم وقبح ما هم عليه من الكفر بالقرآن والأعراض عنه حيث انهم كفروا به وجهلوا أنه من عند الله تعالى وهم أهل اللسان الذى نزل به ومن جنس الرسول الذى جاء به واولئك الجن استمعوه وعلموا انه من عند الله تعالى وآمنوا به وليسوا من اهل لسانه ولا من جنس رسوله ففى ذكر هذه القصة توبيخ لكفار قريش والعرب (فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته أو الرسول ﷺ عند تلاوته له ففيه التفات (قالوا أنصتوا) أى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) اتم وفرغ من تلاوته وقرىء بالبناء للفاعل وهو ضمير الرسول ﷺ (ولوا إلى قومهم منذرين) أى منذرين اياهم بما سمعوا قيل انهم تفرقوا فى البلاد منذرين من رأوه من الجن وكان هؤلاء كما جاء فى عدة روايات من جن نصيبين وهى من ديار بكر قريبه من الشام وقيل من نينوى وهى أيضا من ديار بكر ولكنها قريبة من الموصل وذكر أنهم كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وكان الحضور بوادى نخلة على بعد نحو ليلة من مكة المكرمه فقد روى الشيخان والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (انطلق النبى ﷺ فى طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء

فانصرف اولئك الذين توجهوا نحو تهامه إلى النبي ﷺ وهو وأصحابه بنخله عامدين الى سرق عكاظ وهو عليه الصلاة والسلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا اليه فقالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا الى قومهم وفى رواية أخرى انهم لما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى وفرغ ﷺ من صلاة الصبح ولوا الى قومهم منذرين مؤمنين ولم يشعر بهم حتى نزل قوله تعالى (قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن) وروى عن مجاهد أن هذا النفر كانوا سبعة ثلاثة من أهل حران وأربعة من نصيبين وكانت اسماؤهم حسى ومسى وشاحر وماصر والاردوانيان وسرق والأحقم وفى رواية عن ابن عباس انهم كانوا تسعة عشر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا الى قومهم والخبر السابق يدل على أنه ﷺ كان حين حضر الجن مع طائفة من اصحابه وفى رواية عن مسلم واحمد والترمذى وأبو داود عن علقمه (قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فأخبرناه فقال أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم) فهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن معه أحد من اصحابه ولم يشعر به أحد منهم واخرج احمد عن ابن مسعود انه قال (قمت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن واخذت اداوة ولا أحسبها الا ماء حتى اذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودة مجتمعة قال فخط لى رسول الله ﷺ ثم قال قم ههنا حتى آتيك ومضى رسول الله ﷺ اليهم فرأيتهم يثورون اليه فسمر معهم ليلا طويلا حتى جاءنى مع الفجر فقال لى هل معك من وضوء قلت نعم ففتحت الاداوة فاذا هو نبيذ فقلت ما كنت أحسبها الا ماء فاذا هو نبيذ فقال رسول الله ﷺ ثمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منها ثم قام يصلى فادركه شخصان منهم فصفهما خلفه ثم صلى بنا فقلت من هؤلاء يا رسولى الله قال جن نصيبين) .

فهذا يدل على خلاف ما تقدم والجمع بتعدد واقعة الجن واخرج الطبرانى فى الأوسط أنه قال صرفت الجن إلى رسول الله ﷺ مرتين وذكر الخفاجى انه قد دلت الأحاديث أن وفادة الجن كانت ست مرات ويجمع بذلك اختلاف الروايات فى عددهم وفى غير ذلك فقد دلت بعضها أن عددهم كانوا ثلاثماية وفى بعضها انهم كانوا اثنى عشر ألفا وان السورة التى قرأها النبى ﷺ عليهم كانت (اقرأ باسم ربك) ونقل فى البحر عن ابن عمر وجابر بن عبد الله انها كانت سورة الرحمن فكان إذا قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشىء من آيات ربنا نكذب ربنا لك الحمد (قالوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (يا قومنا انا سمعنا كتابا) جليل الشأن (انزل من بعد موسى) ذكروه دون عيسى عليهما السلام لأنه متفق عليه عند أهل الكتابين ولان الكتاب المنزل عليه أجل الكتب قبل القرآن وكان عيسى عليه السلام مأمورا بالعمل بمعظمه أو بكله (مصدقا لما بين يديه) من التوراة أو جميع الكتب الآلهية السابقة (يهدى إلى الحق) من العقائد الصحيحة (والى صراط مستقيم) من الاحكام الفرعية أو ما يعمها وغيرها من العقائد على انه من ذكر العام بعد الخاص (يا قومنا أجيبوا داعى الله) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية إلى الحق والطريق المستقيم لتلازمهما وفى الجمع بينهما ترغيب لهم فى الاجابة أى ترغيب (وآمنوا به) أى بداعى الله تعالى أو بالله عز وجل (يغفر لكم من ذنوبكم) ومن هنا للتبعيض أى يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ما كان خالص حقه عز وجل فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان .

هذا وقد حقق العلامة الطيبى ان المظالم تغفر ايضا به واستدل بما نقله عن ابن ماجه (أن النبى ﷺ دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فاجيب له انى قد غفرت لهم ما خلا المظالم فانى آخذ للمظلوم من الظالم قال أى رب ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فاجيب الى ما سأل فضحك رسول الله ﷺ

أو تبسم فقال له أبو بكر رضى الله عنه فما الذى أضحكك ؟ أضحك الله سنك فقال ان عدو الله ابليس لما علم بان الله سبحانه وتعالى استجاب دعائى وغفر لأمتى أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاعجبنى ما رأيت من جزعه) ـ قلت وهذا الذى حققه العلامة الطيبى رحمه الله يوافق الدعاء الذى ورد فى دلائل الخيرات للامام الجزولى رحمه الله وهو (اللهم ان لى ذنونا فيما بينى وبينك وذنوبا فيما بينى وبين خلقك اللهم ما كان لك منها فاغفره وما كان منها لخلقك فتحمله عنى واغننى بفضلك إنك واسع المغفرة) قال العلامة محمد المهدى فى شرحه المسمى مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات (ذنوبا فيما بينى وبينك) كالتفريط فى الصلاة والصيام وغيرهما من الافعال المأمور بها ولا تعلق لها بالخلق وكشرب الخمر وغيره من الأفعال المنهى عنها (وذنوبا فيما بينى وبين خلقك) مما يرجع الى نفوسهم واعراضهم وأموالهم كالقتل والجرح والقذف والغيبة والتعدى وما يلتحق بذلك من حقوقهم التى يتعلق بها الأمر الجازم كالنفقة فيمن تجب نفقته والنصيحة والانقاذ من الهلكة والشهادة بحق تعين وغير ذلك والعبد لا ينفك عن هذه الذنوب ولا سبيل له الى تنزيه نفسه وتبرئتها منها ولا يستطيع القيام بحقوق الربوبية ولوازم العبودية ولو علم ما علم (وما قدروا الله حق قدره) فما له الا الرجوع إلى مولاه والتعلق به فى غفرانها وتحملها إلى أن قال (وما كان منها لخلقك فتحمله عنى) أى أده وأرض فيه خصمائى لان حقوقهم لا متروك لها (واغننى بفضلك) عن تأدية حقوقهم فلا احتاج إلى ما أؤدى بها (إنك واسع المغفرة) فتسع مغفرتك ما بينى وبينك وما بينى وبين خلقك وإذا عاملتنى بالمغفرة فى ذلك أرضيتهم عنى لان حقوقهم لا تترك .

وقد اخرج الامام احمد والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال الدواوين ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا فالاشراك بالله وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه تعالى من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فأن الله يغفر

ذلك ان شاء تعالى ويتجاوز عنه وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فمظالم العباد القصاص فيها لامحالة) والمراد بأن القصاص لامحالة عدم سقوط حق المظلوم إما باداء الظالم واما باداء الله تعالى عنه لما دل على ذلك من الأحاديث وأنه قد وردت أحاديث متعددة فيمن يتكفل الله عز وجل لغرمائهم وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه والطيالسى والبزار وابو نعيم فى الحلية عن انس رضى الله عنه مرفوعا مثل حديث عائشة سواء - وقيل من زائدة وليست للتبعيض أى يغفر لكم ذنوبكم هذا وينبغى أن يعلم أن العصاة كلهم فى خطر المشيئة بل الطائعون أنفسهم لا يدرون بماذا يختم لهم فيا أيها العاصى لا تغتر فان العناية لا تحصل لكل عاص ولا تدرى أنك ممن أراد الله تعالى عفوه فان المعفو من أول الأمر وقع قليلا كما حكى عن مالك بن دينار قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة فسألتهم عنه قالوا هذا رجل من كبار المذنبين قال فصليت عليه وانزلته فى قبره ثم انصرفت إلى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من أهل النار فما فيه جارحه سلمت من المعاصى، الأوزار فقال له صاحبه يا أخى لا تعجل عليه اختبر عينيه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى محارم الله قال فاختبر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوءا بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر لسانه قال قد اختبرته فوجدته مملوءا بالخوض فى المحظورات وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام وما لا يحل من الشهوات واللذات قال فاختبر رجليه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى فى النجاسات والأمور المذمومات قال يا أخى لا تعجل عليه ودعنى انزل اليه فنزل اليه الملك الثانى وأقام عنده ساعة وقال يا أخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءا ايمانا فاكتبه مرحوما سعيدا ففضل الله تعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا

وروى عن بعض شيوخ اليمن انه خرج يوما الى الساحل المعروف

بالاهواز ومعه تلميذ له فمر فى طريقه على قصب ذره كبار فقال للتلميذ خذ معك من هذا القصب ففعل المريد وتعجب فى نفسه وقال ما مراد الشيخ بهذا ولم يقل له الشيخ شيئا حتى إذا بلغا إلى محله لعبيد يقال لهم السناكم يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ولا يعرفون الصلوات واذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون فقال الشيخ للتلميذ ائتنى بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب بالطبل فأتاه التلميذ فقال له أجب الشيخ فرمى الطبل من رقبته ومشى معه الى الشيخ فلما وقف بين يديه قال الشيخ للتلميذ اضربه فضربه حتى استوفى منه الحد ثم قال له الشيخ امش قدامنا فمشى حتى بلغوا البحر فأمره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيفية ذلك وكيفية الوضوء ففعل ثم علمه كيف يصلى وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ الى الشيخ وقال وامصيبتاه واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى من هذا شىء وهذا فى ساعة واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ وقال يا ولدى وايش كنت أنا هذا فعل الله تعالى قيل لى فلان من الابدال توفى فاقم فلانا مقامه فامتثلت الامر كما يمتثل الخدام وودت انه حصل لى هذا المقام فظهر أن الله تعالى اعلم حيث يجعل ولايته أيضا (ذكر ذلك صاحب تفسير روح البيان عند الكلام على آية (الله يعلم حيث يجعل رسالته) .

ثم اعلم أن الله تعالى بين حسن الايمان وقبح الكفر وحال السعيد والشقى ورغب فى طريق الأنبياء والأولياء وجعل العمل الصالح وهو ما أريد به وجه الله سببا لمحبة الله ودخول دار السلام وهى دار القرار التى يأمن من دخلها من العذاب مطلقا فالله تعالى ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما جهز جيشا الى فتح بعض ديار العجم مقداره أربعة آلاف فارس وأمر عليهم ابنه عبد الله رضى الله عنهما قال فسرنا حتى حاصرنا قلعة على جبل عال لا تصل اليه أسلحتنا فحاصرناها

وكان فيها جيش من الكفار وكانت أميرتهم إمرأة حسناء فحصل لنا تعب شديد ففى ذات يوم نظرت أميرتهم من المنظرة عسكرنا فرأت شابا حسنا من شباب العرب وكان شابا فارسا ماهرا فى الحرب فلما وقع نظرها عليه تأوهت فقالت لها بعض جواريها لم تأوهت يامليكة وأنت فى حصار ومنعه فقالت ان حصننا هذا يفتحه هذا الشاب قالت وكيف ذلك قالت سترين بعد ساعة ثم أرسلت اليه الأميرة رسولا تقول هل أجد اليك سبيلا فتكون لى وأكون لك فقال الشاب نعم بشرطين أن تسلمى الحصن الخارج الينا والداخل اليه فأرسلت مع الرسول تستفهم أما الخارج فعرفنا وأما الداخل فما عرفنا فقال لها تسلمى قلبك الى الله تعالى وتقرين له بالوحدانية فارسلت اليه قوما ادخل بعسكرك فانى قد فتحت لك الباب فلما دخل الحصن عرض عليها الاسلام فقالت اعلم انى مليكة ذات همة عالية فهل فى عسكرك من هو أكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم أميرنا وكبيرنا وهو ابن امير المؤمنين فلما حضرت بين يدى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عرض عليها الاسلام فقالت كالأول هل أحد أكبر منك فى المسلمين حتى اسلم بين يديه فقال لها نعم والدى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت ارسلنى اليه حتى اسلم بين يديه فارسلها ومعها عسكر وأموال جزيلة أخرجتها معها من الحصار فلا زالت حتى وصلت إلى عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين هل هنا أحد اكبر منك قال نعم محمد رسول الله ﷺ وهذا قبره الشريف وأشار الى الروضة المطهرة فقالت لا اسلم إلا بين يديه فأجابها لما قالت فلما أتت الروضة المنورة سلمت وجلست بأدب ووقار فى حضرة النبى ﷺ وقالت اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قالت خرجت من الظلمات إلى النور وأنا أخشى يا رسول الله أن يدنس ايمانى المعاصى فاسأل ربك الذى ارسلك الينا بالحق أن يقبض روحى قبل أن أعصيه مرة أخرى ثم وضعت رأسها على عتبة المصطفى ﷺ فماتت من ساعتها فبكى عمر رضى الله عنه من حسن حالها وأمر بغسلها وتجهيزها ودفنها بالبقيع بين الصحابة رضى الله عنهم

اللهم اجعلنا من الذين سلكوا صراطك المستقيم ووصلوا إلى جنابك بقلب سليم فنجوا من عذابك الأليم آمين يا كريم يا رحيم (ويجركم من عذاب أليم) معد للكفرة وهذا ونحوه يدل على أن الجن مكلفون ولم ينص هنا على ثوابهم اذا اطاعوا وعموم الآيات تدل على الثواب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون فى الجنة ويزدحمون على أبوابها ولعل الاقتصار على ماذكر لما فيه من التذكير بالذنوب والمقام مقام الانذار فلذا لم يذكر فيه شيء من الثواب وقيل لا ثواب لمطيعهم الا النجاة من النار فيقال لهم كونوا ترابا فيكونون ترابا وهذا مذهب ليث بن أبى سليم وجماعة ونسب الى الامام ابى حنيفة رضى الله عنه لأنه لا استحقاق لأحد على الله تعالى ولم يقل بطريق الوعد فى حقهم إلا المغفرة والاجارة من العذاب وأما نعيم الجنة فموقوف على الدليل قال النووى فى شرح مسلم والصحيح انهم يدخلون الجنة ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما وهذا مذهب الحسن البصرى ومالك بن انس والضحاك وغيرهم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) ايجاب للاجابة بطريق الترهيب بعد ايجابها بطريق الترغيب وتقييد الأعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى اعماقها (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه (أولئك فى ضلال مبين) أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله فى ضلال مبين أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه عز وجل (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى) أى ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن أى لم يتعب بذلك أصلا من عيى كفعل يكسر العين بمعنى تعب وقال الكسائى أعييت من التعب وعييت من انقطاع الحيلة والعجز والتحير فى الأمر وأنشدوا :— عيوا بأمرهم كما عييت ببيضتها الحمامة

أى لم يعجز عن خلقهن ولم يتحير فيه (بلى انه على كل شىء قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ولذا قيل إن هذا مشير إلى كبرى لصغرى سهلة الحصول فكانه قيل احياء الموتى شىء وكل شىء مقدور له فينتج أن احياء الموتى مقدور له ويلزمه انه تعالى قادر على أن يحيي الموتى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب استمراركم على الكفر فى الدنيا ومعنى الأمر الأهانة بهم فهو تهكم وتوبيخ والا لكان تحصيلا للحاصل .

فى بيان طعام الجن

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال (اتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال النبي ﷺ فلا تستنجوا بهما لأنهما طعام اخوانكم الجن) هذا وقد جاءت بعض الروايات بأن العظم الذى هو طعام الجن هو الذى ذكر اسم الله عليه وفى البعض الآخر بأنه هو الذى لم يذكر اسم الله عليه قال العلماء إن الروايات الأولى انما هو فى حق الجن المؤمنين والأخرى فى حق الشياطين وروى ابن العربى بسنده عن جابر بن عبد الله قال (بينا انا مع رسول الله ﷺ يمشى إذ جاءت حية فقامت إلى جنبه فادنت فاها من أذنه وكانها تناجيه أو نحو هذا فقال النبي ﷺ نعم فانصرفت قال جابر فسألته فأخبرنى انه رجل من الجن وانه قال مرامتك لا يستنجو بالروث ولا بالعظم فان الله جعل لنا فى ذلك رزقا) — وروى أبو داود عن أمية بن مخشى وهو صحابى (أن رسول الله ﷺ كان جالسا ورجل يأكل ولم يسم حتى اذا لم يبق من طعامه إلا لقمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك رسول الله ﷺ ثم قال ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه) وروى أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروى فى كتاب العجائب قال (حدث ثعلبة بن سهيل قال كنت اضع

شرابا لى أشربه فى السحر فاذا جاء السحر جئت فلم أجد منه شيئا فوضعت شرابا وقرأت عليه آيس فلما كان السحر جئته فرأيته على حاله وإذا الشيطان اعمى يدور حول البيت) وروى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إن الشيطان جساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفى يده ريح غمر فاصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه) (وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة انه كان يحمل مع النبى ﷺ إداوة لوضوءه وحاجته فبينما هو يتبعه بها قال من هذا قال أنا أبو هريرة فقال ابغنى أحجارا استفضل بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة فأتيته بأحجار احملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت فقلت ما بال الروث والعظم قال هما طعام الجن وانه حين اتانى جن نصيبين ونعم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثه إلا وجدوا عليها طعاما) — هذا وقد علم مما تقدم أن الشيطان يستحل طعام الأنس ما دام لم يذكر اسم الله عليه — قال الله تعالى وهو اصدق القائلين فى سورة الأنعام (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون) أى عمدا إذ النسى حال نسيانه لا يكون مكلفا وذكر اسم الله تعالى فى قلب كل مؤمن واما العامد فلانه لما ترك التسمية عامدا فكانه نفى ما فى قلبه ويدخل فيه الميتة لأنها مما لم يذكر اسم الله عليه وكذا ما ذبح على اسم غيره تعالى (وانه) أى الأكل منه أو عدم ذكر التسمية (لفسق) أى خروج لما لا يحل فأن من ترك التسمية عامدا حال الذبح لا يحل اكل ذبيحته عند الامام الأعظم (وإن الشياطين) أى ابليس وجنوده (ليوحون إلى أوليائهم) أى يوسوسون إلى المشركين والوحى القاء المعنى إلى النفس مع الخفية (ليجادلوكم) أيها المؤمنون فى تحليل الميتة بالوساوس الشيطانية (وان أطعتموهم) فى استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم (انكم لمشركون) ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه هذا وفى باب الذبائح

من الجزء الثالث من كتاب التهذيب فى علم الفقه لحضرة أخى الشيخ احمد كامل الخضرى المدرس بكلية الشريعة ما نصه حرفيا (اجمع العلماء على تحريم ما ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح والاصطياد كمحمد وعيسى وموسى والسيد البدوى لأنه يكون مما أهل به لغير الله بل إن ذبح له تعظيما وعبادة كفر الذابح فان قصد ان الذبح باسم الله وانه يتصدق به على حب النبى أو السيد البدوى مثلا لم يضر لكن ينبغى البعد عن ذلك كما أجمعوا على أن ذكر اسم الله عند الذبح والاصطياد مشروع ولكنهم اختلفوا فى متروك التسمية على أقوال (الاول) ان كان الترك عمدا لم يحل أو نسيانا حل وهو رأى مالك وأبو حنيفة وغيرهما و (الثانى) انه لا يحل مطلقا وهو رأى احمد وابن سيرين ومالك فى رواية أخرى ونقل عن احمد أن التسمية شرط فى ارسال الجارحة دون السهم و (الثالث) انه يحل مطلقا وهو رأى الشافعى وابن عباس والحسن وغيرهم - فمن قال بالحرمة مطلقا استدل بقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله ﷺ (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا) وقوله عليه السلام (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل) ولم تفصل هذه الأدلة بين العمد والنسيان ومن قال بالحل عند النسيان قال الآية فى العمد بدليل قوله تعالى (وانه لفسق) فأن الناسى ليس فاسقا باجماع المسلمين فلا تحرم عليه وأيضا فالناسى ليس تاركا للتسمية بل هى فى قلبه بدليل قوله عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن متروك التسمية ناسيا (كلوه فأن تسمية الله تعالى فى قلب كل مسلم — الوسى) ومن قال بالحل مطلقا يرى أن الآية فى الميتات وفيما ذكر عليه اسم غير الله وأن الأمر بالتسمية فى الأحاديث للندب والكمال بدليل قوله ﷺ (ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله تعالى أو لم يذكر - د) وقوله حينما سئل عن لحم لا يدرى اذكر عليه اسم الله أم لا (سموا عليه أنتم وكلوا — ب) فهذه التسمية سنة والسنة لا تنوب عن الفرض مع انها نابت عن التسمية عند الذبح فدل على انها سنة لا فرض .)

وقال بعض أرباب الأشارة لا تأكلوا طعاما الا بأمر الله وعلى ذكر الله وفى طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وهى مؤدية إلى الفسق الذى هو الخروج من النور الروحانى إلى الظلمة النفسانية وفى الحديث (ان الشيطان يستحل الطعام الا بذكر اسم الله عليه) أى أنه لا يذكر اسم الله عليه بعد الشروع وما لم يشرع فيه أحد لا يتمكن الشيطان من استحلاله وفيه اشارة إلى أنه إن سمى واحد من الآكلين حصل اصل السنة ومن نسى التسمية فى أول الطعام فانه يقول حين يذكر باسم الله اوله وآخره فاذا قال ذلك فقد تدارك تقصيره ـ وسبب نزول الآية المتقدمة هو أن المشركين جادلوا المسلمين فقالوا أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله فانزل الله تعالى الآية ـ قال فى آكام المرجان كل ما لم يسم عليه من طعام أو شراب أو لباس أو غير ذلك مما ينتفع به فللشيطان فيه تصرف واستعمال لما باتلاف عينه كالطعام واما مع بقاء عينه ـ قال بعض أرباب الاشارة انما حرم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأن العارف حبيب الله والحبيب لا يذبح ولا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يفعل شيئا الا باسم حبيبه الا ترى أن يعقوب عليه السلام كان يقول فى جميع أحواله يوسف وانما وجبت التسمية عند الذبائح لأن مرارة النزع شديدة وذكر اسم الله تعالى احلى من كل شىء فامرنا بالتسمية عند الذبائح كى تسمع الشاة ذكر الله عند الموت فلا تشتد مرارة الذبح مع حلاوة اسم الله ولذلك قال عليه السلام (لقنوا موتاكم بشهادة أن لا إله إلا الله يسهل عليكم سكرات الموت) فلما كان الاحياء والأماتة من الله تعالى وحده لم يجز أن يذبح باسم غيره تعالى وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذبح للجن وعلى اسمها وكان من عادة الجاهلية قبل الاسلام تزيين جارية حسناء وإلباسها أحسن ثيابها والقائها فى النيل حتى يطلع ثم قطع تلك السنة الجاهلية من أخاف الجن وقمعها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فلو داوم انسان على ذكر اسم الله لا تحرقه النار ولا تغرقه البحار ولا تنهشه الحيات ولا تضره السموم لأن كل مضر خلق مخوفا لمن يخاف الله تعالى .

مساكن الجن

قال صاحب آكام المرجان (غالب ما يوجد الجن فى مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا إلى هذه الأماكن التى هى مأوى الشياطين ـ والفقهاء منهم من علل النهى عن الصلاة فيها كما جاءت بذلك الأخبار بكونها مظنة النجاسة ومنهم من قال إنه تعبد لا يعقل معناه والصحيح أن العلة فى الحمامات واعطان الأبل ونحو ذلك انها مأوى الشياطين وفى المقبرة ان ذلك ذريعة إلى الشرك مع أن المقابر تكون أيضا مأوى الشياطين والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعى ولهم احيانا مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التى نهى الشارع عن الصلاة فيها لأن الشياطين تتنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام وتفتنهم فى بعض المطالب كما تفتن السحرة وكما تفتن عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التى يظنون انها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك فانه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب وقد تقضى بعض حوائجهم اما قتل بعضهم أو امراضه وأما جلب بعض من يهوونه أو احضار بعض المال ولكن الضرر الذى يحصل لهم بذلك أعظم من النفع بل قد يكون اضعاف أضعاف النفع والله تعالى أعلم بالصواب) انتهى المنقول من آكام المرجان ـ وروى عن بلال بن الحارث قال (نزلنا مع رسول الله ﷺ فى بعض اسفاره فخرج لحاجته وكان إذا خرج لحاجته يبعد فاتيته باداوة من ماء فانطلق فسمعت عنده خصومة رجال ولغطا ما سمعت أحد من ألسنتهم قال اختصم الجن المسلمون والجن المشركون فسألونى أن أسكنهم فاسكنت المسلمين الجلس وأسكنت الجن المشركين الغور قال الراوى قلت لكثير ما الجلس وما الغور قال الجلس القرى والجبال والغور ما بين الجبال والبحار وهى يقال لها الجنوب قال كثير وما رأيت أحدا اصيب بالجلس

الاسلم ولا أصيب بالغور الا لم يكد يسلم) وحدث يزيد بن جابر قال (مامن أهل بيت من المسلمين الا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين إذا وضع غداءهم نزلوا فتغدوا معهم وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم) - وعن زيد بن ارقم عن النبي ﷺ أنه قال (ان هذه الحشوش محضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وقوله محضره يعنى يحضرها الجن فاذا قال المخلى هذا الدعاء احتجب عن أبصارهم فلا يرون عورته وروى مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا ذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكره عند طعامه يقول أدركتم العشاء ولا مبيت لكم وإذا لم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركتم المبيت والعشاء) .

الفصل الخامس — هل بعث إلى الجن نبي قبل نبينا محمد ﷺ

وهل تجوز الرواية عن الجن والصلاة خلفهم وهل تنعقد بهم الجماعة وهل تجوز مناكحتهم وبيان حكم ما إذا وطىء الجنى انسيه وحكم المرأة إذا اختطف الجن زوجها والأحكام الشرعية المتعلقة بذلك .

أجمع جمهور العلماء سلفا وخلفا على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولم تكن الرسل إلا من الأنس ونقل معنى هذا عن ابن عباس وابن جريج وغيرهما وسئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم من نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ فقال ألم تسمع قوله تعالى (يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) قال الامام المحقق صاحب تفسير روح البيان فى تفسير هذه الآية الكريمة (اعلم ان الجن والانس مكلفون بالاتفاق لكن الرسول اليهم يحتمل أن يكون من جنسهم كما كان جبريل ونحوه رسل الملائكة من جنسهم وخواص البشر رسل الأنس من جنسهم وأنفسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل والاستفادة والاستئناس فى الجنسية

أظهر ويحتمل أن يكون من غير جنسهم بان يكون من البشر وذلك لا يمنع الاستفادة لأنه يجوز أن يستفيد خواصهم من الرسل ويكونون رسل الرسول إلى قومهم كاستفادة خواص البشر من خواص الملائكة وقد قام الأجماع على أن نبينا محمدا ﷺ مرسل إلى الثقلين ودعا كل واحد من الفريقين الى الايمان بالله واليوم الآخر وقد كان الأنبياء قبله يبعثون إلى قومهم خاصة وأما سليمان عليه السلام فانه لم يبعث إلى الجن بالرسالة العامة بل بالملك والضبط والسياسة التامة فقوله تعالى (رسل منكم) اما محمول على المعنى الأول بأن يكون الرسل من جنس الفريقين وقد ذهب اليه الضحاك ومن تبعه حيث قالوا لا معنى للعدول عن الظاهر بغير ضرورة وأيدوه بما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) فى كل أرض نبي مثل نبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى وصححه صاحب آكام المرجان كيف وابن عباس رضى الله عنهما سلطان المفسرين بالاتفاق ولا معنى لقول السخاوى فى المقاصد الحسنة أنه أخذه من الاسرائيليات وهذا كما قالوا أن فى كل سماء كعبة حيالها يطوفها أهلها وكذا فى كل أرض واما محمول على المعنى الثانى وهو الذى أدعوا فيه الاجماع وفيه تفصيل شأن البشر فالرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) والمرجان يخرج من الملح دون العذب وقيل الرسل يعم رسل الرسل وقد ثبت أن نفرا من الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم هذا ما وفقنى الله تعالى لترتيبه وتهذيبه فى هذا الباب والله يقول الحق ويهدى إلى الصواب) انتهى .

وأما روايه الجن للحديث فقد ورد فى آكام المرجان عن أبى بن كعب قال خرج قوم يريدون مكة فضلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا لبسوا أكفانهم واضطجعوا للموت فخرج عليهم جنى يتخلل الشجر وقال أنا بقية النفر الذين استمعوا على النبى ﷺ سمعته يقول (المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخذله) هذا الماء وهذا الطريق ثم دلهم على الماء وأرشدهم إلى

الطريق ثم ساق حادثة أخرى مثل هذه قال صاحب الفتاوى الحديثية قد أجاز بعضهم رواية الحديث عن الجن وقد روى عنهم الطبرانى وابن عدى وغيرهما لكن توقف فى ذلك بعض الحفاظ متمسكين بان شرط الراوى العدالة والضبط وكذا مدعى الصحبة شرطه العدالة والجن لا تعلم عدالتهم

وفى جواز الصلاه خلف الجنى نقل صاحب آكام المرجان أن أبا البقاء العكبرى الحنبلى سئل عن الجنى هل تصح الصلاه خلفه فقال نعم لأنهم مكلفون والنبى ﷺ مرسل اليهم وفى انعقاد الجماعة بهم نقل أيضا صاحب آكام المرجان عن ابن الصيرفى فى نوادره انعقاد الجماعة بالجن ثم ساق أحاديث تدل على أن النبى ﷺ أمهم . صلوا خلفه ومنها الحديث الذى رواه ابن مسعود السابق ذكره فى الفصل الرابع هذا وقد بينا فى الفصل الثالث أن الجن يتناكحون ويتناسلون بعضهم من بعض ولكن فى هذا الفصل نريد أن نبين إمكان المناكحة بين الانس والجن وحكم هذا الزواج شرعا فنقول قال الله تعالى (وشاركهم فى الأموال والأولاد) وقال ﷺ (إذا جامع الرجل امرأته ولم يسم انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه) وقال ابن عباس رضى الله عنهما (إذا أتى الرجل امرأته وهى حائض سبقه الشيطان اليها فحملت فجاءت بالمخنث) رواه الحافظ ابن جرير — ونهى النبى ﷺ عن نكاح الجن وقول الفقهاء لا تجوز المناكحة بين الانس والجن وكراهة من كرهه من التابعين دليل على إمكانه لأن غير الممكن لا يحكم عليه بجواز ولا بعدمه فى الشرع وسئل مالك بن أنس رضى الله عنه فقيل إن ههنا رجلا من الجن يخطب الينا جارية يزعم أنه يريد الحلال فقال ما أرى بذلك بأسا فى الدين ولكن اكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها من زوجك قالت من الجن فيكثر الفساد فى الاسلام بذلك ومن قال من الفقهاء بعدم مشروعية الزواج من الجن أخذ بقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) إذ لا يجوز بناء على ذلك الزواج من نفس غير نفسه والجن كما سبق ليسوا من أنفسنا فلا يجوز قطعا أن يكون من بينهم

أزواج لنا وبقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وكذلك بما ورد عن النبى ﷺ عن الزهرى قال (نهى رسول الله ﷺ عن نكاح الجن) وبما صرح به الشيخ جمال الدين السجستانى من أئمة الحنفية فى كتاب منية المفتى عازيا له الى الفتاوى السراجية (لا تجوز المناكحة بين الانس والجن وانسان الماء لاختلاف الجنس) وذكر الشيخ نجم الدين الزاهدى فى قنية المنية سئل الحسن البصرى عن التزويج بجنية فقال (يجوز بشهود رجلين حم لا يجوز عك قال يصفع السائل لحماقته) وحم رمز أبى حامد وعك رمز عين الأئمة الكرابيسى — وصرح كثير من العلماء بمشروعية المناكحة بين الجن والانس مع الكراهية ومنهم الامام مالك ابن انس رضى الله عنه كما تقدم وكذا الأعمش فقد روى أنه قال تزوج الينا جنى فقلت له ما أحب الطعام اليكم فقال الأرز قال فأتيناه به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا فقلت فيكم من هذه الأهواء التى فينا قال نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرنا وروى عنه انه قال شهدت نكاحا للجن بكوثى تزوج رجل منهم إلى الجن فقيل لهم أى الطعام أحب اليكم قالوا الأرز قال الأعمش فجعلوا يأتون بالجفان فيها الأرز فيذهب ولا نرى الأيدى — وقد روى عن زيد العمى انه قال اللهم ارزقنى جنية اتزوجها قيل له يا أبا الحوارى وما تصنع بها قال تصحبنى فى أسفارى حيث كنت كانت معى رواه حرب عن اسحق — وحدث القاضى جلال الدين احمد بن القاضى حسام الدين الرازى الحنفى قال سفرنى أبى لاحضار أهله وقد هطل مطر فى اثناء ذلك فالتجأت الى مغارة وكنت فى جماعة فبينا أنا نائم إذا بشىء يوقظنى فانتبهت فاذا بامرأة وسط من النساء لها عين واحدة مشقوقة بالطول فارتعت فقالت ما عليك من بأس انما آتيك لتتزوج ابنة لى كالقمر فقلت لخوفى منها على خير الله تعالى ثم نظرت فاذا برجال قد اقبلوا فنظرتهم فاذا هم كهيئة المرأة التى أتتنى عيونهم كلها مشقوقة بالطول فى هيئـــة قاض وشهود فخطب القاضى وعقد فقبلت ثم نهضوا وعادت المرأة ومعها جارية

حسناء إلا أن عينها مثل عين أمها وتركتهـــا عندى وانصرفت فزاد خوفى واستيحاشى وبقيت أرمى من كان معى بالحصى حتى يستيقظوا فما انتبه منهم أحد فاقبلت على الدعاء والتضرع ثم آن الرحيل فرحلنا وتلك الشابة لم تفـارقنى فدمت على هذا ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أتتنى المرأة وقالت كأن هذه الشابة ما أعجبتك وكانك تحب فراقها فقلت أى والله قالت فطلقهـا فطلقتها وانصرفنا ولم أعد أراهما بعد - وفى الفتاوى الظهيرية امرأة قالت معى جنى يأتينى فى اليوم مرارا وأجد فى نفسى ما أجد إذا جامعنى زوجى لاغسل عليها وفى كتاب شرح الهداية لابن الخطاب الحنبلى فى امرأة قالت إن جنيا يأتينى كما يأتى الرجل المرأة فهل يجب عليها الغسل قال بعض الحنفية لاغسل عليها وكذا قال أبو المعالى بن منجا الحنبلى لاغسل عليها لانعدام سببه وهو الايلاج والاحتلام فهو كالمنام بغير انزال وفيما قال من التعليل نظر لأنها إذا كانت تعرف انه يجـامعها كالرجل فـكيف تقول يجامعنى ولا ايلاج ولا احتلام وإذا انعدم السبب وهو الايلاج والاحتلام فكيف يوجد الجماع وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن رجلا من قومه خرج ليصلى مع قومه صـــلاة العشاء ففقـــد فانطلقت امرأته الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فحدثته بذلك فسأل عن ذلك قومها فصدقوها فامرها أن تتربص أربع سنين فتربصت ثم أتت عمر فاخبرته بذلك فسأل عن ذلك قومها فصدقوها فامرها أن تتزوج ثم إن زوجها الأول قدم فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال عمر يغيب أحدكم الزمان الطويل لا يعلم أهله حياته قال كان لى عذر قال وما عذرك قال خرجت اصلى مع قومى صلاة العشاء فسبتنى أو قال اصـــابتنى الجن فـكنت فيهم زمنا طويلا فغزاهم مؤمنون فقاتلوهم فظهروا عليهم فاصابوا لهم سبايا فـكنت فيمن أصابوا فقـــالوا ما دينك فقلت مسلم قالوا أنت على ديننا لا يحل لناسبيك فخيرونى بين المقـــام وبين القفول فاخترت القفول فاقبلوا معى بالليل بشرا يحدثونى وبالنهار أعصار ريح اتبعها قال فما كان طعامك قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه قال فمـا كان شرابك قال الجدف

(ما لم يخمر من الشراب) قال فخيره عمر رضى الله عنه بين المرأة والصداق

وحدث عمرو بن دينار عن يحيى بن جعده قال انتسفت (اختطفت) الجن رجلا على عهد عمر رضى الله عنه فلم يدروا أحى هو أم ميت فأتت امرأته عمر رضى الله عنه فأمرها ان تتربص أربع سنين ثم أمر وليه ان يطلق ثم أمرها أن تعتد وتتزوج فان جاء زوجها الأول خير بينها وبين الصداق انتهى ملخصا من آكام المرجان

الفصل السادس — فى بيان سبب مس الشيطان وعلاجه

قال العلامة الاستاذ الجليل الشيخ منصور على ناصف أحد أكابر علماء الازهر الشريف والمدرس بالجامع الزينبى فى كتابه القيم الذى يعتبر بحق أحسن ما ألف فى موضوعه وهو المسمى (التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول المحلى بشرحه عليه المسمى غاية المأمول) فى الجزء الخامس تحت عنوان (ابليس وجنوده مباحث قيمة) (إن الشيطان يتسلط على بنى آدم بالاغواء وهذا باتفاق وهل يتسلط عليه بالاضرار أيضا قال المعتزله ليس له ذلك لقوله تعالى) وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) وقال أهل السنة انه قد يتسلط عليه بالهلاك والاضرار فى جسمه وعقله وهذا ثابت بالكتاب والسنة والواقع المشاهد أما الكتاب فقوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى كالذى مسه الشيطان وصرعه فصار يتخبط يمينا وشمالا كالمجنون وقوله تعالى (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) .

وأما السنة فمنها قوله ﷺ (فناء امتى بالطعن والطاعون وخز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة) رواه احمد والطبرانى أى من أسباب هلاكها الطعن بالحراب ونحوها فى الجهاد ونحوه والطاعون الذى هو ضرب الجن لبعض الناس والميت باحدهما شهيد ومنها ما سبق فى الاستحاضة لما قالت حمنة بنت جحش يا رسول الله انى استحاض حيضة كثيرة شديدة قال انما هى ركضة

من ركضات الشيطان أى ضربة من ضرباته ومنها قوله ﷺ (ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه عليهما السلام وسبق هذا فى ذكر عيسى فى النبوة ومنها قوله ﷺ فى الاعتكاف السابق (إن الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم) ومنها ما سبق فى الطب ان امرأة سوداء كانت تصرع وتتكشف أحيانا فاستغاثت بالنبى ﷺ أن يدعو لها فلا تتكشف فدعا لها ومنها ما رواه الامام احمد عن أم ابان بنت الوازع عن أبيها عن جدها قالت (انطلق جدى إلى النبى ﷺ بابن له أو ابن اخت له فقال يا رسول الله ان هذا مجنون أتيتك به لتدعو الله له قال قربه منى وأجعل ظهره لى قال ففعل فاخذ النبى ﷺ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره ويقول اخرج عدو الله فصار المريض ينظر نظره الصحيح لا نظره الأول ثم حول وجهه نحوه ودعا بماء فمسح به وجهه ودعا له قال جدى فلم يكن فى الوفد بعد هذا أفضل ولا أحسن منه) وللامام احمد أيضا عن يعلى بن مرة قال (خرجت مع النبى ﷺ فى سفر فلما كنا ببعض الطريق مررنا بأمرأة ومعها صبى لها فقالت يا رسول الله هذا صبى أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء فانه يصرع فى اليوم أكثر من مرة قال ناولينيه فاعطته له ففتح فمه فنفث فيه ثلاثا وقال باسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله وفى بعض الروايات اخرج عدو الله أنا رسول الله ثم أعطاه للمرأة وقال تنتظرينا هنا ونحن راجعون فتخبرينا بما فعل قال يعلى فذهبنا ثم عدنا إلى هذا المكان فوجدناها ومعها ثلاث شياه فقال ﷺ ما فعل صبيك قالت والذى بعثك بالحق ما رأينا منه شيأ إلى هذه الساعة وخذ منى هذه الشياه فقال رسول الله ﷺ انزل فخذ منها واحدة ورد لها البقية) فهذه سبعة أحاديث صريحة فى تسلط الشيطان على الانسان بالأذى نعوذ بالله منه وأما الواقع من هذا فكثير ومشاهد حتى أن عبد الله بن الامام احمد رضى الله عنهما سأل والده كما فى آكام المرجان فقال يا والدى ان قوما يقولون إن الجنى لا يدخل بدن المصروع من الأنس فقال يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه من هذا وضح الحق واستبان فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

والرجوع إلى الحق فضيلة وغنيمة

« سبب المس وعلاجه »

قال العلامة بن القيم فى زاد المعاد الصرع نوعان نوع من الأرواح الخبيثة الأرضية ونوع من الاخلاط الرديئة أى أو المرض أو الحزن الذى أثر فى القوة المفكرة وهذا مايتكلم الأطباء فى سببه وعلاجه وأما الأول فسببه غالبا خراب الباطن من نور الايمان والاذكار والتعوذات النبوية فتجد الروح الخبيثة ذلك البدن أعزل لا سلاح معه وربما كان عريانا فتحل فيه فتؤذيه ومع هذا فالمنظور من الخبيث فعل الشر مع كل مخلوق اينما حل كالحية والعقرب يلدغان من غير سبب نسأل الله السلامة آمين ـ وأما علاجه فيكون بمقابلة الأرواح الشريفة العلوية الخيرة لتلك الأرواح الخبيثة فتدافع آثارها وتعارضها فتبطلها وعلى المريض أن يلجأ إلى ربه ويكثر من التعوذات السالفة فى كتاب الاذكار وأن يكثر من قول (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) .

وأما المعالج فانه يجب أن يكون قوى الايمان حسن التوكل على الله تعالى ويسلك فى طريق محاربته ما يراه قاهرا له فربما طرد المارد بمجرد الأمر كما حصل من النبى ﷺ فى الحديثين السالفين بقوله اخرج يا عدو الله وكما وقع من الامام احمد رضى الله عنه فأنه كان جالسا فى مسجده إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل فقال إن فى بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع وقد ارسلنى اليك لتدعو الله لها بالعافية فأعطاه الأمام احمد رضى الله عنه نعلين من خشب وقال اذهب الى دار امير المؤمنين واجلس عند رأس الجارية وقل للجنى قال لك احمد ايما أحب اليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذه النعل سبعين فذهب الرجل ومعه النعل الى الجارية وجلس عند رأسها وقال كما قال له الامام احمد فقال المارد على لسان الجارية السمع والطاعة لأحمد لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه انه أطاع الله ومن اطاع الله اطاعه كل شىء ثم خرج من الجارية فهدأت ورزقت أولادا فلما مات الامام عادلها المارد فاستدعى لها الأمير صاحبا من أصحاب احمد فحضر ومعه ذلك

النعل وقال للمارد اخرج وإلا ضربتك بهذه النعل فقال المارد لا اطيعك ولا اخرج اما احمد بن حنبل فانه اطاع الله فأمرنا بطاعته) انتهى من أكام المرجان بتصرف وكان خيار العلماء رضى الله عنهم يعالج بآية الكرسى والمعوذتين وآية (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) وبعضهم كان يعالج بالبسملة والفاتحة ويظهر ان اقواها تأثيرا آية الكرسى لقول الجنية لأبى أيوب الانصارى السابق فى فضل آية الكرسى اقرأ آية الكرسى فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره ويمكن العلاج بتلاوة الآيات التى وردت فى فضلها الأحاديث وهى الفاتحة وآية الكرسى وأواخر سورة البقرة وقل اللهم مالك الملك الآيتان ولقد جاءكم رسول من أنفسكم الآيتان ولو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر سورة الحشر وسورة الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتان والمدار على قوة العزيمة من المعالج والالتجاء وحسن التوكل على الله تعالى فانه وحده هو الشافى نسأل الله كمال الايمان وتمام الشفاء آمين) انتهى المنقول من غاية المأمول شرح التاج الجامع للاصول .

تعليق قلت ما جاء فى الحديث الشريف المتقدم من أن الطاعون سببه وخز الجن يتعارض مع ما قرره الأطباء قديما وحديثا أما قديما فقد قرروا وعلى رأسهم أبو على بن سينا أن الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث فى المواضع الرخوه والمغابن من البدن وأغلب ما يكون تحت الابط أوخلف الأذن أوعند الأرنبة وأن سببه دم ردىء مائل إلى العفونة والفساد ويستحيل إلى جوهر سمى يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدى الى القلب كيفية رديئة فيحدث القىء والغثيان والغشى والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان اضعف بالطبع واردؤه ما يقع فى الأعضاء الرئيسية والأسود منه قل من يسلم منه واسلمه الأحمر ثم الأصفر وأما حديثا فقد قرروا أن الطاعون مرض يصيب الانسان وبعض الحيوان وهو على ثلاثة أشكال فى الانسان :- (١) الطاعون التسممى الحاد (٢) الطاعون الرئوى (٣) الطاعون الدملى وأنه يتميز بحمى مرتفعة تنتهى بالهلاك غالبا

وباعراض تختلف حسب شكله وأنه ينشأ عن ميكروب خاص ويصيب الأشخاص سواء كانوا صغارا أم كبارا ذكورا أم اناثا ويحدث فى الحيوان بالشكل التسممى ويوجد ميكروبه فى الدم بعد العدوى بزمن قصير وتنتقل العدوى بالبراغيث التى تمص الدم ومن هنا إذا تركت البراغيث جرذامات بالطاعون وكانت هذه البراغيث من النوع الذى يأوى إلى الانسان فربما تذهب اليه وتعديه (راجع كتاب الأمراض المعدية للدكتور محمد بك عبد الحميد ص ١٤٧) وراجع أيضا (كتاب التدبير العام فى الصحة والمرض للدكتور محمد بك رشدى حكيمباشى محافظة مصر ص ١٨٨ وما بعدها) ـ والجواب عن ذلك هو ما قاله الامام ابن حجر رحمه الله (وكون الطاعون من طعن الجن لايخالف ما قاله الأطباء من كونه ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه لأنه يجوز أن يكون ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة فتحدث منها المادة السمية فيهيج الدم بسببها أو ينصب وانما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يدرك بالعقل وانما يعرف من الشارع فتكلموا فى ذلك على ما اقتضته قواعدهم وقال الكلاباذى فى معانى الأخبار يحتمل أن يكون الطاعون على قسمين قسم يحصل من غلبة بعض الاخلاط من دم أو صفراء محترقة أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن كما تقع الجراحات من القروح التى تخرج فى البدن من غلبة بعض الاخلاط وان لم يكن هناك طعن وتقع الجراحات أيضا من طعن الانس وان مما يؤيد أن الطاعون انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا فى أعدل الفصول وفى أصح البلاد هواء وأطيبها ماء ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد ولا يتجاوزه ولأن فساد الهواء يقتضى تغير الاخلاط وكثرة الأسقام وهذا فى الغالب يقتل بلا مرض فدل على أنه من طعن الجن كما ثبت فى الأحاديث الواردة فى ذلك) .

الفصل السابع — فى بيان تعرض الشيطان للانبياء عليهم السلام

وبيان فرار الشيطان من عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وصرعه اياه

— وفى بيان مكايد الشياطين وكيفية التخلص منهم وبعض حكايات تناست المقام — روى الامام مالك فى الموطأ من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (رأيت ليلة أسرى بى عفريتا من الجن يطلبنى بشعلة نار كلما التفت رأيته فقال جبريل إلا اعلمك كلمات تقولهن فتنطفى شعلته ويخر لفيه قال رسول الله ﷺ بلى فقال جبريل قل (أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن) وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء قال (قام رسول الله ﷺ يصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله وبسط يده ثلاثا كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى فى وجهى فقلت أعوذ بالله ثلاث مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة) وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (إن الشيطان عرض لى فشد على ليقطع الصلاة على فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرده الله خاسئا) وقد روى النسائى على شرط البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ (كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس) وقيل إن عيسى عليه السلام كان يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس فقال انت الذى تزعم أن كل شىء بقضاء وقدر قال نعم قال الق بنفسك من الجبل وقل قدر على قال يا لعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله

عز وجل وسمع سفيان بن عينيه يقول (لقى عيسى عليه السلام ابليس فقال له ابليس انت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت فى المهد صبيا ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية والعظمة للأله الذى انطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى قال فانت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تحيي الموتى قال بل الربوبية لله الذى يميتنى ويميت من أحييت ثم يحيينى قال والله انك لأله فى السماء وإله فى الأرض قال فصكه جبريل عليه السلام بجناحه صكة فما تناهى دون قرن الشمس ثم صكه أخرى فما تناهى دون العين الحامية ثم صكه الثالثة فادخله بحار السابعة فاساحه فيها حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول ما لقى أحد من أحد ما لقيت منك يا بن مريم) وتبدى ابليس ليحيي بن زكريا عليهما السلام فقال انى أريد أن انصحك قال كذبت انت لا تنصحنى ولكن صف لى بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة أصناف (الصنف الأول) هم أشـــد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك الصنف فى عناء (الصنف الثانى) فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنـــا وقد كفونا أنفسهم (الصنف الثالث) معصومون مثلك لا نقدر منهم على شيء فقال يحي عليه السلام هل قدرت منى على شيء قال لا إلا مرة واحدة فانك قدمت على طعام فلم ازل اشهيه لك حتى أكلت منه اكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها فقال يحي عليه السلام لا جرم لا شبعت من طعـام أبدا قال الشيطان لا جرم لانصحت آدميا بعدك - وقيل إن يحي بن زكـريا عليهما السلام لقى ابليس فى صورته فقال له يا ابليس أخبرنى ما أحب الناس اليك وما أبغضهم قال أحب الناس إلى المؤمن البخيل وأبغضهم إلى الفاسق السخى قال يحي وكيف ذلك قال لأن البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف أن يطلع الله عليه فى سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحي لم اخبرك وروى أن الشيطان قال يا رب سلطنى على أيوب قال الله تعالى قد

سلطتك على ماله وولده ولم اسلطك على جسده فجمع ابليس جنوده وقال لهم قد سلطت على أيوب فارونى سلطانكم فصاروا نيرانا وبينما هم فى الشرق إذا هم بالغرب والعكس بالعكس فأرسل طائفة منهم إلى زرعه وطائفة إلى إبله وطائفة إلى بقره وطائفة إلى غنمه وقال انه لا يعتصم منكم إلا بالصبر فأتوه بالمصائب بعضها فوق بعض ففعلوا كما أمرهم ابليس فجاء صاحب الزرع إلى أيوب عليه السلام وقال له ألم تر الى ربك كيف ارسل على زرعك نارا فاحرقته ثم جاءه صاحب الأبل فقال له الم تر الى ربك كيف ارسل الى ابلك عدوا فذهب بها ثم جاءه صاحب البقر وصاحب الغنم فقالا له مثل ذلك وتفرد ابليس بنفسه لبنيه فجمعهم فى بيت اكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت الريح فأخذت بأركان البيت فالقته عليهم ثم جاء ابليس فى صورة غلام فى أذنه قرطان قال يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك فى بيت اكبرهم فبينماهم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فالقته عليهم فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم بطعامهم وشرابهم فقال له أيوب عليه السلام وأين كنت أنت قال كنت معهم قال وكيف انفلت قال انفلت . . . قال أيوب أنت الشيطان ثم قام أيوب عليه السلام فحلق رأسه ثم صلى فرن ابليس رنة سمعها أهل السموات وأهل الأرض ثم واجه السماء وقال أيا ربى إن أيوب اعتصم فسلطنى عليه فانى لا استطيعه إلا بسلطانك قال قد سلطتك على جسده ولم اسلطك على قلبه فنفخ ابليس تحت قدمى أيوب عليه السلام نفخة فرج ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة يئن منها وكان ابليس يقول ما أصبت من أيوب شيئا افرح به إلا انى كنت اذا سمعت انينه علمت انى قد أوجعته وكان ذو الكفل عليه السلام نبيا مبعوثا بعد أبيه أيوب عليه السلام وكان قد تكفل بأنه لا يغضب وكان يقوم الليل ويصوم النهار فجاءه الشيطان يوما فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل (أى ينام فى الظهر) فضرب الشيطان الباب ضربا شديدا فقال من هذا فأجاب رجل له حاجة فأرسل معه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا أرضى

بهذا أيضا فخرج ذو الكفل بنفسه وأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق تركه وانفلت من بين يديه وذهب فسمى ذو الكفل لأنه كفل أن لا يغضب وتعرض الشيطان لموسى عليه السلام وقال له انت الذى اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليما وأنا من خلق الله قد اذنبت وأريد التوبة فاشفع لى عند ربك عز وجل حتى يتوب على فدعا موسى ربه فقيل له يا موسى قد قضيت حاجتك فلقى موسى عليه السلام ابليس فقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم والله يقبل توبتك فاستكبر وغضب وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى إن لك على حقا بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث اذكرنى حين تغضب فان وحي فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولك اليها ورسولها اليك فقال له موسى فماذا اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكبر عمله ونسى ذنوبه ثم قال له ابليس أحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به فانه ما عاهد الله أحد عهدا إلا وكنت صاحبه حتى أحول بينه وبين الوفاء به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها وإلا قمت بنفسى حتى أحول بين الوفاء بها ثم ولى ابليس بعد ذلك وهو يقول ويلاه ويلاه قد علم موسى ما يحذر به بنى آدم وروى بن عباس رضى الله عنهما أن أول ما دخل سفينة نوح عليه السلام من الطير الدره وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار وقد دخل ابليس متعلقا بذنب الحمار ولما ركب نوح عليه السلام السفينة رأى فيها شيخا لم يعرفه فقال له ما ادخلك قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك قال نوح اخرج يا عدو الله فقال له خمس أهلك بها الناس وسأحدثك منها بثلاث ولا أحدثك بالثنتين فاوحى الله الى نوح لا حاجة بك الى الثلاث مره يحدثك

بالثنتين فان بهما أهلك الناس هما الحسد وبالحسد لعن وجعل شيطانا رجيما والحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصاب حاجته منه بالحرص — روى البخارى ومسلم من حديث سعد بن أبى وقاص قال (استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه وفى رواية يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر ابتدرن الحجاب فأذن رسول الله ﷺ فدخل ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر اضحك الله سنك يا رسول الله بأبى أنت وأمى قال عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب قال فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ثم قال عمر أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ايه يا بن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك) وروى الترمذى والنسائى من حديث بريدة قال (خرج رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جويرية سوداء فقالت انى كنت نذرت إن ردك الله سالما اضرب بين يديك بالدف واتغنى فقال لها ان كنت نذرت فاضربى والا فلا فقالت نذرت فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحت استها وقعدت عليه فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب فلما دخلت أنت يا عمر القت الدف وجلست عليه) وروى ابن ابى الدنيا أن عبد الله قال (خرج رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فلقى الشيطان فاتخذا فاصطرعا فصرعه الذى من أصحاب رسول الله ﷺ فقال الشيطان ارسلنى أحدثك حديثا عجيبا يعجبك قال فأرسله قال فحدثنى قال لا قال فاتخذا الثانية فاصطرعا فصرعه الذى من اصحاب محمد ﷺ قال ارسلنى فلا حدثنك حديثا يعجبك فارسله فقال حدثنى فقال لا فاتخذا الثالثة فصرعه الذى من أصحاب محمد ﷺ ثم جلس على صدره

وأخذ بابهامه يلوكها فقال ارسلنى قال لا أرسلك حتى تحدثنى قال سورة البقرة فانه ليس فيها آية تقرأ فى وسط شياطين إلا تفرقوا ولا تقرأ فى بيت فيدخل ذلك البيت شيطان قالوا يا أبا عبد الرحمن فمن ذلك الرجل قال فمن ترونه إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) وروى نحوه أبو نعيم والله اعلم انتهى من آكام المرجان هذا ولما كان الشيطان اكبر عدو للانسان وسبق له أن أقسم فى أن يسعى جهده فى اغوائه وكفره بكل ما أوتى من قوة وحيلة فهو يعده بالفقر فيقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت ويأمره بالفحشاء وهى اسم جامع لكل سوء كالبخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات من قتل النفس بغير حق وارتكاب الزنا وشرب الخمر ولعب الميسر والسرقة وجميع المحرمات وإيثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبزر كل بليه كما يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وفى سورة المائدة (يا أيها الذين آمنو انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وفى سورة البقرة (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) وفى سورة فاطر (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وفى سورة الحجر (قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم اجمعين إلا عبادك المخلصين قال هذا صراط على مستقيم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك

من الغاوين وإن جهنم لموعدهم اجمعين) وفى سورة الاعراف (قال فبما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) — من ذلك يتبين بوضوح أن الشيطان أكبر عدو للانسان فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بتلك الآفات ومن سد عليه هذا الباب فأن الله تعالى يكرمه بأنواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على قلوب المتقين عند تجلى صفات الجلال والجمال فتملؤها نورا من نوره فيتحقق لهم أن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور وإذا فالواجب على كل مسلم عاقل أن يتخذ الشيطان عدوا له وأن يتحرز من فتنته وأن يحاربه بدوام ذكر الله تعالى وفى اسماء الله تعالى وذكره خاصية قمع الشياطين واذلالهم ودره شرورهم والخلاص منهم والسعيد الموفق من جعل له وردا يحافظ عليه من الاذكار والأدعية والاستعاذات وخصوصا مما وردت

به الأحاديث والآثار (وقد ذكرنا طرفا منها فى أواخر الباب الثانى فى تفسير سورة الناس) فهـــذه كلها من أقوى الأسلحة لمحاربة الشياطين واذلالهم واضعافهم بل واحراقهم واهلاكهم .

حكايات تناسب المقام

(١) جاء فى كتاب أحوال الجن أن رجلا سافر وترك زوجته ولما عاد اليها لم تستقبله استقبال من غاب عنها طويلا فلما عاتبها فى ذلك انكرت سفره وغيابه ثم ظهر له فى الحال شيطان وقال انى رجل من الجن عشقت تلك المرأة وكنت اتهيأ فى صورتك فاختر لنفسك الوقت الذى يروقك فاختار الرجل أن يكون له الليل فلما انقضت مدة على ذلك جاءه الجنى ليلا ودعاه إلى الذهاب لاستراق السمع وحمله على ظهره وصعد به حتى لصق بالسماء فسمع قائلا يقول (لا حول ولا قوة إلا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) فهوى به وراء العمران وأدرك الرجل ان هذه الكلمات تطرده فلما كان فى الليلة التالية أكثر من تلاوتها فظهر الجنى واضطرب ثم احترق وصار رمادا

(٢) وروى عن الحسن أنه قال (كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء انسان اليها فقال لاقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه الشيطان فى صورة انسان فقال ما تريد قال أريد أن أقطع هذة الشجرة التى تعبد من دون الله قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لاقطعنها فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لاتقطعها وانا أضع لك دينارين كل يوم عنـد وسادتك فرجع ولم يقطعها وفى الصباح وجد دينـارين عند وسادته وفى اليوم الثانى لم يجد الدينارين فقام غاضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته فقال ما تريد قال اريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله قال كذبت ما لك إلى ذلك سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله قال اتدرى من أنا أنا الشيطان جئت أول مرة غاضبا لله فلم يكن لى عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غاضبا للدينارين سلطت عليك) .

(٣) قصة برصيصا

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) انه كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أحد منكم يكفينى برصيصا فقال له الأبيض وهو صاحب الأنبياء عليهم السلام وهو الذى قصد النبى ﷺ وجاءه فى صورة جبريل عليه السلام ليوسوس اليه على وجه الوحى فدفعه جبريل عليه السلام إلى أقصى أرض الهند فقال الأبيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين زينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته إلا فى كل عشرة أيام ولا يفطر فى عشرة أيام الا مرة واحدة فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله تدبر فى نفسه حين لم يجبه فقال له انى كنت مشتغلا عنك فما حاجتك فقال حاجتى التى أحب أن أكون معك فأتادب بك واقتبس من علمك نجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك فقال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله تعالى سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك قال حاجتى أن تأذن لى فارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما ولا ينفتل عن صلاته الا فى كل أربعين يوما مرة وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك أشد اجتهادا مما أرى

وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذى رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الأبيض ان عندى دعوات اعلمها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفى الله تعالى بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انى اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا فانى أخاف إن علم به الناس يشغلونى عن عبادة الله تعالى فلم يزل به الأبيض حتى علمه تلك الدعوات ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال وانطلق الابيض فتعرض لرجل حتى خنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله أبصاحبكم جنون فاعالجه قالوا نعم فقال لهم انى لا أقوى على جنيته ولكن سارشدكم إلى من يدعو الله لكم فيعافيه انطلقوا إلى برصيصا فان عنده الاسم الذى إذا دعا الله به أجاب فانطلقوا اليه فسألوه عن ذلك فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل بين ثلاث أخوات وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بنى اسرائيل فعذبها الابيض وخنقها ثم جاء اليهم فى صورة رجل متطبب فقال لهم أفاعالجها قالوا نعم قال ان الذى عرض عليها ما رد لا يطاق ولكن سارشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا انها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابنوا لها صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها وإلا تضعونها فى صومعته ثم قولوا له هى أمانة عندك فاحتسب الله تعالى فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ووضعوا الجارية فى صومعته وقالوا له هذه أختنا فاحتسب الله تعالى فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فسقط فى يده ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته ثم جاءها الشيطان فخنقها وكانت تتكشف عن نفسها فجاء الشيطان

وقال واقعهـا وتتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل فقتلها ودفنها فى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فاخذ بطرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا إلى صومعته فاقبل على صلاته إذ جاء اخوتها يتعهـدون أختهم وكانوا يجيئون فارط الأيام ليسألونه عنها ويوصونه بها قالوا يا برصيصا مافعلت باختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك إن برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا فقال الأخ هذا حلم من عمل الشيطان وبرصيصا خير من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط له مثل ما قال الأكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخوته والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط وأنا والله لقد رأيت مثله وقال الأكبر وأنا والله رأيت مثـله فانطلقوا إلى برصيصا وقالوا ما فعلت بأختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم تتهمونى قالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها المدفونة فى موضع كذا وإن طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى النوم فمشوا الى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته وانزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الأبيض وقال يا برصيصا أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمك الدعوات فاستجيب لك ويلك أما اتقيت الله فى الأمانة خنت أهلها وزعمت انك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك ففضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح

أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى انجيك مما أنت فيه وآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال افعل فسجد له قال يا برصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين يقول الله تعالى (فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) .

(٤) قصة جريج

وفى الحديث الشريف عن النبى ﷺ (كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعته وكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال أى بقلبه أى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال أى رب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان فى الغد أتته فقالت يا جريج فقال أى رب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنوا اسرائيل جريجا وعبادته وكانت فيهم امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال أى النبى ﷺ فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاءوا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك فقال فلان الراعى قال أى النبى ﷺ فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا)

(٥) قصة أبى عبد الله الأندلسى

حكى الشبلى أنه كان بمدينة بغداد شيخ يعرف بابى عبد الله الأندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين إلى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى

فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا إلى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس بها شمامسة وقساوسة ورهبان وهم يعبدون الأصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا إلى بئر فى آخر القرية وإذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية قال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام ولم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال يا قوم إعلموا أن الجارية التى رأيتها بالأمس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر افارق هذه الأرض قال الشبلى فقلت له يا سيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنى عشر ألفا فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت عنى عرا الولاية وطويت عنى أعلام الهدايه ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فاتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل إنه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا إنه خطب الجارية من أبيها فأبى أن

يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه وإذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه وإذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكىء على العصا التي كان يتوكأ عليها إذا قام إلى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأحبابي ليس لي من الأمر شيء سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد ابعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة احبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ونادى يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان أكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين ايديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم إن الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت راعي القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء) والثانية قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) .

فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله ﷺ فهل تحفظ منها شيئا فقال حديثا واحدا وهو قوله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك

علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم عنى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان هذا الطائر هو الإيمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون الفا وأقام على ذلك مدة طويلة ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح وإذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم إن الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى هنا قالت يا سيدى لما وليت عن قريتنا جاء من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان احببت ان تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الأصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال أغمضى عينيك واعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتها فاذا أنا بشاطىء دجلة فقال إمضى الى تلك الزاوية واقرأى الشيخ منى السلام وقولى له إن أخاك الخضر يسلم عليك فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى هنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى

يوم القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حورية وأول من تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس — فى الكلام على الأولياء واثبات كراماتهم

انكر المعتزلة ومن على شاكلتهم خصوصا من شبان هذا الزمان ثبوت الكرامات للأولياء فلم نجد بدا من تخصيص باب فى هذا الكتاب لاثباتها وهو مذهب أهل السنة والجماعة فنقول وبالله التوفيق

تعريف الولى — اما أن يكون فعيلا مبالغه من الفاعل كالعليم والقدير فيكون معناه (من توالت طاعاته من غير تخلل معصية) واما أن يكون فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح فيكون معناه (هو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالى عن كل أنواع المعاصى ويديم توفيقه على الطاعات) — ثم اعلم ان هذا الاسم مأخوذ من قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) وقوله تعالى (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وقوله تعالى (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) وقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله) والولى فى اللغة هو القريب فإذا كان العبد قريبا من حضرة الله تعالى بسبب كثرة طاعاته وكثرة اخلاصه وكان الرب قريبا منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية وقال السعد فى شرح العقائد (الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته حسبما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات فبالانهماك خرج تناول اللذات والشهوات من غير انهماك فيها وفى تحصيلها بأن كان لا يمنع نفسه من تناولها إذا تيسرت له بلا تكلف منه وكانت حلالا له) .

والكرامة (هى أمر خارق للعادة غير مقترن بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي من الأنبياء عليهم السلام مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح) فامتازت بعدم الاقتران بالتحدى عن المعجزة وبكونها على ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهى الخارق الظاهر على أيدى عوام المسلمين تخلصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراج وبمتابعة نبي قبله عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة فى بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا وفى شرح مقاصد المقاصد للدلجى قال (وليس انكار الكرامة من أهل البدع بعجيب إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب السيئات فوقعوا فى أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم جاهلين كون هذا الأمر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة بل العجب من قول بعض فقهاء أهل السنة فيما يروى عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه رؤى بالبصرة وبمكة يوم التروية أن من اعتقد جوازه كفر والانصاف ما قاله النسفى وقد سئل عما قيل ان الكعبة كانت تزور أحد الأولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة من الزمان وقد رتب على ذلك الفقهاء الحنفية والشافعية كثيرا من المسائل الشرعية قال فى فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولا يعتبر امكان الدخول بل النكاح قائم مقامه كما فى تزوج المشرقى مغربية والحق أن التصور شرط ولذا لو جاءت امرأة الصبى بولد لا يثبت نسبه والتصور ثابت فى المغربية لثبوت كرامات الأولياء والاستخدامات فيكون صاحب خطوة أو جنى وذكر ابن حجر الهيتمى الشافعى فى الفتاوى الحديثة أنه إذا غربت عليه الشمس فى بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد ما صلى المغرب

فى البلد الأول لا يلزمه اعادتها) واعلم أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا إن كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم فالسكون فى مجارى أقداره اليق بالأدب

﴿ الأدلة على اثبات كرامات الأولياء ﴾

اعلم أن كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة والآثار وهى أدلة نقلية وهناك غير هذه أدلة عقلية ولبيان هذه الأدلة نقول : — أما الكتاب فقوله تعالى (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) وقوله تعالى (وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا) وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى كتب التفسير وقوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله) وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء وكذلك ما ورد فى القرآن الكريم من الهام أم موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى أمرها ماهو معروف وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر رضوان الله تعالى عليه مع موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وكذلك قصة ذى القرنين رضوان الله تعالى عليه وتمكين الله تعالى له ما لم يمكنه لغيره وكذلك قصة أصحاب الكهف رضى الله تعالى عنهم والأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك وكذلك قصة آصف بن برخيا رضى الله تعالى عنه مع سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى عرش بلقيس فى قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء بل أولياء

وأما الأدلة من السنة : — فاولا : ما أخرج فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لم يتكلم فى المهـــد إلا ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وصبى فى زمن جريج الناسك وصبى آخر أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابدا ببنى اسرائيل وكانت له أم الى آخر ما ورد من قصته التى ذكرناها مفصلة فى أواخر الباب السابق وأما الصبى الآخر فان امرأة كان معها صبى لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لا تجعلنى مثله ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقال الصبى اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك فقال ان الشاب جبار من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وأن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله و (ثانيا) خبر الغار وهو حديث متفق عليه فى الصحيحين عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم باب الغار فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما فناما فى ظل شجرة يوما فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن اغبق قبلهما فقمت والقدح فى يدى انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر كانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة من السنين فجاءتنى فاعطيتها مالا عظيما على أن تخلى بينى وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا يجوز لك أن تفك الخاتم الا بحقه فخرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون

الخروج منها قال رسول الله ﷺ ثم قال الثالث اللهم انى استأجرت اجراء فاعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين وقال يا عبد الله أدلى أجرتى فقلت له كل ما ترى من أجرتك من الابل والغنم والرقيق فقال يا عبد الله اتهزأ بى فقلت انى لا استهزىء بك فأخذ ذلك كله اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون) وهذا حديث صحيح متفق عليه فى البخارى ومسلم و (ثالثا) قوله ﷺ (رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره) ولم يفرق بين شىء وشىء مما يقسم به على الله و (رابعا) روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه البقرة فقالت انى لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبى ﷺ آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر) و (خامسا) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (بينا رجل يسمع رعداً أو صوتا فى السحاب أن اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فإذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان بن فلان قلت فما تصنع بحديقتك هذه إذا حرثتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لأنى سمعت صوتا فى السحاب أن اسق حديقة فلان قال أما إذ قلت فانى اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسى وأهلى ثلثا واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا) و (سادسا) ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ان الله تبارك وتعالى قال من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته ولان استعاذ بى لاعيذنه) روى استعاذنى واستعاذ بى بالنون والباء

وأما الأدلة من الآثار فلنبدأ بما نقل أنه ظهر عن الخلفاء الراشدين من

الكرامات ثم بما ظهر عن بعض الصحابة وغيرهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين وامدنا من أسرارهم ونفحاتهم آمين .

(١) سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : — من كراماته ما أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما أن أبا بكر جاء بثلاثة يعنى أضيافا وذهب يتعشى عند النبى ﷺ ثم لبث مدة فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله فقالت له امرأته ما حبسك عن أضيافك قال أو ما عشيتهم قالت أبوا حتى تجىء قال والله لا أطعمه أبدا ثم قال كلوا فقال قائلهم وايم الله ما كنا نأخذه من لقمة الاربا من اسفلها أكثر منها فشبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل فنظر اليها أبو بكر فاذا هى كما هى وأكثر فقال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت لا وقرة عينى لهى الآن أكثر مما كانت عليه قبل ذلك بثلاث مرات فاكل منها أبو بكر وقال انما كان ذلك من الشيطان يعنى يمينه ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فاصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل فتفرقنا اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم ناس الله اعلم كم مع كل رجل غير انه بعثهم فأكلوا منها اجمعون وصح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنيه ما من الناس أحب إلى غنى بعدى منك ولا أعز فقر ابعدى منك وإنى كنت قد نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت حزتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وانما هما اخواك واختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هى اسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر رضى الله عنه ذو بطن اراها جارية فكان ذلك قال التاج السبكى وفيه كرامتان لأبى بكر رضى الله عنه احداهما اخباره انه يموت فى ذلك المرض حيث قال وانما هو اليوم مال وارث والثانية إخباره بمولود يولد له وهو جارية والسر فى اظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضى الله عنها فى استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه واعلامها بمقدار ما يخصها لتكون على ثقة فاخبرها بأنه مال وارث وان

معها اخوين واختين ويدل على انه قصد استطابة قلبها ما مهده أولا من أنه لا أحدا حب اليه غنى بعده منها وقوله انما هما أخواك وأختاك أى ليس ثم غريب ولا ذو قرابة نائيه وفى هذا من الترفق ما لا يخفى فرضى الله عنه وأرضاه وذكر الفخر الرازى فى تفسير سورة الكهف أن من كراماته انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي ﷺ ونودى السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر بالباب فاذا الباب قد انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب إلى الحبيب

(٢) سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هو الذى قال فيه النبي ﷺ (لقد كان فيمن قبلكم محدثون فان يك فى أمتى أحد فانه عمر) من كراماته قصة سارية بن زنيم الخلجى كان عمر رضى الله عنه قد أمر سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه على بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحصرها وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضى الله عنه بالمدينة فصعد المنبر وخطب ثم استغاث فى اثناء خطبته بأعلى صوته (يا سارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه اجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر فلجئوا الى الجبل وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا هذا ملخصها قال التاج السبكى رحمه الله وسمعت الشيخ الامام الوالد يعنى أباه تقى الدين السبكى رحمه الله يزيد فيها أن عليا رضى الله عنه كان حاضرا بالمسجد فقيل له ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين واين سارية منا الآن فقال على كرم الله وجهه دعوه فما دخل فى أمر إلا وخرج منه ثم تبين الحال بالآخرة قال التاج قلت عمر رضى الله عنه لم يقصد اظهار هذه الكرامة وانما كشف له ورأى القوم عيانا وكان كمن هو بين اظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند فخاطب اميرهم خطاب من هو معه إذ هو معه حقيقة أو كمن هو معه ومنها قصة الزلزلة قال امام الحرمين رضى الله عنه فى كتابه الشامل إن الأرض زلزلت فى زمن عمر رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه والأرض ترجف وترتج ثم ضربها بالدرة وقال قرى ألم أعدل عليك فاستقرت من

وقتها قال وكان عمر رضى الله عنه امير المؤمنين على الحقيقة فى الظاهر والباطن وخليفة الله فى أرضه وفى ساكنى أرضه فهو يعزر الأرض ويؤدبها بما يصدر منها كما يعزر ساكنيها على خطيئاتهم ويقرب من قصة الزلزلة قصة النيل وذلك أن النيل كان فى الجاهليـــة لا يجرى حتى يلقى فيه عذراء فى كل عام فلما جاء الاسلام وجاء وقت جريان النيـــل فلم يجر اتى اهل مصر عمرو بن العاص واخبروه أن لنيلهم سنة وهو لا يجرى حتى يلقى فيه جارية بكر بين أبويها ويجعل عليها من الثياب والحلل افضل ما يكون فقال لهم عمرو بن العاص رضى الله عنه إن هذا لا يكون وأرى الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا ثلاثة اشهر لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر قد أصبت إن الاسلام يهدم ما قبله وقد بعثت اليك بطاقة فالقها فى النيل ففتح عمرو البطاقة قبل القائها فاذا فيها (من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك) فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب وقد تهيـــأ أهل مصر للجلاء والخروج منها فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة ومنها أن النار وقعت فى بعض دور المدينة فكتب عمر رضى الله عنه على خرقة (يا نار اسكنى باذن الله) فالقوها فى النار فانطفأت فى الحال ومنها أن رسول ملك الروم جاء الى عمر فطلب داره فظن أن داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو فى الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب إلى الصحراء رأى عمر رضى الله عنه قد وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فعجب الرسول من ذلك وقال إن أهل الشرق والغرب يخافون من هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال فى نفسه انى وجدته خاليا فاقتله واخلص الناس منه فلما رفع السيف اخرج الله تعالى من الأرض أسدين فقصداه فخاف والقى السيف من يده وانبته عمر ولم ير شيئا فسأله عن الحال فذكر له الواقعة واسلم ومنها ما أخرجه ابن عساكر عن يحيى بن ايوب الخزاعى قال سمعت أن عمر بن

الخطاب رضى الله تعالى عنه ذهب الى قبر شاب فناداه يا فلان ولمن خاف مقام ربه جنتان فأجابه الفتى من داخل القبر يا عمر قـــد أعطانيهما ربى فى الجنة مرتين — ومنها ما هو معلوم بالتواتر وهو انه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والتهويلات ساس الشرق والغرب وقلب الممالك والدول ولو نظرت فى كتب التاريخ علمت أنه لم يتفق لأحد من أول عهد آدم إلى الآن ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات .

(٣) سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه : من كراماته ما ذكره التاج السبكى فى الطبقات انه دخل اليه رجل كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها فقال له عثمان رضى الله عنه يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنا فقال أوحى بعد رسول الله ﷺ قال لا ولكنها فراسة المؤمن وانما اظهر عثمان رضى الله عنه هذا تأديبا لهذا الرجل وزجرا له عن شىء صنعه قال رحمه الله واعلم أن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله فلا يقع بصره على كدر أوصاف الا عرفه ثم تختلف المقامات فمنهم من يعرف أن هناك كدرا ولا يدرى ما أصله ومنهم من يكون أعلى من هذا المقام فيدرى أصله كما اتفق لعثمان رضى الله عنه فان تأمل الرجل للمرأة أورثه كدرا فأبصره عثمان وفهم سببه وهنا دقيقة وهى أن كل معصية لها كدر وتورث نكتة سوداء فى القلب بقدرها يكون رينا على ما قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) إلى أن يستحكم والعياذ بالله فيظلم القلب وتغلق أبواب النور فيطبع عليه فلا يبقى سبيل إلى توبته على ما قال تعالى (طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) إذا عرفت هذا فالصغيرة من المعاصى تورث كدرا صغيرا بقدرها قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفرات ولا يدركه إلا ذو بصر حاد كعثمان رضى الله عنه حيث أدرك هذا الكدر اليسير فان تأمل المرأة من أيسر الذنوب وأدركه عثمان وعرف أصله وهذا مقام عال يخضع له كثير من المقامات وإذا انضم الى الصغيره صغيره أخرى ازداد الكدر وإذا تكاثرت الذنوب بحيث

وصلت والعياذ بالله الى ما وصفنا من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كل ذى بصر فمن رأى متضمخا بالمعاصى قد اظلم قلبه ولا يتفرس فيه ذلك فليعلم انه انما لم يبصره لما عنده أيضا من العمى المانع للابصار والا فلو كان بصيرا لابصر هذا الظلام الداجى فبقدر بصره يبصر فافهم ما نتحفك به والله أعلم واخرج البارودى وابن السكن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال (قام جهجاه الغفارى الى عثمان رضى الله عنه وهو على المنبر فأخذ عصاه فكسرها فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله فى يده الأكلة فمات بها) وفى طبقات المناوى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال أتيت عثمان رضى الله عنه لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله ﷺ فى هذه الخوخة فقال يا عثمان حصروك قلت نعم فادلى لى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت وقال ان شئت نصرت وان شئت افطرت عندنا فاخترت أن افطر عندهم فقتل ذلك اليوم

(٤) سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه : من كراماته ما أخرجه البيهقى عن سعيد بن المسيب قال (دخلنا مقابر المدينة مع على رضى الله عنه فنادى يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله تخبرونا باخباركم أم نخبركم قال فسمعنا صوتا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين خبرنا عما كان بعدنا فقال على أما أزواجكم فقد تزوجن وأما اموالكم فقد اقتسمت وأما الأولاد فقد حشروا فى زمرة اليتامى وأما البناء الذى شيدتم فقد سكنه اعداؤكم فهذه أخبار ما عندنا فما أخبار ما عندكم فاجابه ميت قد تخرقت الاكفان وانتثرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود وسالت المناخر بالقيح والصديد وما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون) وقال التاج فى الطبقات روى أن عليا وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم سمعوا قائلا يقول فى جوف الليل :

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وانت يا حى يا قيوم لم تنم
هب لى بجودك فضل العفو عن زللى ... يا من اليه رجاء الخلق فى الحرم

ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال على رضى الله عنه لواحد اطلب لى هذا القائل فأتاه فقال أجب أمير المؤمنين فاقبل يجر شقه حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك فقال انى كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان وكان والدى يعظنى ويقول إن لله سطوات ونقمات وما هى من الظالمين ببعيد فلما ألح فى الموعظة ضربته فحلف ليدعون على ويأتى مكه مستغيثا إلى الله ففعل ودعا فلم يتم دعاؤه حتى جف شقى الأيمن فندمت على ما كان منى وداريته وأرضيته إلى أن ضمن لى انه يدعو لى حيث دعا على فقدمت اليه ناقته فاركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك فقال له على رضى الله عنه ان كان أبوك رضى عنك فقد رضى الله عنك فقال والله كذلك فقام على كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرها إلى الله عز وجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان ثم قال لولا انك حلفت أن أباك رضى عنك ما دعوت لك) وقال الفخر الرازى يروى أن واحدا من محبى على كرم الله وجهه سرق وكان عبدا أسود فأتى به الى على فقال اسرقت قال نعم فقطع يده فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك فقال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه فقال ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء إرفع الرداء عن اليد فرفعناه فاذا اليد قد برأت باذن الله تعالى وجميل صنعه - وأخرج الملا فى سيرته انه ﷺ أرسل أباذر ينادى عليا فرأى رحى تطحن فى بيته وليس معها أحد فاخبر النبى ﷺ بذلك فقال يا أباذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين فى الأرض قد وكلوا بمعاونة آل محمد ﷺ

(٥) سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما : - قال المناوى فى الطبقات اخرج أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش أن رجلا تغوط على قبره فجن فجعل ينبح كالكلاب ثم مات فسمع من قبره يعوى .

(٨) سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما : روى عن ابن شهاب الزهرى قال لم يبق من قتلة الحسين أحد الا وعوقب فى الدنيا إما بالقتل أو بسواد الوجه أو بزوال الملك فى مدة يسيرة ومن كراماته أن عبدالله بن حصين ناداه وقت محاربتهم له ومنعهم الماء عنه يا حسين ألا تنظر إلى الماء كانه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين اللهم اقتله عطشا فكان ذلك الخبيث يشرب الماء ولا يروى حتى مات عطشا — ودعا الحسين بماء يشربه فرماه رجل يقال له وزعه بسهم فأصاب حنكه فحال بينه وبين الماء فقال الحسين رضى الله عنه اللهم اظمئه فكان ذلك الخبيث يصيح من الحرفى بطنه ومن البرد فى ظهره وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون ويقول اسقونى فيؤتى بالاناء العظيم فيه السويق والماء واللبن لو شربه خمسه لكفاهم فيشربه ويقول اسقونى اهلكنى العطش فيسقى كذلك إلى أن انقد بطنه كانقداد البعير — وسمع شيخ كبير ممن اعان على قتل الحسين رضى الله عنه أن كل من أعان على قتله لم يمت حتى يصيبه بلاء فقال انا ممن شهده وما أصابنى أمر أكرهه فقام إلى السراج ليصلحه فثارت النار فأصابته فجعل ينادى النار النار حتى مات .

(٧) سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه : — من كراماته مانقله المناوى فى طبقاته الكبرى عن القاضى أبى الطيب قال كنا فى حلقة المناظرة فجاء شاب خراسانى يسأل عن المصراه ويطلب الدليل فاحتج عليه بخبر الشيخين عن أبى هريرة فقال وكان أبو هريرة غير مقبول الحديث فما أتم كلامه حتى سقطت عليه حية فتفرق الناس هاربين فتبعت الشاب دون غيره فقال تبت تبت فلم ير لها أثرا (التحفيل والتصرية هى ان لا تحلب الشاة أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها للبيع والمحفلة والمصراة هى الشاة المتروكة دون حلب لهذا الغرض وقد نهى رسول الله ﷺ عن التصريه والتحفيل)

(٨) سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : اخرج ابن سعد عن الحسن قال (قال رسول الله ﷺ لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة)

وأخرج البيهقى عن الواقدى أن فاطمة الخزاعية قالت زرت قبر حمزة فقلت السلام عليك يا عم رسول فسمعت كلاما رد على وعليكم السلام ورحمة الله

(٩) سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه : اخرج أبو يعلى والبيهقى وأبو نعيم عن أبى السفر قال نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم لا تستقيكه الأعاجم فقال ائتونى به فأخذه بيده ثم التهمه وقال باسم الله فلم يضره شيئا وعن الكلبى قال لما أقبل خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر يريد الحيرة بعثوا اليه عبد المسيح ومعه سم ساعة فقال له خالد هاته فأخذه فى راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الأرض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء ثم اكل منه فانصرف عبد المسيح إلى قومه فقال يا قوم اكل سم ساعة فلم يضره صالحوهم فهذا أمر مصنوع لهم .

(١٠) سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : كان مستجاب الدعوة لأن النبى ﷺ دعا له بذلك فقد اخرج الترمذى والحاكم وصححه عن سعد أن النبى ﷺ قال (اللهم استجب لسعد إذا دعاك) فكان لا يدعو إلا استجيب وفى الحديث أيضا (اللهم استجب دعوته وسدد رميته) — اخرج الطبرانى وابن عساكر وأبو نعيم عن قبيصه بن جابر قال هجا رجل من المسلمين سعد بن أبى وقاص فقال سعد اللهم كف لسانه ويده عنى بما شئت فرمى ذلك الرجل يوم القادسية فقطع لسانه وقطعت يده فما تكلم كلمة حتى مات .. واخرج الحاكم عن قيس قال شتم رجل عليا فقال سعد اللهم إن هذا يشتم وليا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته فى تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات .

(١١) السيده زينب ام كلثوم : ابنة سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم اجمعين وهى زوجة سيدنا عمر رضى الله عنه قال ابن الحورانى فى كتاب الاشارات فى أماكن

الزيارات تزوجها عمر وأصدقها أربعين ألفـــا وولدت له زيدا الملقب بذى الهلالين ولم يبق لعمر منها عقب توفيت رضى الله عنها بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها الحسين رضى الله عنه ودفنت فى قرية يقـال لها راوية ثم سميت القرية باسمها وهى الآن المعروفة بقبر الست قال الشيخ العارف صاحب المعارف الالهية أبو بكر الموصلى زرتها مرة ومعى جماعة من أصحابى وكنت لا أدخل الى قبرها بل استقبله ونغض أبصارنا لما قرره العلماء من أن الزائر للميت يعامله بما كان يعامله حيا من الاحترام فبينما أنا فى البكاء والخشوع والخضوع إذ تراءت لى صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لم يقدر الانسان أن يملأ نظره منها احتراما فانحرفت وقالت يا بنى زادك الله احتراما وأدبا ألم تعلم أن جدى رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يزورون أم أيمن لكونها امرأة محترمة وبشر الأمة أن جدى وجميع أصحابه وذريته يحبون هذه الأمة إلا من خرج عن الطريق فانهم يبغضونه فلحقنى انزعاج من كلامها غيبنى فلما عدت إلى الحس لم أجدها فواظبت على زيارتها إلى يومنا هذا قال ابن الحورانى بعد ما ذكر قال ابن عساكر رحمة الله عليه غربى قبر السيدة زينب رضى الله عنها ضريح السيد مدرك الفزارى الصحابى انتهى وقد ترجمها رضى الله عنها ابن الأثير فى أسد الغابة وذكر انها ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ وانها تزوجت بعد عمر بابن عمها عون بن جعفر وذلك بأمر أبيها رضى الله عنه ثم توفيت هى وابنها زيد فى وقت واحد وصلى عليها عبد الله بن عمر بأمر أخيها الحسن رضى الله عنهم اجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين (كل ما تقدم مذكور بنصه فى كتاب جامع كرامات الأولياء للعلامة الفاضل الشيخ يوسف اسماعيل النبهانى) وجاء فى كتاب الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور للاديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب فواز المطبوع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١٢ ﻫ ما نصه (السيدة زينب بنت الأمام على كرم الله وجهه ابن ابى طالب وامها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهى شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذو الجناحين ابن ابى طالب

وولدت له عليا وعونا ويدعى بالأكبر وعباسا ومحمد وأم كلثوم إلى أن قالت في آخر الترجمة وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب رضى الله عنها مقامين احدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصا من أهل الشيعة والثاني بمصر وهو أشهر من الأول ولها أوقاف وايراد زائد من ديوان عموم الأوقاف المصرية ولها مسجد في مصر لم يوجد مثله قد ذكر أوصافه الأمير على باشا مبارك في خططه المسماه بالخطط التوفيقية ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوهين على محل وجودها) يستفاد مما تقدم نقله من كتابي جامع كرامات الأولياء والدر المنثور أن الرواة قد اختلفوا في ترجمة السيدة زينب بنت الامام على كرم الله وجهه وفيمن تزوجت بهم وهل توفيت رضى الله عنها بدمشق ودفنت بها أم إنها توفيت بمصر ودفنت بها أم إن لها مقامين احدهما بمصر وهو الأشهر والآخر بدمشق وكنت غير مطمئن لهذا الاختلاف في الروايات فكان الشك يلازمني ويحوك في صدري وكم تمنيت أن يكشف الله سبحانه وتعالى لي الحقيقة فاثبتها في كتابي هذا إلى أن عثرت بحمد الله وتوفيقه على رسالة صغيرة معنونة (السيدة زينب وأخبار الزينبات للعبيدلى النسابة المتوفى سنة ٢٧٧ هجرية امير المدينـــة وابن أميرها) وهو بحث مستفيض وأثر قيم وتاريخ جليل بقلم الاستاذ حسن محمد قاسم مؤلف كتاب المزارات المصرية المطبوع بدار الطباعة المنيرية بدرب الاتراك رقم ١ بحى الأزهر الشريف بالقاهرة سنة ١٣٥١ هجرية ومن رسالة العبيدلى النسابة المذكورة التي وردت بنصها في الكتاب المذكور تبينت الحقيقة واضحة وهي أن الاختلاف المذكور سببه ان الأمام على بن ابي طالب كرم الله وجهه كان له ثلاث بنات كل منهن اسمها زينب : —

الأولى : زينب الكبرى بنت الأمام على بن ابى طالب كرم الله وجهه وأمها السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهي شقيقة الحسن والحسين رضى الله عنهما ولدت في حياة جدها ﷺ وتزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر وقدمت مصر بعد مصرع أخيها الحسين رضى الله عنهما وخرج والى

مصر إذ ذاك مسلمة بن مخلد الانصارى هو وجماعة من أصحابه وأعيان مصر ووجهاتها للقائها فتلقوها فى قرية بين طريق مصر والشام شرقى بلبيس عرفت أخيرا بقرية العباسة نسبة للعباسة بنت احمد بن طولون ووافق دخولها إلى مصر فى أول شعبان سنة ٦١ هـ وكان قد مضى على الموقعة نحو ستة أشهر فانزلها هى ومن معها فى داره بالحمراء القصوى حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ترويحا لنفسها إذ كانت تشتكى انحرافا فأقامت بها حتى توفيت رضى الله عنها يوم الأحد ليلة الاثنين ١٤ رجب سنة ٦٢ هجرية وبعد تجهيزها وشهود جنازتها دفنت بمحل سكناها على العادة فى ذلك .

الثانية : زينب الوسطى بنت الأمام على ابن ابى طالب كرم الله وجهه دفينة الشام وهى التى نقلت ترجمتها من كتاب جامع كرامات الأولياء وأمها رضى الله عنها هى السيدة فاطمة الزهراء فهى أيضا شقيقة الحسن والحسين رضى الله عنهما وكناها جدها ﷺ بأم كلثوم ثم أطلق عليها الكبرى للتمييز بينها وبين اختها لابيها أم كلثوم الصغرى وزينب الوسطى هذه المكناة بام كلثوم الكبرى هى التى تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولما خطبها من أبيها على كرم الله وجهه قال له انها صغيرة فقال عمر زوجها لى يا أبا الحسن فانى أرصد من كرمها مالا يرصده أحد فقال له أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرد وقال لها قولى له هذا البرد الذى قلت لك عنه فقالت ذلك لعمر فقال لها قولى له قد رضيت رضى الله عنك ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت له مه أتفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم خرجت حتى جاءت أباها فاخبرته الخبر وقالت بعثتنى إلى شيخ سوء فقال يا ابنتى إنه زوجك ثم جاء عمر رضى الله عنه إلى مجلس المهاجرين بالروضة وكان يجلس فيه المهاجرون الأولون فجلس اليهم وقال رفئونى فقالوا بماذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن ابى طالب سمعت رسول الله ﷺ يقول كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة الا نسبى وصهرى فكان لى به عليه السلام النسب والسبب فأردت أن

أجمع اليهما الصهر فرفؤوه وعن زيد بن اسلم رضى الله عنه أنه أصدقها أربعين ألف درهم

الثالثة : زينب الصغرى بنت الأمام على بن ابى طالب كرم الله وجهه وأمها أم ولد فهى أخت الحسن والحسين رضى الله عنهما لأب تزوجت بابن عمها محمد بن عقيل ابن ابى طالب ماتت بالمدينة ودفنت بها رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم وأسرارهم آمين

(١٢) محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه: ـ المطلبى ابن عم رسول الله ﷺ ونسبه الشافعى إلى جده شافع أحد امراء الجيوش زمن رسول الله ﷺ فهو امام ائمة المجتهدين وقدوة العلماء العاملين وأوحد أكابر الأولياء العارفين وأحد أركان هذا الدين المبين وهو عالم قريش الذى ملأ طباق الأرض علما الوارد فى الحديث الشريف من كراماته أنه لما احتضر دخل عليه اصحابه فقال اما أنت يا أبا يعقوب فتموت فى قيودك وأما أنت يا مزنى فيكون لك بمصر هنات وهنات وأنت يا ابن عبدالحكم ترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهم لى فى نشر الكتب قم يا أبايعقوب فتسلم الحلقة فكان كما قال رحمه الله تعالى توفى سنة ٢٠٤ قاله المناوى ـ وقال ابن حجر فى التحفة هو امام الائمة علما وعملا وورعا وزهدا ومعرفة وذكاء وحفظا ونسبا وقد اجتمع له من تلك الأنواع وكثرة الاتباع وتقدم مذهبه فى الحرمين والأرض المقدسة ما لم يجتمع لغيره وهذا هو حكمة تخصيصه فى الحديث المعمول به فى مثل ذلك وزعم وضعه حسد أو غلط فاحش وهو قوله ﷺ (عالم قريش يملأ طباق الأرض علما) قال احمد وغيره من ائمة الحديث والفقه نراه الشافعى أى لأنه لم يجتمع لقرشى من الشهرة فيما ذكر ما اجتمع له فلم ينزل الحديث الا عليه وكاشف أصحابه بوقائع وقعت بعد موته كما اخبر ورأى النبى ﷺ وقد أعطاه ميزانا فاولت له بان مذهبه اعدل المذاهب وأوفقها للسنة الغراء التى هى اعدل الملل واوفقها للحكمة العلمية والعملية ولد بغزة على الاصح سنة ١٥٠ ثم اجيز بالافتاء وهو ابن نحو خمس عشرة سنة

ثم رحل لمالك فاقام عنده مدة ثم لبغداد ثم لمصر فأقام بها كهفا لأهلها إلى أن تقطب ومن الخوارق التى لم يقع نظيرها لمجتهد غيره استنباطه وتحريره لمذهبه الجديد على سعته المفرطة فى نحو أربع سنين وتوفى سنة ٢٠٤ بها وأريد بعد أزمنة نقله منها لبغداد فظهر من قبره لما فتح روائح طيبة عطلت الحاضرين عن احساسهم فتركوه وقد أكثر الناس التصانيف فى ترجمته حتى بلغت نحو أربعين مصنفا انتهى باختصار وقدم إلى مصر رجل ضرير من بلده النائية بقصد زيارة قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه فلما دخل القبة التى بها القبر ووصف له المكان ووصفت له القبة الصغيرة التى كانت معلقة قال على البديهة هذين البيتين :

أتيت لقبر الشافعى أزوره ... فعارضنى فلك وما عنده بحر

فقلت تعالى الله تلك اشارة ... إلى أن هذا البحر قد ضمه القبر

وكان رحمة الله عليه يختم القرآن فى كل يوم مرة وكان يختمه فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وكان رضى الله عنه يقول ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وكان يقول ما حلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولا صادقا وسئل رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له لم لا تجيب فقال حتى أعلم الفضل فى سكوتى أو فى جوابى وقرأ الموطأ على الامام مالك رضى الله عنه ثم قرأه عليه حفظا فدعا له وسر بذلك وكان يقول من ادعى أنه جمع بين الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وكان رحمة الله تعالى آية من آيات الله فى الكرم والسخاء سقط يوما سوطه من يده وهو راكب فدفعه اليه انسان فأعطاه خمسين دينارا وروى عنه أنه خاط قميصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقا لا تخرج منه يده الا بجهد والكم الآخر واسعا جدا فلما جاء الشافعى ورآه قال جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب وكان

رسول الخليفة قد جاءه بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال ادفعها اليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته فى تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الامام الشافعى فتبعه وقبل أقدامه واعتذر اليه ثم خدمه وصار من أصحابه وقال الربيع تزوجت فسألنى الشافعى كم أصدقتها فقلت ثلاثين دينارا قال كم أعطيتها قلت ستة دنانير فأرسل إلى بصرة فيها أربعة وعشرين دينارا وجعل لى معلوما على الآذان بالجامع وقال رحمه الله اظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوى الفضل وقرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فتغير لونه واقشعر جلده واضطربت مفاصله وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال (أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك نفوس المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تقصيرى بكرمك) وكان يقول (وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب الى منه شىء) وقال الإمام احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعى وقال له ابنه يوما يا أبت أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال الامام احمد يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يا بنى هل لهذين خلف وقال هرون بن سعيد بن الهيثم ما رأيت مثل الشافعى قط فما رأيت احسن منه وجها ولا احسن صلاة ولا احسن منطقا منه وكان يتكلم فى الحقيقة ايضا وفى الزهد وفى اسرار القلوب وسمع رحمه الله سحرا فى المسجد يدعو بهذه الدعوات بعد الفراغ من صلاته (اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل ما يقربنا اليك مقرونا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين) وقيل إن الامام الشافعى رضى الله عنه كان يقطع الليل بوظائف العلوم والأذكار ويجول فى روض الحقائق والأسرار ويتنزه فى حدائق لطائف الأفكار فاذا هبت عليه نسمات الأسحار اضطرب

كونه وتغير لونه وهاج وجده ولحقه حال لا يدركه إلا أرباب الأحوال فسئل عن ذلك فقال لو تنشقون فى السحر ما انشق لشغلتم عن دنياكم ولهدتم لأخراكم رحمه الله تعالى ونفعنا بأسراره وبركاته آمين

(١٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت :- الامام الأعظم أمام الائمه وسراج الأمة أحد الأربعة الذين على مذاهبهم عمل جمهور الأمة المحمدية من عصورهم الى الآن رضى الله عنهم قال ابن الجوزى دعا المنصور أبا حنيفه والثورى ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة رضى الله عنه اخمن فيكم تخمينا أما أنا فأحتال وأتخلص وأما مسعر فيتحامق ويتخلص وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع وكان الأمر كما قال ويقال إن الحيلة التى تخلص بها أبو حنيفة هى أنه قال للمنصور أنا لا أصلح للقضاء فقال له المنصور إذا كنت أنت لا تصلح فمن يصلح فأجابه إما أن أكون صادقا فلا أصلح حقيقة وأما أن أكون كاذبا والكاذب لا يصلح للقضاء ومن مناقبه أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة وكان لا يجلس فى ظل جدار غريمه ويقول كل قرض جر نفعا فهو ربا وكان يسمع بكاؤه حتى يرحمه جيرانه وكان حسن السمت والوجه والثوب والنعل والمواساة لكل من طاف به ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقا سقطت فى حجره حية فقام الناس من حوله مذعورين فنفض الحية وهو مكانه لم يتغير روى انه رضى الله عنه كان يوما جالسا فى المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا يا ابا حنيفة نسألك عن مسئلتين فان اجبت نجوت والا قتلناك قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبى قالوا كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل باغمادها فى رقبتك فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب أحدهما رجل شرب الخمر فغص فمات سكرانا والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان والقوم الذين جاءوا يسألونه مذهبهم التكفير بذنب واحد فإن قال مؤمنان قتلوه فقال من أى فرقة كانا من اليهود قالوا لا قال من النصارى قالوا لا قال من المجوس قالوا لا قال من عبدة الأوثان قالوا لا قال ممن كانا قالوا من المسلمين قال قد أجبتم

قالوا وكيف قال قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين قالوا هما فى الجنة أو فى النار قال أقول فيهما ماقال ابراهيم خليل الرحمن ﷺ فى حق من هو شر منهما (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وأقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فتابوا واعتذروا اليه وكان رحمه الله يقول ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على العين والرأس وما جاءنا عن أصحابه أخذنا منه ولم نخرج عن عن قولهم وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وأما غير ذلك فلا نسمع ولقد بلغ من ورعه رضى الله عنه أن شاة سرقت فى عهده فلم يأكل لحم شاة مدة تعيش الشاة فيها وكان غاية فى الكرم والورع والزهد والخوف حدث القاسم بن معن أن أبا حنيفة قرأ هذه الآية (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئاً يقرأ ليلة فى المسجد إذا زلزلت الأرض زلزالها فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر ويقول تجزى بمثقال ذرة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته آمين

(١٤) الامام مالك بن أنس رضى الله عنه : — كان إمام دار الهجرة وسمى عالم المدينة واشتهر علمه وذاع فى الامصار وسائر الاقطار وضربت له اكباد الابل وارتحل الناس اليه من كل فج عاش نحو تسعين سنة ومكث يفتى الناس نحو سبعين سنة قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه ان الامام مالك عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه اليه البرمكى فقال له اقرئه منى السلام وقل له يحمل الى الكتاب فيقرؤه على فأتاه البرمكى فقال له اقرئه السلام وقل له ان العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتى فأتاه البرمكى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق انك وجهت إلى مالك بن أنس فى أمر فخالفك اعزم عليه فبينما هم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد يا ابن أبى عامر ابعث اليك فتخالفنى فقال مالك يا أمير المؤمنين اخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه

قال (كنت أكتب الوحى بين يدى النبى ﷺ فكتبت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) وكان ابن أم مكتوم عند النبى ﷺ فقال يارسول الله انى رجل ضرير وقد أنزل الله تعالى فى فضل الجهاد ما قد علمت فقال النبى ﷺ لا أدرى وقلمى رطب ما جف حتى ثقل فخذ النبى ﷺ على ثم أغمى على النبى ﷺ ثم جلس رسول الله ﷺ فقال يا زيد اكتب (غير أولى الضرر) يا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة من مسير خمسة آلاف عام الا ينبغى لى أن أعزه وأجله وإن الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع فلا تكن أنت أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك قال فقام الرشيد يمشى مع مالك الى منزله ليسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصه فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمالك تقرؤه على قال يا أمير المؤمنين ما قرأته على أحد منذ زمان قال الرشيد فتخرج الناس حتى اقرأه أنا عليك فقال ان العلم ان منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى الفزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهرون الرشيد يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هرون الرشيد عن المنصة وجلس بين يديه - ولما اشتهر بالعلم وانتشر صيته كانت تحمل اليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها فى وجوه الخير موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول (ليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب منه) وقال المثنى بن سعيد سمعت مالكا رضى الله عنه يقول ما بت ليلة الا رأيت النبى ﷺ فيها رضى الله تعالى عنه ورحمه رحمة واسعة.

(١٥) احمد بن حنبل رضى الله عنه: الامام الهمام أحد اعلام الاسلام من كراماته ما أخرجه الطبرانى أنه كان لرجل أم مقعدة نحو عشرين سنة فقالت له اذهب الى احمد وسله يدعو لى فأتاه فدق الباب فلم يفتح له وقال من هذا فقال أمى مقعدة وتسألك الدعاء فقال نحن أحوج أن تدعو لنا فرجع فوراً فجاءت له أمه على رجليها تمشى من ساعتها قال ابن أبى الورد

رأيت المصطفى ﷺ فقلت ما شأن احمـــد قال سيأتيك موسى فاسأله فإذا بموسى عليه السلام فقلت يا نبي الله ما شأن احمد قال ابتلى فى السراء والضراء فوجد صادقا فألحق بالصديقين قاله المناوى توفى رضى الله عنه سنة ٢٤١ هـ وكان رحمه الله له على ولده عبد الله رغيف خبز وشيء من الادم فلما ولى ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف وقال والله لا آكل له طعاما ابدا وكان كما قال الى ان مات وقال ادريس الحداد ما رأيت احمد قط الا مصليا أو يقرأ فى المصحف أو كتاب ما رأيته فى شيء من أمور الدنيا وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليـوم واليومين والثلاثة لا يأكل شيئا فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان وكان يصلى كل يوم ثلثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط على أن يقول إن القرآن مخلوق أضعفه ذلك فكان يصلى كل يوم ماية وخمسين ركعة وكان إذا شهد جنازة لم يفطر ذلك اليوم ولم ينم تلك الليـلة وكان إذا رأى قبرا يصرخ كما تصرخ الثكلى وخرج يوما من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحلف لا يخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحدا ومات وهو ابن سبعة وسبعين سنة ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة وحشر الناس لجنازته وصلى عليه محمد بن عبدالله ابن طاهر وحسبوا من صلى عليه ذلك اليوم وحضر جنازته فكانوا ثمانماية ألف رجل وستين ألف امرأة وجلس المتوكل وقيـل الواثق وأمر القواد والخاصة أن ان يعزوه رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة .

(١٦) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم : بركة مصر من عصرها إلى هذا العصر كانت من الصلاح والزهد إلى الحد الذى لا مزيد عليه وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصـيام النهار وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل إلا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة ويقال إنها حجت ثلاثين حجـة ويقال إنها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه ماية وسبعين ختمة ولما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت فى حزبها إلى قوله تعالى (قل لمن مافى السموات

والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) ففاضت نفسها مع قوله تعالى الرحمة وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى الآن باق وسبب ابتداء شهرتها وتكاثر الناس على بابها أن امرأة يهودية لها ابنة زمنه لا تقدر على الحركة فأرادت الأم الذهاب إلى الحمام وامتنعت البنت من الذهاب معها فقالت لها أمها تقيمين فى الدار وحدك فقالت لها أشتهى ان أكون عند جارتنا الشريفة حتى تعودى فاستأذنت الأم السيدة نفيسة فى ذلك فأذنت لها فجاءت بها ووضعتها فى زاوية من البيت وذهبت ثم ان السيدة نفيسة توضأت فجرى ماء الوضوء إلى البنت اليهودية فألهمها الله سبحانه وتعالى ان أخذت من ماء الوضوء شيئاً قليلا بيدها ومسحت به على رجليها فوقفت فى الحال بإذن الله تعالى وقامت تمشى على رجليها كان لم يكن بها مرض قط ولما علمت الأم وزوجها بالقصة فرحا فرحا شديدا وقالا والله هذا هو الدين الصحيح وما نحن عليه من الدين قبيح ودخلا على السيدة نفيسة وقبلا قدمها وأسلما وأسلم معهما جماعة من الجيران اليهود - ومن كراماتها ان رجلا تزوج بامرأة ذمية ورزق منها بولد فسافر فأسر فى بلاد العـــدو فجعلت امه تدخل البيع وتتضرع وولدها لا يرجع فقالت لبعلها بلغنى ان بين اظهركم امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن الأنور فأذهب اليها لعلها تدعو لولدى حتى يرجع فان نجا آمنت على يديها فذهب الرجل واتى معبدها وقص عليها القصة فدعت له وفى الليل عاد الولد إلى امه فسألته كيف كان امره قال لم اشعر إلا ويد وقعت على القيد وسمعت قائلا يقول اطلقوه فقد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فما شعرت حتى وقفت على هذا الباب فأسلمت المرأة وحسن اسلامها ولما احتضرت وهى صائمة الحوا عليها بالفطر فقالت واعجبا لى منذ ثلاثين سنة أسال الله تعالى ان القاه وانا صائمة افطر الآن هذا لا يكون فلما توفيت حزن عليها اهل مصر حزنا عظيما وسمع البكاء من كل دار واجتمع الناس من القرى والبلدان وصلى عليها فى مشهد حافل لم ير مثله بحيث امتلأت الفلوات والقيعان ثم دفنت فى قبرها بدرب السباع بالمراغة محل معروف وقبرها معروف باجابة

الدعاء وعليه مهابة ونور مقصود للزيارة من كل جهة وقد رؤى النبي ﷺ في المنام وأخبر أن الرحمة تنزل على أهل مصر ببركتها رحمها الله رحمة واسعة آمين

(١٧) السيدة رابعة العدوية البصرية :— أشهر النساء العارفات بالله تعالى مرت يوما بشيبان الراعي فقالت له اني أريد الحج فأخرج لها من جيبه ذهبا لتنفقه فمدت يدها إلى الهواء فامتلأت ذهبا وقالت له أنت تأخذ من الجيب وأنا آخذ من الغيب فمضى معها على التوكل وحجت على بعير فمات قبل بلوغها لمنزلها فسألت الله أن يحييه فأحياه فركبته حتى وصل الى باب دارها وخر ميتا وكانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن وكانت تقول استغفارنا يحتاج إلى استغفار وجاء في الرسالة القشيرية أنها كانت تقول في مناجاتها (إلهي تحرق بالنار قلبا يحبك) فهتف بها مرة هاتف (ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا سوء الظن) وأورد لها صاحب عوارف المعارف هذين البيتين :—

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وابحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وكانت تنشد الأبيات الآتية :

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

(١٨) سيدى ابى الحسن على الشاذلى رضى الله عنه السيد الشريف زعيم الطائفة الشاذلية وإمام الأولياء والصوفية وأحد مفاخر الأمة المحمدية قال رضى الله عنه جعت مرة ثمانين يوما فخطر لى أن قد حصل لى نصيب من هذا الأمر فاذا أنا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسنا وهى تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما فاخذ يدل على الله بعمله وأنا لى ستة أشهر لم أذق فيها طعاما ـ وقال رضى الله عنه بينا أنا فى بعض سياحتى أقول إلهى متى أكون لك عبدا شكورا فسمعت قائلا يقول إذا لم تر

منعما عليه غيرك فقلت إلهى كيف لا أرى منعما عليه غيرى وقد انعمت على الأنبياء والعلماء والملوك فاذا قائل يقول لى لولا الأنبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت والكل نعمة منى عليك ـ وقال رضى الله عنه أيضا كنت أنا وصاحب لى قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله تعالى فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدين الله قال رضى الله عنه فتيقظنا وعرفنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا ـ وقال المناوى من كرامات على أبى الحسن بن عبد الجبار الشاذلى أنه قيل له من شيخك قال أما فيما مضى فعبد السلام ابن مشيش وأما الآن فانى اسقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية ومن كراماته أنه لما اعترض الفقهاء على حزبه المسمى بحزب البحر قال الشيخ والله لقد أخذته من فى رسول الله ﷺ حرفا بحرف ـ وكان أبو عبد الله الشاطبى رحمه الله تعالى يقول كنت أترضى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى كل ليلة مرارا وأسأل الله تعالى به فى جميع حوائجى فأجد فيها النجاح فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يا رسول الله أترضى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى بعد صلاتى وأسأل الله تعالى به فى جميع حوائجى فأجد فيها القبول أترى على فى ذلك شيئا إذا تعديتك فقال عليه الصلاة والسلام أبو الحسن ولدى حسا ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل فاذا سألت الله بأبى الحسن فقد سألته بى مات رضى الله عنه فى رمضان بصحراء عيذاب قاصدا الحج فدفن هناك وكان ماؤها ملحا أجاجا فعذب وكانت وفاته سنة ٦٥٦ رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا ببركته وأمدنا من نفحاته

(١٩) سيدى احمد بن الرفاعى : ـ أحد الأقطاب الأربعة الذين أجمعت الأمة المحمدية على جلالتهم وانهم أركان الولاية العظمى ولما حج رضى الله عنه وقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد : ـ

فى حالة البعد روحى كنت ارسلها تقبل الأرض عنى فهى نائبتى وهذه نوبة الأشـــباح قد ظهرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت اليد الشريفة من القبر حتى قبلها والناس ينظرون وقال شمس الدين سبط بن الجوزى فى تاريخه انه رضى الله عنه كان له كرامات ومقامات أصحابه يركبون السباع ويلعبون بالحيات ويتسلق احدهم فى اطول النخل ثم يلقى بنفسه الى الأرض ولا يتألم وكانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ رضى الله عنه ونفعنا بأسراره .

(٢٠) سيدى احمد على البدوى : - الغوث الكبير والقطب الشهير أحد أركان الولاية الذين اجتمعت الأمة على اعتقادهم ومحبتهم وقع ابن اللبان فى حقه فسلب القرآن والعلم والايمان فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحد يدخل فى أمره فدلوه على سيدى ياقوت العرش فمضى الى سيدى احمد رضى الله عنهما فكلمه من القبر وقال له انت ابو الفتيان رد على هذا المسكين رسماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رسماله وارسل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد سيدى عبد العزيز الدينى الى سيدى احمد البدوى رضى الله عنه وقال له امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل فإن اجابك عنها فهو ولى الله تعالى فأجاب عنها احسن جواب وقال هذا الجواب مسطر فى كتاب الشجره فوجدوه فى الكتاب كما قال وانكر عليه الشيخ خليفة الابيارى وحط على من يحضر مولده فابتلى بحبة فرعت فمه ولسانه فمات وروى ان شخصا انكر حضور مولده فسلب الايمان فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام فاستغاث بسيدى احمد رضى الله عنه فقال بشرط ان لا تعود فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال بالنساء فقال سيدى احمد رضى الله عنه ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع احد منه ثم قال (وعزة ربى ماعصى احد فى مولدى الا تاب وحسنت توبته وإذا كنت ارعى الوحوش والسمك فى البحار واحميهم من بعضهم بعضا افيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى) واجتمع به ابن دقيق العيد فقال انك

لا تصلى وما هذا من سنن الصالحين فقال اسكت وإلا أغبر دقيقك ودفعه فاذا هو بجزيرة متسعة جدا فضاق ذرعه حتى كاد يهلك فرأى الخضر فقال لا بأس عليك إن مثل البدوى لا يعترض عليه لكن إذهب الى هذه القبة وقف ببابها فإنه سيأتيك العصر ليصلى بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو ففعل فدفعه فاذا هو بباب بيته قال المتبولى قال لى رسول الله ﷺ ما فى أولياء مصر بعد محمد بن ادريس أكبر فتوة منه ثم نفيسة ثم شرف الدين الكردى ثم المنوفى ـ ومر به رجل يحمل قربة لبن فأشار باصبعه اليها فانقدت وخرجت منها حية انتفخت وكراماته تتجاوز الحد رضى الله عنه ونفعنا ببركاته وأسراره ونفحنا بامداده آمين .

(٢١) سيدى ابراهيم الدسوقى :ـ القرشى الهاشمى القطب الكبير الشهير أحد أركان الطريق الذين أجمعت الأمة على اعتقاد غوثيتهم الكبرى من كراماته أن تمساحا خطف صبيا فأتته أمه مذعورة فأرسل نقيبه فنادى بشاطىء البحر معشر التماسيح من ابتلع صبيا فليطلع به فطلع ومشى به إلى الشيخ فامره ان يلفظه فلفظه حيا ثم قال للتمساح مت باذن الله فمات ـ وروى أن رجلا زار قبره نفعنا الله به فظهر سيدى ابراهيم وعلمه دعاء وهو هذا (باسم الإله الخالق الأكبر وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق يلجمه بلجام قدرته أحمى حميثا أطمى طميثا وكان الله قويا عزيزا حمعسق حمايتنا كهيعص كفايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) وقال له ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شيء فسأل هذا الرجل شيخه عن معنى احمى حميثا اطمى طميثا فأجاب بأنهما سريانيتين وأن معنى أحمى يا مالك وحميثا اشارة الى مملكته وأما قوله اطمى فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد فى ذلك كله وطميثا اشارة الى الأشياء التى يتصرف فيها والى الممكنات التى يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه لا إلة إلا هو قال شيخه وفى كل من العبارتين سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبدا والله أعلم توفى سنة ٦٧٦ هـ

نفعنا الله به ورضى الله عنه .

(٢٢) سيدى محمد شمس الدين الحنفى المصرى الشاذلى من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين أحد أركان هذه الطريق وصدور أوتادها واكابر أئمتها وأعيان علمائها وهو أحد من أظهره الله تعالى الى الوجود وصرفه فى الكون وانطقه بالمغيبات وخرق له العادات وقلب له الأعيان وأظهر على يديه العجائب ـ كان يعدى من مصر الى الروضة ماشيا على الماء هو وجماعته ومن كراماته ان سيدى على بن وفا رضى الله عنه كان يوما فى وليمة فقال الناس ما تتم الوليمة إلا بحضور سيدى محمد الحنفى فجاء اليه صاحب الوليمة فدعاه فأتى فقال من هنا من المشايخ فقال سيدى على بن وفا وجماعته فقال أدخل واستأذن لى فان من أدب الفقراء إذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن له فأذن له سيدى على وقام له وأجلسه الى جانبه فدار الكلام بينهما

فقال سيدى على ما تقول فى رجل رحى الوجود فى يده يدورها كيف شاء فقال له سيدى محمد رضى الله عنه فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له سيدى على والله كنا نتركها لك ونذهب عنها فقال سيدى محمد رضى الله عنه لجماعة سيدى على ودعوا صاحبكم فانه ينتقل قريبا إلى الله تعالى فكان الأمر كما قال وسمع سيدى محمد فى تلك الليلة هاتفا يقول يا محمد ولينا ك ما كان بيد على بن وفا زيادة على ما بيدك ومات سيدى على فى تلك الليلة وأول شهرة اشتهر بها سيدى محمد الحنفى ان السلطان فرج بن برقوق كان يرمى الرمايا على الناس وكان الشيخ يعارضه فارسل وراء الشيخ واغلظ عليه القول وقال المملكة لى أولك فقال له الشيخ رضى الله عنه لا لى ولا لك المملكة لله الواحد القهار ثم قام الشيخ متغير الخاطر فحصل للسلطان عقب ذلك ورم شديد فى محاشمه كاد يهلكه وعجزت الأطباء عن شفائه فرجع إلى الشيخ يسترضيه وأرسل اليه الأمراء فاعرض عنهم ولم يزل يترددون بينه وبين السلطان حتى رق له وأرسل اليه رغيفا مبثوثا بزيت طيب وقال لهم قولوا له كل هذا تبرأ ولا تعد إلى قلة الأدب نمليخ آذانك فمن ذلك اليوم اشتهر أمره رضى الله عنه للناس

وصار الناس إذا لام بعضهم بعضا على أمر لم يفعله يقول له يعنى ينغاظ الحنفى وشاعت هذه العبارة بين الناس إلى الآن ومنها أنه كان يأخذ القطعة من البطيخ ويشق منها حتى يملأ كذا طبقا كل طبق له لب خلاف الآخر حتى أنه يشق من البطيخ الأخضر بطيخا أصفر حتى يبهر عقول الحاضرين وكان رحمه الله إذ لم يجد شيئا ينفقه يقترض من أصحابه ثم يوفيهم فاجتمع عليه مرة ستون ألفا فشق ذلك عليه فدخل عليه رجل بكيس عظيم وقال من له على الشيخ دين فليحضر فوفى لهم دين الشيخ كله ولم يعرف أحد من الحاضرين ذلك الرجل فسألوا الشيخ عنه فقال هذا صير فى القدرة أرسله الله تعالى يوفى عنا ديننا وجاءه رجل فقير ذو عيال وقال ياسيدى علمنى الكيمياء فقال له الشيخ أقم عندنا سنة كاملة بشرط أنك كلما أحدثت توضأت وصليت ركعتين فاقام على ذلك فلما انتهت المدة قال له الشيخ قم فاملأ من البئر ماء للوضوء فملأ دلوا من البئر فاذا هو مملوء ذهبا فقال يا سيدى ما بقى فى الآن شعرة واحدة تشتهيه فقال له الشيخ صبه مكانه واذهب إلى بلدك فانك قد صرت كلك كيمياء فرجع الى بلاده ودعا الناس إلى الله تعالى وحصل به نفع كبير وكان إذا زار القبور سلم على أصحابها فيردون السلام عليه بصوت يسمعه من معه وكراماته لا تحصيها الدفاتر مات سنة ٨٤٧ وقبره مشهور بالبركات مقصود بالزيارات قال الامام الشعرانى قال سيدى محمد الحنفى رضى الله عنه (من كان له حاجة فليأت إلى قبرى ويطلب حاجته أقضها له فان ما بينى وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل) رحمه الله ونفعنا ببركاته

(٢٣) سيدى عبد الوهاب الشعرانى اشهر أئمة العارفين من عصره إلى الآن وأنفعهم بتآليفه لأهل الإيمان قال رضى الله عنه مما من الله تبارك وتعالى به على رؤيا جماعة من الحكام وغيرهم فى المنام أمورا تزيدهم فى اعتقادا سترة لى بين العباد مع أنه لا سر لى ولا برهان على كونى صالحا فمنهم سيدى محمد ابن الأمير شيخ سوق أمير الجيوش وأخوه سيدى الشيخ شرف الدين فاما محمد فانه أشرف على الموت وهو بمكة وأوصى فرآنى خرجت

له من الحائط وأخذت بيده وقلت له قم أنت طيب فشفى من ذلك المرض وذكر أن رؤيته لى كانت يقظة وأما شرف الدين فمرض وأنا مسافر بمكه حتى أشرف على الموت فرأى نفسه عائما فى الخليج تحت قنطرة باب القوس وهو يعالج التيار ليخرج من القنطرة فذكر أنى أخذت بيده فأخرجته من تحت القنطرة وخلص من ذلك المرض ومنهم الأمير عامر بن بغداد كان عنده قلة اعتقاد إلا أنه كان عنده وقفة فى فرآنى بحضرة رسول الله ﷺ وهو مقبل على يكلمنى فصار عامر كلما يريد أن يقبل يد رسول الله ﷺ يجدنى حاجبا له عنه فمن تلك الرؤيا صار يعتقد فى الصلاح ويقضى حوائج الناس التى أكاتبه فيها ومنهم الشيخ عبد الله أحد أصحاب سيدى عمر النبتيتى نفعنا الله ببركاته كتب لى أنه رآنى بحضرة الرسول ﷺ وهو يقول للامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ألبس عبد الوهاب طاقيتى هذه وقل له يتصرف فى الكون فما دونه مانع وكان عند الشيخ عبد الله هذا وقفة فى كونى من خدام الفقراء فازداد اعتقاده الى الغاية ومنهم الشيخ سعد الدين الصناديدى كان من أشد المنكرين على فى حضورى مولد سيدى احمد البدوى ويقول كيف يحضر فلان المولد وفيه هذه المنكرات فرأى النبى ﷺ وقد ضمنى إلى صدره وثدى يشخبان لبنا حليبا والناس يشربون إلى أن روى أهل المولد كلهم وسيدى احمد البدوى واقف تجاه وجه رسول الله ﷺ يقول بأعلى صوته من أراد المدد فليزر عبد الوهاب ثم استيقظ وصار من اكبر المعتقدين — وقال رضى الله عنه ومن جملة ما وقع لى من الجن انهم أرسلوا الى نحو خمسة وسبعين سؤالا فى علم التوحيد لأكتب لهم عليها وقالوا قد عجز علماؤنا عن الجواب عنها وقالوا هذا التحقيق لا يكون الا من علماء الأنس وسمونى فى السؤال شيخ الاسلام فكتبت لهم الجواب عنها نحو خمسة كراريس وسميته (كشف الحجاب والران عن وجه اسئلة الجان) وقال رضى الله عنه ومما من الله تبارك وتعالى به على كشف الحجاب عنى حتى سمعت تسبيح الجمادات والحيوانات من البهائم وغيرها من صلاة المغرب إلى طلوع الفجر وذلك انى

أحرمت بصلاة المغرب خلف الشيخ الصالح الورع الزاهد سيدى أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله عنه فانكشف حجابى فصرت أسمع تسبيح العمد والحيطان والحصر والبلاط حتى دهشت وصرت اسمع من يتكلم فى أطراف مصر ثم اتسع الى قراها ثم الى سائر اقاليم الأرض ثم الى البحر المحيط فصرت اسمع تسبيح السمك وكان من جملة ما سمعت من تسبيح سمك البحر المحيط (سبحان الملك الخلاق رب الجمادات والحيوانات والنبات والأرزاق سبحان من لا ينسى قوت أحد من خلقه ولا يقطع بره عمن عصاه) وذلك فى سنة ٩٢٢ ثم ان الله تبارك وتعالى رحمنى عند طلوع الفجر وحجبنى عن سماع ذلك التسبيح لما حصل لى من الدهشة وابقى على العلم بذلك من طريق الكشف فتقوى بذلك ايمانى ـ قال رضى الله عنه ومما من الله تبارك وتعالى به على معرفتى بصوت الشريف وتميزه عن غيره ولو من وراء حجاب وكذلك معرفتى لكلام النبوة وتميزه عما أدرج فيه وكذلك معرفتى بالمساطير الزور وتميزها من غيرها فارى الحرف ميتا لا روح فيه عكس الحرف الذى وضع بحق وكذلك معرفتى بشهادة الزور فأعرف ذلك من نطقه بالكلمة ثم انى توجهت بقلبى الى الله تبارك وتعالى فحجب عنى جميع ذلك فى سنة ٩٥٠ ادبا مع الله تعالى والشريعة المطهرة ـ وجاء فى كتاب (تذكرة اولى الألباب فى مناقب الشعرانى) ما حكاه الفاضل الهمام سيدى أبو صالح المليجى الشافعى الهاشمى فى كتابه المذكور أنه أى الشعرانى قرأ المدونة وهى أجل كتب مذهب الامام مالك رضى الله عنه تأليف الامام أبى عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكى رحمه الله تعالى وهى كتاب ضخم فى عدة مجلدات فى أقل من ساعتين وعلق عليها كلها بخطه وكان هذا التعليق كتابا قائما بذاته مختصرا للمدونة المذكورة ومن المعلوم ان هذه الكرامة من باب طى الزمن ـ وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى آخر كتابه (اليواقيت والجواهر) وهو نحو خمسة وعشرين كراسا بالقطع الكبير ويشتمل على واحد وسبعين مبحثا قد الفه بحمد الله فى دون الشهر وطالعت الفتوحات المكية على عدد

مباحثة فكنت أطالع على كل مبحث جميع الكتاب لأخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة فعلى هذا قد طالعت كل يوم الفتوحات مرتين ونصف مقدار ذلك خمسة وعشرين جزءا كل يوم وقال رضى الله عنه ومما من الله تبارك وتعالى به على البركة فى رزقى فربما قدمت للضيوف شيئا قليلا فيأكلون ويشبعون وأتانى مرة أربعة عشر من الفلاحين فقدمت اليهم رغيفا واحدا فأكلوا منه وشبعوا ومناقب سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه وكراماته لا يمكن حصرها فلنكتف بهذا القدر وكانت وفاته رضى الله عنه سنة ٩٧٣ نفعنا الله ببركاته وأسراره

(٢٤) سيدى على البيومى الامام الولى الصالح الشيخ على بن حجازى بن محمد البيومى المصرى الشافعى ثم الخلوتى الأحمدى أحد أكابر الأولياء وأركان الطريقة كان يتوب العصاة من قطاع الطريق فيصيرون مريدين له وكان تارة يربطهم بسلسلة عظيمة من حديد فى عمدان مسجد الظاهر وتارة بالطوق فى رقبتهم يؤدبهم بما يقتضيه رأيه وكان إذا ركب ساروا خلفه بالأسلحة والعصى وكانت عليه مهابة الملوك وإذا ورد المشهد الحسينى يغلب عليه الوجد فى الذكر حتى يصير كالوحش النافر فى غاية القوة فاذا جلس بعد الذكر تراه فى غاية الضعف وكان الجالس يرى وجهه تارة كالوحش وتارة كالعجل وتارة كالغزال وكان يرى النبى ﷺ دائما فى خلوته وقال له مرة لا تخف فى الدنيا ولا فى الآخرة ولما توفى خرجوا بجنازته وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم ودفن بالقبر الذى بنى له بداخل المسجد المعروف به بالحسينية وبه سبيل وكتاب وكانت وفاته سنة ١١٨٣ رضى الله تعالى عنه ورحمه الله رحمة واسعة ونفعنا ببركاته وأسراره وفى هذا القدر من الآثار كفاية فلنتكلم على الأدلة العقلية على اثبات الكرامات فنقول

الأدلة العقلية على اثبات الكرامات للاولياء

الدليل الأول ـ لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك أما لأنه تعالى ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لان العبد ليس أهلا لأن يعطيه الله تعالى هذه العطية والأول قدح فى قدرة الله وهو والثانى باطل لأن طاعة الله والمواظبة

على ذكره وتقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من اعطـــاء رغيف واحد فى مفازه أو تسخير حية أوأسد فلما أعطى المؤمن المعرفةوالمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلان يعطيه رغيفا فى مفازة أولى فاى بعد فى ذلك .

الدليل الثانى . إنا نشاهد فى هذه الحياة الدنيا أن من خصه الملك بالقرب منه والدخول عليه فى مجلس الأنس قد يخصه أيضا بأن يقدره على ما لا يقدر غيره وأعظم الملوك هو رب العالمين فاذا شرف عبدا بأن أوصله إلى عتبات خدمته وأوقفه على أسرار معرفتـــه ورفع عنه حجب البعد بينه وبين نفسه واجلسه على بساط قربه فاى بعد فى أن يظهر على يد ذلك العبد بعض تلك الكرامات فى هذا العالم مع أن كل هذا العالم بالنسبة إلى ذرة من تلك السعادات الروحانية والمعارف الربانية كالعدم المحض .

الدليل الثالث : قال النبى ﷺ حكاية عن رب العزة (ما تقرب عبد الى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا بى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش وبى يمشى) ولا شك أن هذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع واعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من الماء فلما اوصل الله تعالى برحمته عبده إلى هذه الدرجة فاى بعد فى أن يعطيه رغيفا .

الدليل الرابع : إن القرآن صريح فى أن الرب حبيب العبد والعبدحبيب الرب يحبهم ويحبونه (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فاذا ثبت هذا فنقول العبد اذا بلغ فى الطاعة بحيث انه قام بكل ما أمره الله به وترك كل ما نهاه عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع ضعفهوعجزه ولؤمه لما فعل ما يريده الله فلأن يفعل الرب الكريم مره واحدة ما يريده العبد كان ذلك أولى ولهذا قال الله تعالى (اوفوا بعهدى اوف بعهدكم)

الدليل الخامس : اعلم أن جوهر الروح ليس من جنس الأجسام الكائنة

الفاسدة المتعرضة للتفرق والتمزق بل هو من جنس جواهر الملائكة وسكان عالم السموات المقدسين المطهرين إلا انه لما تعلق بهذا البدن واستغرق فى تدبيره صار فى ذلك الاستغراق الى حيث نسى الوطن الأول وصار مشابها لهذا الجسم الفاسد فضعفت قوته وذهبت مكنته ولم يقدر على شىء فاذا قل انغماس الأرواح فى تدبير هذا الجسم وأشرقت عليها الأنوار الربانية قويت على التصرف فى أجسام هذا العالم مثل قوة الأرواح السماويه على هذه الأعمال وذلك هو الكرامات ـ قال التاج السبكى وهنا دقيقة أخرى وهى أن مذهبنا أن الأرواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة وفيها النورانية والكدرة وفيها الحرة والنذلة والأرواح الفلكية أيضا كذلك ألا ترى إلى جبريل عليه السلام كيف وصفه الله تعالى بقوله (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) وقال فى قوم آخرين من الملائكة (وكم من ملك فى السموات والأرض لا تغنى شفاعتهم شيئا) فكذا ههنا فاذا اتفق فى نفس من النفوس كونها قوية مشرفة الجوهر علوية الطبيعة ثم أنضاف إليها أنواع الرياضات التى تزيل عنها غيرة عالم الكون والفساد باعانة نور معرفة الحضرة الصمدانية وتقوية أضواء حضرة الجلال والعزة ولنقبض ههنا عنان البيان فان وراء ذلك أسرار دقيقة وأحوالا عميقة من لم يصل اليها لم يصدق بها نسأل الله تعالى أن يحيى قلوبنا بنور معرفته فهو ارحم الراحمين . الدليل السادس : ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين الجارى ذلك مجرى شجاعة على وسخاء حاتم بل انكار الكرامات أعظم مباهته فانه أشهر وأظهر ولا يعاند فيه إلا من طمس قلبه والعياذ بالله تعالى .

فى أنواع الكرامات

الكرامات انواع كثيرة منها ـ احياء الموتى ـ انفلاق البحر وجفافه والمشى على الماء ـ انقلاب الأعيان كانقلاب الخمر لبنا أو عسلا أو سمنا ـ كلام الحيوانات والجمادات ـ ابراء العلل ـ طى الزمان ونشره ـ استجابة الدعاء ـ

امساك اللسان عن الكلام وانطلاقة ـ جذب بعض القلوب بعد ان كانت فى غاية النفرة ـ الأخبار ببعض المغيبات والكشف ـ الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة ـ مقام التصريف ـ القدرة على تناول الكثير من الغذاء ـ الحفظ على اكل الحرام ـ رؤية المكان البعيد من وراء الحجب ـ الهيبة التى لبعضهم بحيث مات من شاهده بمجرد الرؤية ـ كفاية الله تعالى إياهم شر من يريد بهم سوءا ـ التصور بأطوار مختلفة وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال أو بصور واحدة فى وقت واحد فى عدة اماكن ـ اطلاع الله اياهم على ذخائر الأرض وكنوزها ـ ما سهل لكثير من العلماء من التصانيف فى الزمن اليسير بحيث وزع تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا فوجد لا يفى به نسخا فضلا عن التصنيف وهذا قسم من نشر الزمان وقد اتفق النقلة على أن عمر الشافعى رضى الله عنه لا يفى بعشر ما أبرزه من التصانيف مع ما ثبت عنه من تلاوة القرآن كل يوم ختمه بالتدبر وفى رمضان كل يوم ختمتين واشتغاله بالدرس والفتاوى والذكر والفكر والأمراض التى كانت تعتوره بحيث لم يخل رضى الله عنه من علة أو علتين أو اكثر وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا ـ وهذا الامام الربانى الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى وزع عمره على تصانيفه فوجد انه لو كان ينسخها فقط لما كفاه ذلك طول العمر فضلا عن كونه يصنفها فضلا عما كان يضمه اليها من أنواع العبادات وغيرها ـ ومن أنواع الكرامات عدم تأثير المسمومات فيهم كما اتفق ذلك للشيخ الذى قال له بعض الملوك اما أن تظهر لى آية وإلا قتلت الفقراء وكان بقربه بعر جمال فقال انظر فاذا هى ذهب وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به فى الهواء فأخذه ورده ممتلئا ماء فقال الملك هذا سحر فاوقد نارا عظيمة ثم أمرهم بالسماع فلما دار فيهم الوجد دخل الشيخ والفقراء فى النار ثم خرج فخطف ابنا صغيرا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده ثم خرج به وفى احدى يدى الصغير تفاحة وفى الأخرى

رمانة فقال له أبوه أين كنت قال فى بستان فقـال جلساء الملك هذه صنعة لا حقيقة لها فقال له الملك أن شربت هذه القدح من السم صدقتك فشربه وتمزقت ثيابه عليه ثم القوا عليه غيرها فتمزقت ثم هكذا مرارا إلى أن ثبتت عليه الثياب وانقطع عنه عرق كان قد أصـابه ولم يؤثر فيه السم ضررا ـ هذا وعلى العموم لا يمكن حصر أنواع الكرامات وفيما تقدم الكفاية وبلاغ لمن زالت غفلته وماذا بعد الحق الا الضلال وليس للموفق غير التسليم وسؤال ربه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين نسأله سبحانه رتعالى أن يلحقنا بهم فانهم على الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين (من الطبقات الكبرى للتاج السبكى بتصرف) .

فى أنواع الأولياء ومراتبهم :ـ اعلم أن الأولياء رضى الله عنهم قسمان قسم يحصرهم العدد فى كل زمان وقسم لا عدد له لازم فيقلون ويكثرون :ـ فالقسم الأول أعظمهم (القطب) وهو خليفة رسول الله ﷺ ولا يسمى قطبا إلا بعد علمه علم الحقيقة واطلاعه على سر القـدر ولا يأكل إلا من كسب يده ولا يكون منه فى الزمان إلا واحد وهو يسمى أيضا (بالغوث) وقد يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كابى بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فان كلا منهم كان قطب زمانه حاز الخلافتين الظاهرة والباطنة واكثر الأقطاب لا حكم لهم فى الظاهر كاحمد بن هارون الرشيد وكابى يزيد البسطامى ويسمى القطب (عبد الله) ثم (الامامان) وهما وزيران للقطب أحدهما عن يمينه واسمه عبد البر نظره إلى عالم الملكوت والآخر عن شماله واسمه عبد الملك ونظره إلى عالم الملك ويخلف القطب إذا مات وينتقل صاحب اليمين مكانه وينتقل واحد من (الأوتاد) مكان صاحب اليمين والأوتاد فى كل زمان اربعة واحد بالمشرق وواحد بالمغرب وواحد بالشام وواحد باليمن يحفظ الله بهم أرباع الدنيا وكل منهم متصرف فى ربعه وألقابهم عبد الحى وعبد العليم وعبد القـادر وعبد المريد فاذا مات واحد منهم ابدل بواحد من (الابدال) وهم سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون فقد اختلفت فى

ذلك الروايات فقد أخرج الإمام احمد عن طريق عباده بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال (الابدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا) وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال (خيار أمتى فى كل قرن خمسماية والابدال أربعون فلا الخمسماية ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل ابدل الله من الخمسماية مكانه وأدخل فى الأربعين مكانه يعفون عنمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء إليهم ويتواسون فيما أتاهم الله) وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس أن النبى ﷺ قال (الابدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة) وسموا ابدالا لأنهم إذا فارقوا موضعا ويريدون أن يخلفوا بدلا منهم فى ذلك الموضع لأمر يرون فيه مصلحة وقربه يتركون به شخصا على صورتهم لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص انه عين ذلك الرجل وليس هو بل هو شخص روحانى يتركه بدله قصدا على علم منه فكل من له هذه القوة فهو البدل ومن يقيم الله عنه بدلا فى موضع ما ولا علم له بذلك فليس من الابدال المذكورين وهذه المنزلة تكون للابدال بالاربعة التى ذكرها أبو طالب المكى وهى الجوع والسهر والصمت والعزلة ثم (النقباء) وهم اثنا عشر نقيبا فى كل زمان قد جعل الله تعالى بأيديهم علوم الشرائع المنزلة ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها وأما ابليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرف هو عن نفسه ثم (النجباء) وهم ثمانية فى كل مكان وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم ثم (الحواريون) وهو واحد فى كل زمان وهو من جمع فى نصرة الدين بين السيف والحجة فأعطى العلم والعبادة والحجة وأعطى السيف والشجاعة والأقدام ومقامه التحرى فى اقامة الحجة على صحة الدين المشروع وكان فى زمن النبى ﷺ الزبير بن العوام وغير هؤلاء كثيرون يضيق بنا المقام فى استيعابهم ـ وأما القسم الثانى وهم الذين لا يحصرهم عدد

فهم أيضا كثيرون . تذكر منهم (الفقراء) قال الله تعالى تشريفا لهم (ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) قال أبو يزيد يا رب بماذا أتقرب إليك قال بما ليس لى (الذلة والافتقار) قال تعالى (وماخلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) أى ليذلوا الى رمنهم رضى الله عنهم (الصوفية) وهم أهل مكارم الأخلاق يقال من زاد عليك فى الأخلاق زاد عليك فى التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد اسقطوا الياءات الثلاث فلا يقولون لى ولا عندى ولا متاعى أى لا يضيفون لأنفسهم شيئا أى لا ملك لهم دون خلق الله فهم فيما فى أيديهم على السواء مع جميع ماسوى الله مع تقرير ما بأيدى الخلق للخالق لا يطالبونهم بهذا المقام وهذه الطبقة هى التى تظهر عليهم خرق غالبا العوائد عن اختيار منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين وصحته فى مواضع الضرورة ومنهم رضى الله عنهم (العباد) وهم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنيا عليهم (وكانوا لنا عابدين) ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية ويسمون السياح ومنهم من يلازم بيته وصلاة الجماعة ويشتغل بنفسه ومنهم صاحب سبب ومنهم تارك السبب وهم صلحاء الظاهر والباطن وقد عصموا من الغل والحسد والحرص والطمع والشره المذموم ولا رائحة عندهم من المعارف الآلهية ومطالعة عالم الملكوت والفهم عن الله تعالى فى آياته حين تتلى غير أن الثواب لهم مشهود والقيامة وأهوالها والجنة والنار كلها مشهودة لهم دموعهم فى محاريبهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وتضرعا وخفية إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وإذا مروا باللغو مروا كراما يبيتون لربهم سجدا وقياما شغلهم هول المعاد عن الرقاد وضمروا بطونهم بالصيام للسباق فى حلبة النجاة إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ليسوا من أهل الأثم والباطل فى شىء عمال وأى عمال عاملو الحق بالتعظيم والاجلال كان أبو مسلم الخولانى رحمه الله من اكابرهم كان يقوم الليل فاذا ادركه الاعياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده من حديد ويقول لرجليه أنتما أحق بالضرب من دابتى أيظن أصحاب

محمد ﷺ أن يفوزوا بمحمد ﷺ دوننا والله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا انهم خلفوا بعدهم رجالا ومنهم رضى الله عنهم (الزهاد) وهم الذين تركوا الدنيا عن قدرة واختلف أصحابنا فيمن ليس عنده ولا بيده من الدنيا وهو قادر عليها وجمعها غير انه لم يفعل وترك الطلب فهل يلحق بالزهاد أم لا فمن قائل أنه يلحق بهم ومن قائل لا زهدا لا فى حاصل فانه ربما لو حصل له شيء منها ما زهد ومن رؤساء الزهاد (ابراهيم بن أدهم) .

قيل لحذيفة المرعشى ما أعجب ما رأيت من ابراهيم بن أدهم قال بقينا فى طريق مكة لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فآوينا إلى مسجد خرب فنظر إلى ابراهيم بن أدهم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئته بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى .

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا قانع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها ... فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك إلا بالله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمايه دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت من صاحب هذه البغلة قال نصرانى فجئت إلى ابراهيم فأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء النصرانى واكب على ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه وأسلم ـ وأتى ناس ابراهيم بن أدهم فقالوا يا أبا اسحق ان الأسد واقف فى طريقنا فأتى ابراهيم إلى الأسد فقال له يا أبا الحرث ان كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تؤمر بشيء فتنح عن طريقنا فادير الأسد يهمهم فقال ابراهيم وما على أحدكم أن يقول إذا أصبح وأمسى (اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا

بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا) قال المناوى وأراد ركوب سفينة فأبى الملاح إلا أن يأخذ دينارا فصلى ركعتين وقال (اللهم انهم سألونى ما ليس عندى وهو عندك كثير) فصار الرمل دنانير فأخذا واحدا دفعه له ولم يأخذ غيره قال القشيرى نقلا عن بعضهم أشرفت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه النوم واذا حيه فى فيها طاقة نرجس تروحه بها ـ وقال محمد بن مبارك الصورى كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلوله تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمانة يا أبا اسحق اكرمنا بأن تأكل منا شيئا فطأطأ ابراهيم رأسه فتكرر الصوت ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا إليه ليتناول منه شيئا فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فأخذ رمانتين اكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة صغيرة فلما رجعنا مررنا بها فاذا هى شجرة عاليـة ورمانها حلو وهى تثمر كل عام مرتين وسميت رمانة العابدين ويأوى إليها وإلى ظلها العابدون قاله القشيرى ـ قال الامام اليافعى حكى عن سفيان ابن ابراهيم قال اقيت ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه بمكة المشرفة فى سوق الليل عند مولد النبى ﷺ وهو يبكى فالجأته إلى ناحية من الطريق وسلمت عليه وقلت له ما هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير فعاودته مرة ثانية وثالثة فلما أطلت عليه السؤال قال لى يا سفيان أن انا اخبرتك بخير تبوح به أم تستر على فقلت له يا أخى قل ما شئت قال اشتهت نفسى سكباجا منذ ثلاثين سنة وأنا امنعها جهدى فلما كان البارحة غلبنى النوم وإذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها وبيده قدح أخضر يعلو منه البخار ورائحة السكباج فاجمعت همتى عنه فقربه منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيئـا تركته لله عز وجل فقال ولئن اطعمك الله تعالى قال فما كان لى جواب والله الا البكاء فقال لى كل يرحمك الله فقلت له قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا الا ما نعلم فقال لى كل عافاك الله فانما ناولنى هذا رضوان وقال لى يا خضر اذهب بهذا الطعام فاطعمه لنفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله تعالى على طول صبرها على ما يحملها من

منعها شهواتها ثم قال فالله عز وجل يطعمها وأنت تمنعها يا ابراهيم انا سمعت الملائكة تقول من أعطى ولم يأخذ طلب ولم يعط فقلت ان كان كذلك فها أنا بين يديك لم أخل بالعهد مع الله تعالى وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئا وقال يا خضر لقمة فلم يزل يطعمنى بيده فانتبهت وحلاوة ذلك فى فمى ولون الزعفران فى شفتى فدخلت زمزم فغسلت فمى فلا الطعم ذهب ولا أثر الزعفران قال سفيان فقلت له فارنى فاذا أثره لم يذهب — ومنهم رضى الله عنهم (القراء) أهل الله وخاصته وأهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل به وحفظوا حروفه فاستظهروه حفظا وعملا وكان أبو يزيد البسطامى منهم فمن كان خلقه القرآن كان من أهله ومن كان من أهل القرآن كان من أهل الله لأن القرآن كلام الله ونال هذا المقام سهل بن عبد الله التسترى وهو ابن ست سنين ومنهم رضى الله عنهم (المحدثون) وعمر رضى الله عنه امير المؤمنين منهم وهم صنفان صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) وهذا الصنف على طبقات كثيرة والصنف الآخر تحدثهم الأرواح الملكية فى قلوبهم وأحيانا على آذانهم وقد يكتب لهم وهم كلهم أهل حديث فالصنف الذى تحدثه الأرواح الطريق اليه الرياضات النفسية والمجاهدات البدنية بأى وجه كان فان النفوس اذا صفت من كدر الوقوف مع الطبع التحقت بعالمها المناسب لها فادركت ما أدركت من علوم الملكوت والأسرار وحصلت من الغيوب بحسب الصنف الروحانى المناسب لها إذ لكل روح مقام معلوم فهم على درجات فمنهم الكبير والأكبر فجبريل عليه السلام وان كان من اكابرهم فميكائيل اكبر منه ومنصبه فوق منصبه — وفى هذا القدر من الأنواع كفاية والله الكريم والهادى الى صراطه المستقيم نسأل الله تعالى أن يلحقنا بهم بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين وأشرف المرسلين ﷺ وعلى آله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين آمين آمين آمين .

تنبيهات مهمة

الأول — اعلم أن الكرامات انما هى نتائج الطاعات ولا بد أن يكون بينها وبين الأعضاء المطيعة التى تصدر عنها مناسبات وهذه الأعضاء هى : — (العين) من كراماتها اذا استعملت فى الطاعات وجنبت المخالفات المناسبة لها رؤية الزائر قبل قدومه على مسافة بعيدة وخلف حجاب كثيف ورؤية الكعبة عند الصلاة حتى يتوجه اليها وما أشبه هذا وكذلك مشاهدة العالم الملكوتى الروحانى والترابى من الملائكة والجن والخضر عليه السلام والابدال و(الأذن) إذ استعملت فى الطاعات وجنبت المخالفات المناسبة لها من كراماتها سماعها نطق الجمادات وتسبيحها فاذا تحقق بهذا المقام تطرأ عليه حالة لا يشاهد فيها شيئا من الوجود الا مسبحا بلسان ناطق كنطق زيد وعمرو وأخيرا اثبات البشرى له بأنه من أهل الهداية وهى الكرامة الكبرى قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنة الآية و (اللسان) من كراماته إذا استعمل كذلك مكالمته للعالم الأعلى ومحادثته لهم فيكون العبد ممن ينادى ويهتف به فاذا صحت المكالمة بينه وبينهم وتنازعوا الحديث فما كان عن حديثه لهم فمن تحققه بلسانه وما كان من حديثهم له فمن تحققه بأذنه وما كان من مشاهدته لهم فمن تحققه ببصره وهكذا فى جميع الأعضاء ومن كراماته أيضا نطقه بالكون قبل أن يكون والأخبار بالمغيبات و (اليد) من كراماتها اذا استعملت كذلك ادخال يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ونبع الماء من بين الأصابع وقبض ما شاءه الله فى الهواء فيفتح يده عن فضة أو ذهب أو فاكهة أو ماء إلى أمثال ذلك و (البطن) من كراماته التى لا يدخلها مكر ولا استدراج إذا استعمل كذلك أن يحفظ عليه طعامه وشرابه ولباسه بعلامة يلقيها الله تعالى له اما فى نفسه أو فى نفس الشئ الذى قامت به صفة الحرام حتى لا يتناول شيئا إلا طيبا فكان بعضهم إذا قدم اليه طعام فيه شبهة ضرب عرق فى أصبعه وآخر ينادى يقال له تورع وآخر

يراه دما أو خنزيرا وآخر يرى عليه سوادا إلى غير ذلك ومن كراماته أن يشبع القليل من الطعام الرهط الكثير و من كراماته أيضا أن ينقلب اللون الواحد الذى فى الصحن أنواعا من الطعام فى حاسة الاكل أن اشتهاه بعض الحاضرين ومن كراماته أيضا أن يأتى لصاحب هذا المقام الجن أو الملك بغذائه من طعام وشراب ولباس أو يعلق له فى الهواء وكذلك شرب الماء الزعاف والاجاج عذبا فراتا و (الفرج) من كراماته اذا اتصف بالطاعات وترك المخالفات المناسبة له أن يهبه الله تعالى سر احياء الموتى وابراء الاكمة والأبرص قال الله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) و (القدم) من كراماته اذا استعمل كذلك المشى على الماء وفى الهواء وطى الأرض و (القلب) من كراماته اذا أنصف بما ذكر معرفته بالكون قبل أن يكون واطلاع الحق سبحانه وتعالى للعبد على ما أودع فى العالم من الأسرار وعلى العلل والأسباب التى لأجلها وجد أمر ما واعلم أن القلب رئيس البدن وجميع الكرامات التى جعلت للأعضاء راجعه اليه إذ جميع حركات البدن صادرة عن أمر القلب وكذا سكونها .

الثانى — كل ما كان معجزة لنبى جازان يكون كرامة لولى وهذا الذى ذهب اليه ائمة الوصول المحققون المعتمدون من أهل السنة والجماعة منهم الإمام أبو المعالى إمام الحرمين والإمام القاضى أبو بكر الباقلانى وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى والإمام حافظ الدين النسفى والإمام الطبرى وأبو القاسم القشيرى وغيرهم رضى الله عنهم كثيرون وذلك خلافا للمعتزلة الذين ينكرون الكرامات أصلا وخلافا لبعض العلماء الذين لا ينكرون الكرامات لكنهم قالوا بعدم جواز بلوغ الكرامة أو وقوعها فيما كان معجزة لنبى كانفلاق البحر وانقلاب العصا ثعبانا واحياء الموتى وقد دلت الأخبار والحوادث المتواترة على صحة ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة كما ظهر مما تقدم .

الثالث — أن كرامات الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء ومعنى هذا

السابع ـ قال صاحب الفضيلة العلامة المرشد الورع (خليفة العارف بالله المرحوم الشيخ محمد أمين الكردى شيخ الطريقة النقشبندية المتوفى بمصر سنة ١٣٣٢) الشيخ سلامة العزامى أحد أكابر علماء الأزهر الشريف فى ترجمته لشيخه الشيخ الكردى المذكور مؤلف كتاب تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب المسطورة تلك الترجمة فى أول الكتاب المذكور مانصه حرفيا (ومن كراماته أى كرامات الشيخ الكردى المذكور رضى الله عنه الكرامة الكبرى الجديرة بالاعتبار عند المحققين من العارفين وكان من حقها علينا أن نبتدىء بها هذا الفصل كما صنع العلامة الكبير الحافظ المتقن الشيخ أحمد بن المبارك فى كتابه الابريز فلا يفوتنا أن نختم بها هذا الفصل والخاتمة قريبة الشأن من الفاتحة والله تعالى نسأل ونبيه العظيم واحبابه الكرام اليه نتوسل أن يرزقنا حسن الفواتح والخواتم تلك الكرامة هى الاستقامة على جادة الشريعة المحمدية باطنا وظاهرا على ممر الاوقات واختلاف الأحوال من الغنى والفقر والصحة والمرض والمنشط والمكره وما أشبه ذلك أما الاستقامة الباطنة فهى سلامة العقيدة من مذاهب أهل الأهواء كالمعتزلة والخوارج وغلاة المحدثين والتحلى بالأخلاق المستقيمة وأما الظاهرة فهى اجتناب المناهى وأتيان المأمورات قدر المستطاع من غير تفريط ولا افراط ولا خروج عن المذاهب المعتبرة لفقهاء الأمة وأحبار الملة وانما كانت هذه الكرامة بالمنزلة التى وصفناها لأنها البرهان الساطع على اصطفاء من أكرم بها والعلامة الصادقة على ولاية من خلعت عليه دون ما عداه من الخوارق فانه قد يجريه الله تعالى على يد المحقق اكراما ويخلقها على يد المبطل مكرا واستدراجا نعوذ بالله عزوجل من مكره قال قطب العارفين الكبير سيدى عبد العزيز الدباغ أنه لا يفتح على العبد إلا إذا كان على عقيدة أهل السنة والجماعة وليس لله ولى على عقيدة غيرهم ولو كان عليها قبل الفتح لتاب منها بعده قال تلميذه الحافظ ابن المبارك وكذلك ذكر بدر الدين الزركشى فى شرح جمع الجوامع قال وقال الحافظ العسقلانى قال ناصر الدين ابن المنير (الاستقامة يستحيل أن لاتكون كرامة بخلاف غيرها

من الخوراق فانه قد يكون رحمة وقد يكون فتنة) اه وإذ قد عرفت ذلك فاعلم أنه رضى الله عنه (أى الشيخ الكردى رحمة الله عليه) كان من الاستقامة باقسامها كلها بالمنزل الأعلى تكملت كتبه بشرح عقيدته وهى كما تنطق تلك الكتب عقيدة ابى الحسن الأشعرى رضى الله عنه وكان يختار فى آيات الصفات وأحاديثها مذهب أفاضل المحققين من السلف وهو تنزيه الله عز وجل عن الظاهر المستحيل كالجسمية ولوازمها كالاستقرار على العرش والعلو الحسى والصعود والنزول المتعارفين وتفويض معانيها المرادة إلى الله وإلى رسوله ﷺ وكان يرى أن القول بوحدة الوجود من سكر الوقت وغلبة الحال يعذر صاحبه إذا كان مغلوبا ولا يصح تقليد غيره له وكان يرى الخوض فيه حراما إلا لمن ثبتت قدمه فى عقيدة أهل السنة والجماعة وعرف أن ذلك من بقايا السكر ولم يتأثر بما يسمعه من هذه الشطحات وكان رضى الله عنه يقول كما قال استاذ اساتذته مولانا أحمد الفاروقى (ما للتراب ورب الأرباب) ويقرر أنه لا نسبة بين الصانع والمصنوع إلا أن الثانى مربوب ومخلوق والأول جل جلاله رب وخالق وكان يقرأ لى أبوابا من الفتوحات فيدخل الداخل فيطبق الكتاب ويسكت وإذا مر فيها على بعض ما خالف فيه الشيخ الجماعة يقول لى هذا من سكرة رضى الله عنه غلب عليه شهود الرحمة فسكر فقال هذا الكلام والسكران لا يقلد وكان رضى الله عنه يبالغ فى تعليم المريد تنزيه الحق عن مشابهة المخلوقات وانفراد الحق بالتأثير وان المشايخ وغيرهم إنما هم أسباب عادية يجرى الله على أيديهم ما أراد ولقد رأيته بعد وفاة رضى الله عنه يقول لى اجتهد جدا فى تعليم الناس صفة مخالفته تعالى للحوادث إلى آخر ما ذكره فى مناقبه رضى الله عنه . انتهى ما أردت نقله من الترجمة المذكورة . قلت وجاء فى حاشية العلامة محمد بن محمد الأمير على شرح العلامة الشيخ عبد السلام ابراهيم المالكى اللقانى على جوهرة التوحيد عند قول المتن (فواجب له الوجود والقدم كذا بقاء لا يشاب بالعدم) ما نصه (وذهب بعض المتصوفة والفلاسفة إلى أنه تعالى الوجود المطلق وأن غيره لا يتصف بالوجود اصلا حتى إذا

قالوا الانسان موجود فمعناها أن له تعلقا بالوجود وهو الله تعالى وهو كفر ولا حلول ولا اتحاد فان وقع من أكابر الأولياء ما يوهم ذلك أول بما يناسبه كما يقع منهم فى وحدة الوجود كقول بعضهم (ما فى الجبة إلا الله) أراد أن مافى الجبة بل والكون كله لا وجود له إلا بالله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) وذلك اللفظ وإن كان لايجوز شرعا لا يهامه لكن القوم تارة تغلبهم الأحوال فان الانسان ضعيف الا من تمكن باقامة المولى سبحانه ورأيت فى مفاتيح الكنوز أن الحلاج قال (أنا) وفيه بقية مامن شعوره بنفسه ثم فنى بشهوده فقال (الله) فهما كلمتان فى مقامين مختلفين لكن ممن أفتى بقتله الجنيد كما فى شرح الكبرى عملا بظاهر الشريعة (راجع الحاشية المذكورة ص ٤١) وجاء فيها أيضا صحيفة ٧٨ ما نصه (لكن من غلبت عليه الوحدة من كل وجه كان على خطر وفى المبحث السادس من اليواقيت ما نصه قال فى لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد فى وقت ما فليس هو بعارف وإنما هو فى ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده إلى أن قال وقال فى باب الأسرار لا يترك الاغيار إلا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الأغيار لتركت التكاليف التى جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى ما أردت نقله من حاشية العلامة الأمير) ـ قلت إذا تقرر هذا تبين بوضوح ما يأتى : ـ

(أولا) إن القول بوحدة الوجود على الظاهر المتوهم كفر بين وقائله كافر وناشره بين الناس كافر ضال ومكفر لغيره مضل إذ فيه تقرير الجسمية والتحيز والحلول والاتحاد لله سبحانه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(ثانيا) ان القول بوحدة الوجود على حقيقته غير الظاهرة وغير المتوهمة بل على مذهب من التمس لهم العذر وأوله بما يناسبه كما فى قول الحلوج انا الله

وما فى الجبة الا الله إنما هو قول سكران وصاحب حال وصاحب الحال لا تحقيق له ولا يصح تقليده

(ثالثا) ان الخوض فى وحدة الوجود حتى على حقيقته غير المتوهمة حرام

(رابعا) صحة الفتوى بقتل الحلاج عملا بظاهر الشريعة

(خامسا) ان من أفتى بقتل الحلاج من العلماء من كان حائزا لعلمى الشريعة والحقيقة معا وهو الجنيد رضى الله عنه

(سادسا) من باب أولى يكون كفرا الخوض فيه على حقيقته الظاهرة المتوهمه فى مجلس عام معظم أفراد من العوام الجهلة مع التمثيل لهم بأمثلة كلها كفر بين والظهور أمام هؤلاء العوام بأنهم من أرباب الطرق الصوفية الذين نصبوا أنفسهم للارشاد العام والدعوة إلى معرفة الله تعالى والوصول اليه فيقولون (أنا هو وهو أنت وهو أنا وأنت هو) وأن الله سبحانه وتعالى يرى فى كل شىء حيا كان أو غير حى فيرى فى الكرسى وفى الباب وفى الجمل وفى زيد وفى عمرو فاذا جاء إلى الخنزير قال إنما من الأدب أن لا تقول أرى الله فى الخنزير أو فى الكلب أو فى الحمار تعالى الله وتقدس عما يقوله هؤلاء الكفرة الظالمون .

ولكن لا تعجب أيها القارىء فانى قد رأيت بعينى رأسى وسمعت بأذنى ابليسا من هؤلاء الأبالسة ادعى أنه من السادة الصوفية وسود اسمه بإضافة كلمة السيد زاعما أنه فوق ذلك من الأشراف الذين يحق لهم ذلك (مع أنه ليس منهم) وأن علمه لدنى ربانى رضعه وهو صغير من سيدنا زكريا عليه السلام وأن مقامات الأنبياء عرضت عليه كلها من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ وعليهم أفضل الصلاة وأن قدمه فى الطريق على قدم سيدنا زكريا عليه السلام لأن مقامه وافق مقامه وأنه هو الذى أرضعه تلك العلوم الربانية وأفاض عليه من أنوار الحقيقة ما وصل به إلى أعلى مقامات الأولياء وأنه كان فى ابتداء

امره يرى من الكرامات وخوارق العادات مالايحصى فلما بلغ مابلغ صار فى غنى عن تلك الخوارق والكرامات التى يعدها الآن فى نظره كلعب الاطفال التى يلهون بها فعند ما يشبون ويصبحون رجالا يتركونها لغيرهم لأن مقامهم صار أرقى وأعلى من مقام أصحاب الكرامات ومن الغريب ان هذا الشيطان لايعرف من احكام الشريعة إلا النذر اليسير والقشور التى لاتسمن ولاتغنى من جوع والتى لايمكن بحال من الاحوال ان تؤهله لأن يتقدم للناس فى مجالس عامة يترأسها باعتباره عالما مرشدا من العارفين بالله يدعوهم إلى طريق الحق والوصول إليه - ومما يزيد الطين بلة انى سمعته يلحن فى آيات القرآن الكريم فى الصلاة وهو يؤم رهطا من مريديه سمعته يمد كلمة (انا) التى فى آخر سورة الكهف فى آية (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) وهذا لحن فاحش يدل دلالة ساطعة على انه كاذب فى دعواه اضف إلى هذا انه خالف أحكام الشريعة الغراء وآدابها الواجبة على كل مسلم فحلف بالله كاذبا غير مرة واباح اجتماع الرجال بالنساء والبنات البالغات مع انهم ليسوا محارم بل أجانب وهو نفسه كثيرا ماجالسهن دون حجاب وأكل وشرب وضحك معهن فمثل هؤلاء الادعياء الجهلة الكفرة لو اقتصروا على انفسهم فكفروا هم لما تعرضنا لهم (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التى لايمكن السكوت عنها انهم تعرضوا للعوام من الناس فكفروهم دون أن يشعروا وصار للكفر مجالس عامة يدرس ويعلم فيها فهؤلاء تجب محاربتهم والقضاء عليهم رحمة بالناس وحفظا لدين الله من هؤلاء الشياطين شياطين الانس فانهم اشد خطرا من شياطين الجن وعلى مشيخة الازهر الشريف ورجال الدين ان يستأصلوا شأفتهم ويقطعوا دابرهم وإلا ساءت الحال وعظم الخطب ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

الباب السابع

وهو مسك الختام في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

قال رسول الله ﷺ (تفرق بنو اسرائيل أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين فرقة وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة . قيل يا رسول الله وما الفرقة الواحدة قال : ما أنا عليه اليوم واصحابى) . هذا الحديث روى بإسناد صحيح لا شك فى أن الفرقة الناجية هى ما عليه أهل السنة والجماعة لذلك أفردت لها الباب الأخير من هذا الكتاب ليكون مسك الختام وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة

(عقيدتهم فى ذاته تعالى وتقدس أنه إله واحد لا شريك له قديم لا أول له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وانه ليس بجسم مصور ولا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل

فيه شيء تعالى أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه كان وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار فى دار القرار بلا كيف ولا انحصار نعمة منه ولطفا بالأبرار واتماما منه بالنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلى لم يزل موصوفا به فى أزل الازال وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت امر إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وانه تعالى سميع بصير لا يغرب عن سمعه مسموع وانه خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام لا يشبه سمعه وبصره سمع وبصر الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق ، وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد وان القرآن والتوراه والانجيل والزبور كتبه المنزله على رسله عليهم السلام وانه تعالى كلم موسى عليه السلام بكلامه الذى هو صفة ذاته لا خلق من خلقه وان القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد وانه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وانه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته فكل ماسواه من

إنس وجن وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان فى الازل موجودا وجده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق فى الازل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان وانه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم اللزوم إذ لا يجب عليه لاحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق، وان حقه فى الطاعات واجب على الخلق بايجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به وانه بعث النبى الامى القرشى محمدا ﷺ برسالته إلى العرب والعجم والجن والإنس وانه ختم النبوة والرسالة ببعثته فجعله أخر النبيين والمرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وانزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم والزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به وإن الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون وانه تعالى قد خلق الجنة فاعدها دار خلود لأوليائه واكرمهم فيها بالنظر إلى وجه الكريم وخلق النار فاعدها دار خلود لمن كفر به والحد فى آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته وندين بان لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور وندين بان لا تذل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولانارا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهم العشرة المبشرون بها. الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

رضى الله عنهم وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح من أصحاب رسول الله ﷺ فانه شهد لهم بها فنحن نشهد أيضا لهم بها ونترحم على أصحابه وندع ما شجر بينهم. ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين ونقول الله عز وجل يخرج قوما من النار بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقا لما جاءت به الروايات عنه عليه السلام ونؤمن بعذاب القبر وإن الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ويحاسب المؤمنين وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل. لصحبة نبيه عليه السلام ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم حيث قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره واستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) ونقول أن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه وإن الله أعز به الإسلام وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة وسموه باجمعهم خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وإن الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا ثم على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة وتتولى سائر الصحابة ونكف عما شجر بينهم ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله ولا نقول على الله ما لا نعلم ونرى ان الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم وكل عمل صالح يوهب لهم ينفعهم الله بها ونقول ان الصالحين يجوز

ان يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم) هذه هى عقيدة أهل السنة والجماعه وهى الفرقة الناجية فاحرص عليها وعض عليها بالنواجذ نسأل الله الكريم من فيضه العميم ان يوفقنا لأن نكون دائما من أهل السنة والجماعة حتى نلقاه فى دار القرار آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين فى ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله فى زمرة الاولياء والصالحين حول حوض خاتم الانبياء واشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلاة واتم التسليم آمين وكان الفراغ من تأليفه عصر يوم الخميس الموافق ١٧ من شهر شعبان المبارك من سنة ١٣٦٤ هـ والحمد لله رب العالمين .

الخطأ والصواب

(تنبيه) قبل تصفح هذا الكتاب ينبغي لك أيها القارىء إصلاح الأغلاط المطبعية وهذا بيانها :-

ص	س	خطأ	صواب
٢	١٨	فصل	فضل
٥	١٧	قبيحة	قبحه
٨	٥	فانظر	فانظر
	٢٥	أحد	أخر
	٧	نغيه	نفيه
٩	٨	تزدادها وهم	وهم
١٣	١٣	المرضوء	الوضوء
	١٤	ملىء	ملء
	١٤	فآليت	فآليت
١٥	١٦	امرأت	امرأة
٢٠	١٢	اشدها	اشدهما
		ويستجرحا	ويستخرجها
٢٢	٦	الذكير	الذكور
٢٣	٧	اثنين	اثنتين
٢٦	١٠	خرر	حذر
٣٠	١٥	تقرز	تقرر
٣٣	١٩	ألق	الق
٥٩	٦	النورى	النووى
٦٢	٢	مالك	مالكا
٧٣	٧	يسلم	يقف
٨٣	١١	عنيا	غما

ص	س	خطأ	صواب
٨٦	٤	الشريعة	الشريفة
	١٥	سلمان	سليمان
٨٧	٢٣	سنها	منهما
٨٩	١٧	فيزاد	فيراد
٩٠	١١	مقدمة	تاريخه
	١٢	يشنط	يشترط
	٢٤	مقدمة	تاريخه
٩١	٨	الذى	الذين
٩٣	١٩	مكروها	مكروهان
١٠٢	٤	نى	نى
١١٣	٩	رحم	يرحم
	١٣	المتوسطاه	المتوسطة
١١٥	١٨	على التخليض	التخليص
١١٩	٢١	فرفت	فرقت
١١٠	٢١	الارواخ	الأرواح
	٢٣	القرآ	القرآن
	٢٥	وقال	وذهب
١٤٩	٢٥	ورى	وروى
١٤٣	١٦	وودت	وردت
١٤٧	٦	لوضوءه	لوضوئه
	١٥	اطعنوهم	اطعتموهم

تابع الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
١٦١	١	تناست	تناسب
١٧٤	٩	القطيفه	القطيعة
١٨٧	١	٨	٦
١٩٠	١	ومحمد	ومحمدا
١٩٢	٩	واوحد	وأحد
١٩٦	٨	عند قولهم	قولهم
	١٩	مالك	مالكا
٢٠٩	١٢	بالقوافل	بالنوافل
٢١٤	٩	خرق غالبا	غالبا خرق
٢١٦	٣	فأخنا	فأخذ
٢١٨	١٢	احنه	احسنه
٢١٩	١١	أنصف	اتصف
	١٢	الاسراف	الاسرار
	١٦	الوصول	الأصول
	١٥	ل	بل
٢٢٠	١١	لعيادة	لعباده
	١٧	تربو	تزيوا
٢٢٣	١	الخوارق	الخوارق
	١٩	وفاة	وفاته
٢٢٤	٢٤	الجلوح	الحلاج